

ورسائل فضيلة الشيخ

محمد بن صالح العثيمين

المجلد الأول

فتاوى العقيدة

جمع وترتيب

فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان

دار الوطن للنشر

الطّبعة الأولى
١٤٠٧ هـ

الطّبعة الأخيرة
١٤١٣ هـ

التوزيع بالمملكة العربية السعودية

دار الوطن للنشر
الرياض - شارع المعذر - ص.ب: ٣٣١٠
تليفون: ٤٧٩٢٠٤٢ - فاكس: ٤٧٦٢٠٦٨

توزيع مؤسسة الجريسي
الرياض: ت: ٤٠٢٢٥٦٤ - فاكس ٤٠٢٣٠٧٦ - ص ب ١٤٠٥
جدة: ت: ٦٨٢٦١٠٥ - فاكس ٦٨٢٠١٥٤
الدمام: ت: ٨٢٧١٨١١ - فاكس ٨٢٦٠٤٣٧
المدينة: ت: ٨٣٨٠٥٢٩ - القصيم: ت: ٣٦٤٤٣٦٦
أبها: ت: ٢٢٢٠٧٥٨

نصف ريع هذا الكتاب يصرف لصالح
الأعمال الخيرية

بسم الله الرحمن الرحيم

لقد أذنت للشيخ فهد بن ناصر السليمان أن يطبع ما يرى طبعه من الفتاوى والرسائل الصادرة مني وأوصيه بالعناية بالتصحيح وأن لا يحتفظ بحقوق الطبع عمن أراد أن يطبعها ليوزعها مجانا. قال ذلك كاتبه محمد الصالح العثيمين

في ١١/١٠/١٤١١هـ

محمد العثيمين


بسم الله الرحمن الرحيم

الحمـد لله رب العـالمـين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

وبعـــد:

فإنـه بعـد صـــدور **«فتــاوى الـعـقـيـدة»** عثر فضيلـة الشـيخ ـ حفظه الله تعالى ـ على مجموعة من الفتاوى المتعلقة بالعقيدة مما استدعى إعادة النظر في تلك الفتاوى لإدخالها ضمن مجموع الفتاوى والرسائل وقد جرى ولله الحمد إدخال تلك الفتاوى بعد إعادة الترتيب وإضافة الرسائل إليها.

أسأل الله ـ عزّ وجلّ ـ أن ينفع بهذا الكتاب عموم المسلمين وأن يجعل أعمالنا خالصة لوجهه الكريم نافعةً لعباده إنه سميع مجيب.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين

كتبـه

فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان

في ١١/ ٣/ ١٤١٣هـ



بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضلّ له، ومن يُضلل فلا هادِيَ له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، ﴿يا أيها الذين آمنُوا اتقُوا الله حقَّ تُقاتهِ ولا تموتنَّ إلا وأنتم مُسلمونَ﴾ ﴿يا أيها النّاس اتقُوا ربّكم الذي خلقكُم من نفسٍ واحدةٍ وخلق منها زوجها وبثَّ منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تساءَلُون به والأرحامَ إنَّ الله كان عليكم رقيبا﴾ ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولُوا قولا سديدا يُصلح لكم أعمالكُم ويَغفر لكم ذُنوبكم ومن يُطِع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما﴾.

أمـا بعـد:

فإن من أكبر نعم الله علينا أن حفظ هذا الدين برجاله المخلصين، وهم العلماء العاملون الذين كانوا أعلاما يُهتدى بهم وأئمة يُقتدى بهم وأقطابا تدور عليهم معارف الأمـة، وأنوارا تتجلى بهم غياهب الظلمة، فهم السياج المتين الذي حال بين الدين وأعدائه، والنور المبين الذي تستنير به الأمة عند اشتباه الحقّ وخفائه، وهم ورثة الأنبياء في أممهم وأمنـاؤهم على دينهم، وهم شْهـداء الله في أرضه، فليس في الأمة كمثلهم ناصحـا مخلصـا، يعلّمـون أحكـام الله ويعظون عباد الله ويَقودون الأمة لما فيه الخير والصلاح، فهم القادة حقّا، وهم الزعماء المصلحون، وهم أهل الخشية ﴿إنما يَخْشَى اللهَ من عباده العلماءُ﴾. لهذا وغيره، كان على الأمة أن تعرف حقهم وتدعوا لهم وتقوم بما يجب لهم، ومن ذلك نشر علمهم بين الأمة حتى يستفيد العام والخاص منه، ومن هذا المنـطلق استعنت بالله عز وجـل على جمع فتـاوى فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين حفظه الله تعالى.

وقد بدأت في جمعها مساء يوم الأربعاء الموافق ٢٢/ ٢/ ١٤٠٧هـ، بعد أن أخذت الإذن والموافقة على ذلك من فضيلة الشيخ، وقد جمعتها من فتاوى نور على الدرب وفتـاوى الحـرم المكي لأعـوام ١٤٠٦، ١٤٠٧، ١٤٠٨هـ، وكذلك من أشرطة لقه

العبادات، وبعض المحاضرات، وماينشر في الصحف والمجلات من الفتاوى ومايرسله إليَّ الشيخ من فتـاوى بالاضافة إلى مصادر أخرى. وكنت أعرض ماأجمعه على فضيلة الشيخ فيقرأه بنفسه ويصححـه بعناية فائقة، وقد أعطى الشيخ هذه الفتاوى الكثير من وقته الثمين حتى كانت ترافقه في أسفاره، فجزاه الله عني وعن المسلمين خير الجزاء. وقد بدأ الشيخ حفظه الله في المراجعة يوم الجمعة الموافق ٢٩/ ١٠/ ١٤٠٧هـ.

ومما ينبغي التنبيه عليه أن بعض الأسئلة قد تتكرر وفي ذلك جملة من الفوائد لا تخفى، منها أن بعض الإجابات تكون مختصرة وبعضها متوسط وبعضها مطوّل، ولكلٍ طالب، كما أن الأدلة تتنوع في تلك الفتاوى بحيث يجتمع لدى القاريء أكثر من دليل في المسألة الواحدة، إلى غير ذلك من المصالح. وقد أسميت ماجمعته «مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين». فوافق فضيلة الشيخ على هذه التسمية مشكورًا.

وفي ختام هذه الكلمة أحمد الله تعالى على ما منّ به ويسره من جمع هذه الفتاوى وأتقدم بالشكر الجزيل لفضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، على ما بذله ويبذله من جهد عظيم لخدمة هذا المجموع، وأسأل الله عزّ وجلّ له حسن المثوبة والدرجات العلى، كما أسأله تعالى أن يحسن لنا وله العاقبة في الأولى والآخرة، وأن يوفقنا جميعا لما يُحبّ ويَـرضى، وأن يجعـل أعمالنا خالصة مقبولة عنده، نافعة لعباده، إنه وليُّ ذلك والقادر عليه. وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

كتبـــــه

فهد بن ناصر السليمان

بن إبراهيم

غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين

ترجمة موجزة
لفضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين
حفظه الله تعالى

* نسبه: هو أبو عبدالله محمد بن صالح بن محمد بن عثيمين الوهيبي التميمي.
* مولده: ولد في مدينة عنيزة في ٢٧ رمضان المبارك عام ١٣٤٧هـ.
* نشأته: قرأ القرآن الكريم على جده من جهة أمه عبدالرحمن بن سليمان آل دامغ رحمه الله. فحفظه ثم اتجه إلى طلب العلم فتعلم الخط والحساب وبعض فنون الآداب، وكان الشيخ عبدالرحمن السعدي رحمه الله قد أقام اثنين من طلبة العلم عنده ليدرسا الطلبة الصغار أحدهما الشيخ علي الصالحي والثاني الشيخ محمد بن عبدالعزيز المطوع رحمه الله، قرأ عليه مختصر العقيدة الواسطية للشيخ عبدالرحمن السعدي ومنهاج السالكين في الفقه للشيخ عبدالرحمن أيضًا، والأجرومية والألفية.

وقرأ على الشيخ عبدالرحمن بن علي بن عودان في الفرائض والفقه.

● وقرأ على الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي الذي يعتبر شيخه الأول حيث لازمه وقرأ عليه التوحيد والتفسير والحديث والفقه وأصول الفقه والفرائض ومصطلح الحديث والنحو والصرف.

وكانت لفضيلة الشيخ منزلة عظيمة عند شيخه رحمه الله فعندما انتقل والد الشيخ محمد - رحمه الله - إلى الرياض إبان أول تطوره رغب

في أن ينتقل معه فضيلة ولده الشيخ حفظه الله فكتب له الشيخ عبدالرحمن السعدي رحمه الله «إن هذا لا يمكن نريد محمدًا أن يمكث هنا حتى يستفيد».

ويقول فضيلة الشيخ حفظه الله «إنني تأثرت به كثيراً في طريقة التدريس وعرض العلم وتقريبه للطلبة بالأمثلة والمعاني، وكذلك أيضا تأثرت به من ناحية الأخلاق لأن الشيخ عبدالرحمن رحمه الله كان على جانب كبير من الأخلاق الفاضلة وكان رحمه الله على قدر كبير في العلم والعبادة، وكان يمازح الصغير ويضحك إلى الكبير وهو من أحسن من رأيت أخلاقا».

● قرأ على سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز حيث يعتبر شيخه الثاني، فابتدأ عليه قراءة صحيح البخاري وبعض رسائل شيخ الإسلام ابن تيمية وبعض الكتب الفقهية.

يقول الشيخ «تأثرت بالشيخ عبدالعزيز بن باز حفظه الله من جهة العناية بالحديث وتأثرت به من جهة الأخلاق أيضا وبسط نفسه للناس».

● وفي عام ١٣٧١هـ جلس للتدريس في الجامع، ولما فتحت المعاهد العلمية في الرياض التحق بها عام ١٣٧٢هـ، يقول الشيخ حفظه الله:

«دخلت المعهد العلمي من السنة الثانية، والتحقت به بمشورة من الشيخ علي الصالحي، وبعد أن استأذنت من الشيخ عبدالرحمن السعدي عليه رحمة الله، وكان المعهد العلمي في ذلك الوقت ينقسم إلى قسمين خاص وعام، فكنت في القسم الخاص، وكان في ذلك الوقت أيضا من شاء أن يقفز ـ كما يعبرون ـ بمعنى أنه يدرس السنة المستقبلة له في أثناء الإجازة ثم يختبرها في أول العام الثاني، فإذا نجح انتقل إلى السنة التي بعدها وبهذا اختصرت الزمن» اهـ.

● وبعد سنتين تخرج وعين مدرسًا في معهد عنيزة العلمي مع مواصلة الدراسة انتسابًا في كلية الشريعة ومواصلة طلب العلم على يد الشيخ عبدالرحمن السعدي.

● ولما توفي فضيلة الشيخ عبدالرحمن السعدي رحمه الله تولى إمامة الجامع الكبير بعنيزة والتدريس في مكتبة عنيزة الوطنية بالإضافة إلى التدريس في المعهد العلمي ثم انتقل إلى التدريس في كليتي الشريعة وأصول الدين بفرع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالقصيم حتى الآن، بالإضافة إلى عضوية هيئة كبار العلماء بالمملكة العربية السعودية، ولفضيلة الشيخ حفظه الله نشاط كبير في الدعوة إلى الله عز وجل وتبصير الدعاة في كل مكان وله جهود مشكورة في هذا المجال.

● والجدير بالذكر أن سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله قد عرض بل ألح على فضيلة الشيخ في تولي القضاء، بل أصدر قراره بتعيينه حفظه الله تعالى رئيسًا للمحكمة الشرعية بالاحساء فطلب منه الإعفاء، وبعد مراجعات واتصال شخصي من فضيلة الشيخ سمح رحمه الله تعالى بإعفائه من منصب القضاء.

مؤلفاته:

١ ـ أول كتاب طبع لفضيلة الشيخ هو تلخيص الحموية، وقد فرغ منه في ٨ ذي القعدة سنة ١٣٨٠هـ.

٢ ـ تفسير آيات الأحكام ـ لم يكمل.

٣ ـ شرح عمدة الأحكام ـ لم يكمل.

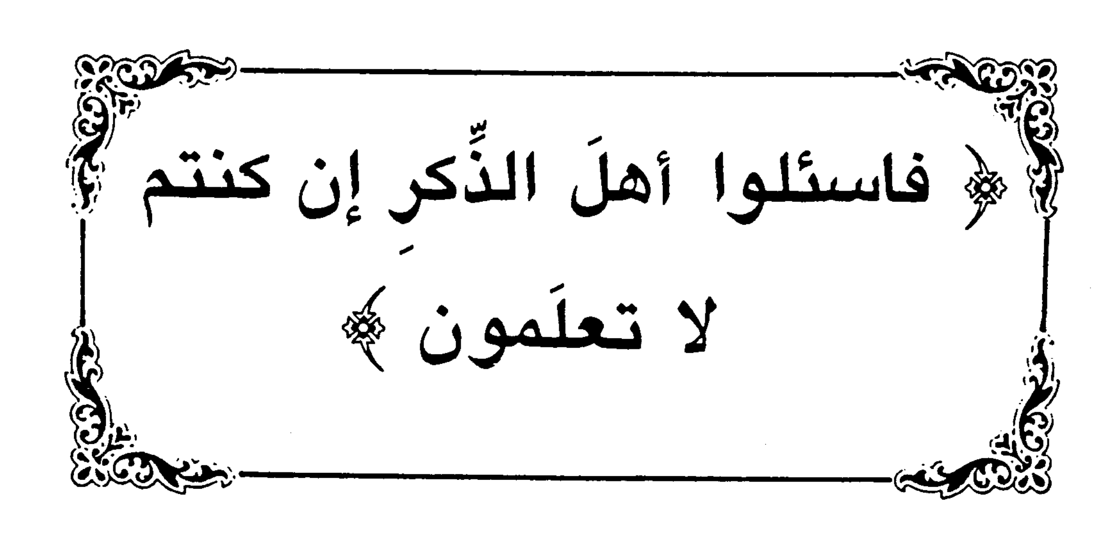
٤ ـ مصطلح الحديث.

٥ ـ الأصول من علم الأصول.

٦ - رسالة في الوضوء والغسل والصلاة.
٧ - رسالة في كفر تارك الصلاة.
٨ - مجالس رمضان.
٩ - الأضحية والذكاة.
١٠ - المنهج لمريد الحج والعمرة.
١١ - تسهيل الفرائض.
١٢ - شرح لمعة الاعتقاد.
١٣ - شرح الواسطية.
١٤ - عقيدة أهل السنة والجماعة.
١٥ - القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى.
١٦ - رسالة في أن الطلاق الثلاث واحدة ولو بكلمات
١٧ - تخريج أحاديث الروض المربع.
١٨ - رسالة الحجاب.
١٩ - رسالة في الصلاة والطهارة لأهل الأعذار.
٢٠ - رسالة في مواقيت الصلاة.
٢١ - رسالة في سجود السهو.
٢٢ - رسالة في أقسام المداينة.
٢٣ - رسالة في وجوب زكاة الحلي.
٢٤ - رسالة في أحكام الميت وغسله.
٢٥ - تفسير اية الكرسي.
٢٦ - نيل الأرب من قوعد ابن رجب.
٢٧ - أصول وقواعد. نظم على بحر الرجز.
٢٨ - الضياء اللامع من الخطب الجوامع.
٢٩ - الفتاوى النسائية.

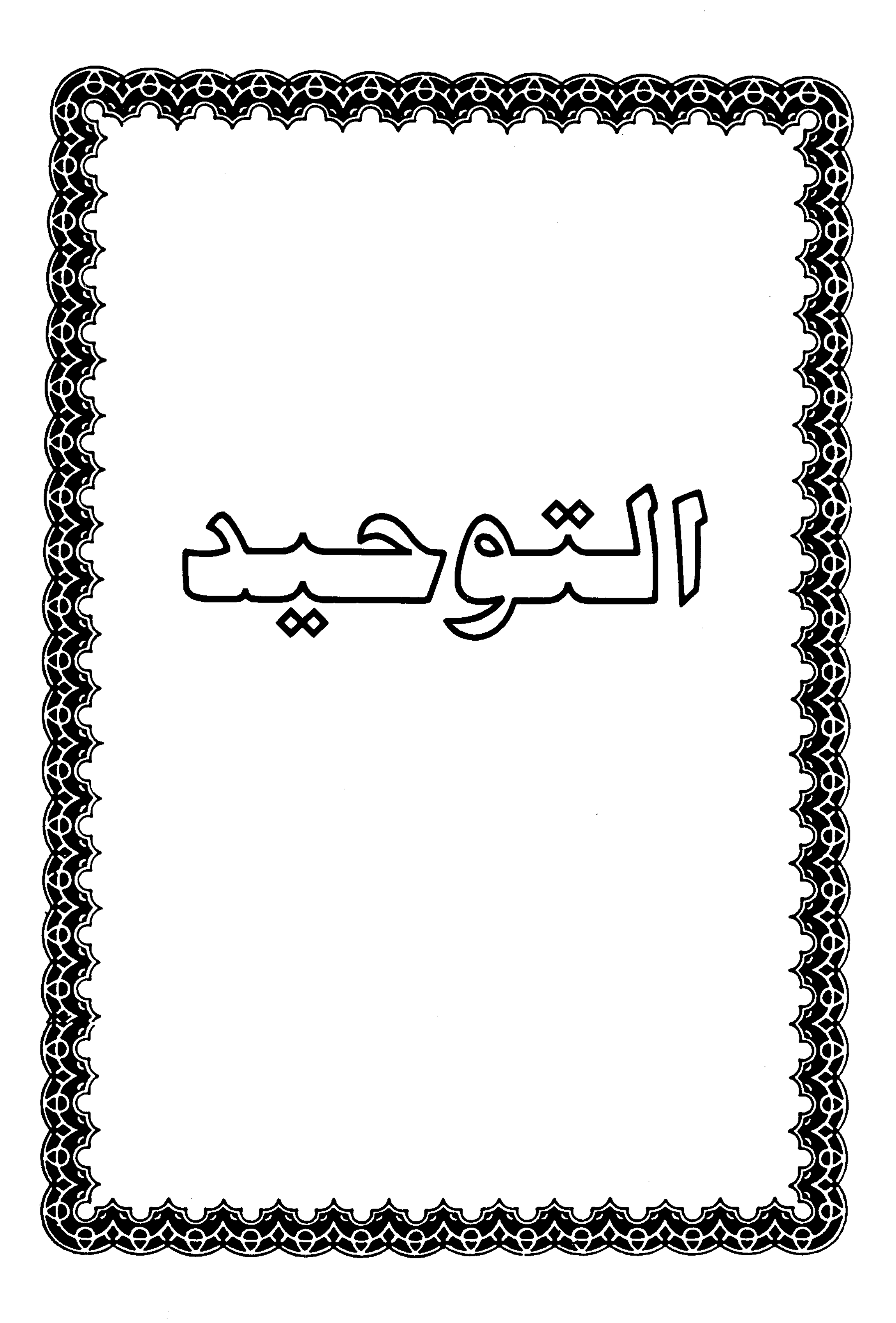
٣٠ ـ زاد الداعية إلى الله عز وجل .
٣١ ـ فتاوى الحج .
٣٢ ـ المجموع الكبير من الفتاوى «بين يديك الآن المجلد الأول منه» .
٣٣ ـ حقوق دعت إليها الفطرة وقررتها الشريعة .
٣٤ ـ الخلاف بين العلماء أسبابه وموقفنا منه .
٣٥ ـ من مشكلات الشباب .
٣٦ ـ رسالة في المسح على الخفين
٣٧ ـ رسالة في قصر الصلاة للمبتعثين
٣٨ ـ أصول التفسير .
٣٩ ـ رسالة في الدماء الطبيعية .
٤٠ ـ أسئلة مهمة .
٤١ ـ الإبداع في كمال الشرع وخطر الابتداع .
٤٢ ـ إزالة الستار عن الجواب المختار لهداية المحتار .

حفظ الله الشيخ وبارك في جهوده وجزاه عن الإسلام والمسلمين خيراً .


﴿ فاسئلوا أهلَ الذِّكرِ إن كنتم
لا تعلَمون ﴾



* التوحيد.
* مصادر التلقي.
* أهل السنة والجماعة.
* الإيمان والإسلام.
* الربوبية.
* الشهادتان.
* العبادة.
* الأسماء والصفات.
* النزول.
* الرؤية.
* رسالة.
* الملائكة.
* الجن.
* القران.
* الرسل.



التوحيد

١ سئل فضيلة الشيخ أعلى الله درجته في المهديين: عن تعريف التوحيد وأنواعه؟

فأجاب حفظه الله بقوله: التوحيد لغة: «مصدر وحد يوحد، أي جعل الشيء واحدًا» وهذا لا يتحقق إلا بنفي وإثبات، نفي الحكم عما سوى الموحد، وإثباته له، فمثلاً نقول: إنه لا يتم للإنسان التوحيد حتى يشهد أن لا إلـه إلا الله فينفي الألوهية عما سوى الله عز وجل ويثبتها لله وحده، وذلك أن النفي المحض تعطيل محض، والإثبات المحض لا يمنع مشاركة الغير في الحكم، فلو قلت مثلاً «فلان قائم» فهنا أثبت له القيام لكنك لم توحده به، لأنه من الجائز أن يشاركه غيره في هذا القيام، ولو قلت «لا قائم» فقد نفيت نفيًا محضًا ولم تثبت القيام لأحد، فإذا قلت: «لا قائم إلا زيد» فحينئذٍ تكون وحدت زيدًا بالقيام حيث نفيت القيام عمن سواه، وهذا هو تحقيق التوحيد في الواقع، أي أن التوحيد لا يكون توحيدًا حتى يتضمن نفيًا وإثباتًا.

وأنواع التوحيد بالنسبة لله ـ عز وجل ـ تدخل كلها في تعريف عام وهو «**إفراد الله سبحانه وتعالى بما يختص به**».

وهي حسب ما ذكره أهل العلم ثلاثة:

الأول: توحيد الربوبية.

الثاني: توحيد الألوهية.

الثالث: توحيد الأسماء والصفات.

وعلموا ذلك بالتتبع والاستقراء والنظر في الآيات والأحاديث

فوجدوا أن التوحيد لا يخرج عن هذه الأنواع الثلاثة فنوعوا التوحيد إلى ثلاثة أنواع :

الأول : توحيد الربوبية : وهو «إفراد الله ـ سبحانه وتعالى ـ بالخلق ، والملك ، والتدبير» وتفصيل ذلك :

أولاً : بالنسبة لإفراد الله ـ تعالى ـ بالخلق : فالله تعالى وحده هو الخالق لا خالق سواه قال الله تعالى :

﴿هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والأرض لا إله إلا هو﴾[1] . وقال ـ تعالى ـ مبينًا بطلان آلهة الكفار: **﴿أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون﴾**[2] . فالله ـ تعالى ـ وحده هو الخالق خلق كل شيء فقدره تقديرًا ، وخلقه يشمل ما يقع من مفعولاته ، وما يقع من مفعولات خلقه أيضًا ، ولهذا كان من تمام الإيمان بالقدر أن تؤمن بأن الله ـ تعالى ـ خالقًا لأفعال العباد كما قال الله ـ تعالى ـ: **﴿والله خلقكم وما تعملون﴾**[3] . ووجه ذلك أن فعل العبد من صفاته ، والعبد مخلوق لله ، وخالق الشيء خالق لصفاته ، ووجه آخر أن فعل العبد حاصل بإرادة جازمة وقدرة تامة ، والإرادة والقدرة كلتاهما مخلوقتان لله ـ عز وجل ـ وخالق السبب التام خالق للمسبب .

فإن قيل : كيف نجمع بين إفراد الله ـ عز وجل ـ بالخلق مع أن الخلق قد يثبت لغير الله كما يدل عليه قول الله ـ تعالى ـ: **﴿فتبارك الله أحسن الخالقين﴾**[4] . وقول النبي ، صلى الله عليه وسلم ، في المصورين :

(١) سورة فاطر، الآية «٣» .

(٢) سورة النحل، الآية «١٧» .

(٣) سورة الصافات، الآية «٩٦» .

(٤) سورة المؤمنون، الآية «١٤» .

«يقال لهم أحيوا ما خلقتم»؟

فالجواب على ذلك: أن غير الله ـ تعالى ـ لا يخلق كخلق الله فلا يمكنه إيجاد معدوم، ولا إحياء ميت، وإنما خلق غير الله ـ تعالى ـ يكون بالتغيير وتحويل الشيء من صفة إلى صفة أخرى وهو مخلوق لله ـ عز وجل ـ، فالمصور مثلاً، إذا صور صورة فإنه لم يحدث شيئًا غاية ما هنالك أنه حول شيئًا إلى شيء كما يحول الطين إلى صورة طير أو صورة جمل، وكما يحول بالتلوين الرقعة البيضاء إلى صورة ملونة فالمداد من خلق الله ـ عز وجل ـ، والورقة البيضاء من خلق الله ـ عز وجل ـ، هذا هو الفرق بين إثبات الخلق بالنسبة إلى الله ـ عز وجل ـ وإثبات الخلق بالنسبة إلى المخلوق. وعلى هذا يكون الله ـ سبحانه وتعالى ـ منفردًا بالخلق الذي يختص به.

ثانيًا: إفراد الله ـ تعالى ـ بالملك فالله ـ تعالى ـ وحده هو المالك كما قال الله ـ تعالى ـ: **﴿تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير﴾**[1]. وقال ـ تعالى ـ: **﴿قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه﴾**[2] فالمالك الملك المطلق العام الشامل هو الله ـ سبحانه وتعالى ـ وحده، ونسبة الملك إلى غيره نسبة إضافية فقد أثبت الله ـ عز وجل ـ لغيره الملك كما في قوله ـ تعالى ـ: **﴿أو ما ملكتم مفاتحه﴾**[3]. وقوله: **﴿إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم﴾**[4]. إلى غير ذلك من النصوص الدالة على أن لغير الله ـ تعالى ـ ملكًا لكن هذا الملك ليس كملك الله ـ عز وجل ـ

(١) سورة الملك، الآية «١».

(٢) سورة النور، الآية «٦١».

(٣) سورة المؤمنون، الآية «٦».

(٤) سورة المؤمنون، الآية «٨٨».

فهو ملك قاصر، وملك مقيد، ملك قاصر لا يشمل، فالبيت الذي لزيد لا يملكه عمرو، والبيت الذي لعمرو لا يملكه زيد، ثم هذا الملك مقيد بحيث لا يتصرف الإنسان فيما ملك إلا على الوجه الذي أذن الله فيه ولهذا نهى النبي، صلى الله عليه وسلم، عن إضاعة المال وقال الله ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿**ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قيامًا**﴾[1]. وهذا دليل على أن ملك الإنسان قاصر وملك مقيد، بخلاف ملك الله ـ سبحانه وتعالى ـ فهو ملك عام شامل وملك مطلق يفعل الله ـ سبحانه وتعالى ـ ما يشاء ولا يُسأل عما يفعل وهم يسألون.

ثالثًا: التدبير فالله ـ عز وجل ـ منفرد بالتدبير فهو الذي يدبر الخلق ويدبر السماوات والأرض كما قال الله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿**ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين**﴾[2]. وهذا التدبير شامل لا يحول دونه شيء ولا يعارضه شيء. والتدبير الذي يكون لبعض المخلوقات كتدبير الإنسان أمواله وغلمانه وخدمه وما أشبه ذلك هو تدبير ضيق محدود، ومقيد غير مطلق فظهر بذلك صدق صحة قولنا إن توحيد الربوبية هو «إفراد الله بالخلق والملك، والتدبير».

النوع الثاني: توحيد الألوهية وهو «إفراد الله ـ سبحانه وتعالى ـ بالعبادة» بأن لا يتخذ الإنسان مع الله أحدًا يعبده ويتقرب إليه كما يعبد الله ـ تعالى ـ ويتقرب إليه وهذا النوع من التوحيد هو الذي ضل فيه المشركون الذين قاتلهم النبي، صلى الله عليه وسلم، واستباح دماءهم وأموالهم وأرضهم وديارهم وسبى نساءهم وذريتهم، وهو الذي بعثت به الرسل

---

(١) سورة النساء، الآية «٥».

(٢) سورة الأعراف، الآية «٥٤».

وأنزلت به الكتب مع أخويه توحيدي الربوبية، والأسماء والصفات، لكن أكثر ما يعالج الرسل أقوامهم على هذا النوع من التوحيد - وهو توحيد الألوهية - بحيث لا يصرف الإنسان شيئًا من العبادة لغير الله - سبحانه وتعالى - لا لملك مقرب، ولا لنبي مرسل، ولا لولي صالح، ولا لأي أحد من المخلوقين؛ لأن العبادة لا تصح إلا لله - عز وجل -، ومن أخل بهذا التوحيد فهو مشرك كافر وإن أقر بتوحيد الربوبية، وبتوحيد الأسماء والصفات. فلو أن رجلًا من الناس يؤمن بأن الله - سبحانه وتعالى - هو الخالق المالك المدبر لجميع الأمور، وأنه - سبحانه وتعالى - المستحق لما يستحقه من الأسماء والصفات لكن يعبد مع الله غيره لم ينفعه إقراره بتوحيد الربوبية والأسماء والصفات. فلو فرض أن رجلًا يقر إقرارًا كاملًا بتوحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات لكن يذهب إلى القبر فيعبد صاحبه أو ينذر له قربانًا يتقرب به إليه فإن هذا مشرك كافر خالد في النار، قال الله - تبارك وتعالى -: ﴿**إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار**﴾(1). ومن المعلوم لكل من قرأ كتاب الله - عزّ وجل - أن المشركين الذين قاتلهم النبي، صلى الله عليه وسلم، واستحل دماءهم، وأموالهم وسبى نساءهم، وذريتهم، وغنم أرضهم كانوا مقرين بأن الله - تعالى - وحده هو الرب الخالق لا يشكون في ذلك، ولكن لما كانوا يعبدون معه غيره صاروا بذلك مشركين مباحي الدم والمال.

النوع الثالث: توحيد الأسماء والصفات وهو «إفراد الله - سبحانه وتعالى - بما سمى الله به نفسه، ووصف به نفسه في كتابه أو على لسان رسوله، صلى الله عليه وسلم، وذلك بإثبات ما أثبته من غير تحريف، ولا

(1) سورة المائدة، الآية «٧٢».

تعطيل، ومن غير تكييف، ولا تمثيل» . فلابد من الإيمان بما سمى الله به نفسه ووصف به نفسه على وجه الحقيقة لا المجاز، ولكن من غير تكييف، ولا تمثيل، وهذا النوع من أنواع التوحيد ضل فيه طوائف من هذه الأمة من أهل القبلة الذين ينتسبون للإسلام على أوجه شتى :

منهم من غلا في النفي والتنزيه غلوًّا يخرج به من الإسلام، ومنهم متوسط، ومنهم قريب من أهل السنة. ولكن طريقة السلف في هذا النوع من التوحيد هو أن يسمي الله ويوصف بما سمى ووصف به نفسه على وجه الحقيقة، لا تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل.

مثال ذلك: أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ سمى نفسه بالحي القيوم فيجب علينا أن نؤمن بأن الحي اسم من أسماء الله ـ تعالى ـ ويجب علينا أن نؤمن بما تضمنه هذا الاسم من وصف وهي الحياة الكاملة التي لم تسبق بعدم ولا يلحقها فناء. وسمى الله نفسه بالسميع فعلينا أن نؤمن بالسميع اسمًا من أسماء الله ـ سبحانه وتعالى ـ وبالسمع صفة من صفاته، وبأنه يسمع وهو الحكم الذي اقتضاه ذلك الاسم وتلك الصفة، فإن سميعًا بلا سمع أو سمعًا بلا إدراك مسموع هذا شيء محال وعلى هذا فقس.

مثال آخر: قال الله ـ تعالى ـ: ﴿**وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء**﴾[1]. فهنا قال الله ـ تعالى ـ: ﴿**بل يداه مبسوطتان**﴾ فأثبت لنفسه يدين موصوفتين بالبسط وهو العطاء الواسع، فيجب علينا أن نؤمن بأن لله ـ تعالى ـ يدين اثنتين مبسوطتين بالعطاء والنعم، ولكن يجب علينا أن لا نحاول بقلوبنا تصورًا، ولا بألسنتنا نطقًا أن نكيف تلك اليدين ولا أن نمثلهما بأيدي

(١) سورة المائدة، الآية «٦٤».

المخلوقين، لأن الله ـ سبحانه وتعالى ـ يقول: ﴿**ليس كمثله شيء وهو السميع البصير**﴾[1]. ويقول الله ـ تعالى ـ ﴿**قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغي بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانًا وأن تقولوا على الله مالا تعلمون**﴾[2]. ويقول ـ عزَّ وجل ـ: ﴿**ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولاً**﴾[3]. فمن مثَّل هاتين اليدين بأيدي المخلوقين فقد كذَّب قول الله ـ تعالى ـ. ﴿**ليس كمثله شيء**﴾[4]. وقد عصى الله ـ تعالى ـ في قوله: ﴿**فلا تضربوا لله الأمثال**﴾[5]. ومن كيفهما وقال هما على كيفية معينة أيًّا كانت هذه الكيفية فقد قال على الله ما لا يعلم وقفى ما ليس له به علم.

ونضرب مثالاً ثانيًا في الصفات: وهو استواء الله على عرشه فإن الله ـ تعالى ـ أثبت لنفسه أنه استوى على العرش في سبعة مواضع من كتابه كلها بلفظ ﴿**استوى**﴾ وبلفظ ﴿**على العرش**﴾ وإذا رجعنا إلى الاستواء في اللغة العربية وجدناه إذا عدي بعلى لا يقتضي إلا الارتفاع والعلو، فيكون معنى قوله ـ تعالى ـ: ﴿**الرحمن على العرش استوى**﴾[6] وأمثالها من الآيات. أنه علا على عرشه علوًّا خاصًّا غير العلو العام على جميع الأكوان وهذا العلو ثابت لله ـ تعالى ـ على وجه الحقيقة فهو عالٍ على عرشه علوًّا

---

(١) سورة الشورى، الآية «١١».

(٢) سورة الأعراف، الآية «٣٣».

(٣) سورة الإسراء، الآية «٣٦».

(٤) سورة الشورى، الآية «١١».

(٥) سورة النحل، الآية «٧٤».

(٦) سورة طـه، الآية «٥».

يليق به - عزّ وجلّ - لا يشبه علو الإنسان على السرير، ولا علوه على الأنعام، ولا علوه على الفلك الذي ذكره الله في قوله: ﴿**وجعل لكم من الفلك والأنعام ما تركبون لتستووا على ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم إذا استويتم عليه وتقولوا سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وإنَّا إلى ربنا لمنقلبون**﴾[1]. فاستواء المخلوق على شيء لا يمكن أن يماثله استواء الله على عرشه؛ لأن الله ليس كمثله شيء.

وقد أخطأ خطأً عظيمًا من قال إن معنى استوى على العرش استولى على العرش؛ لأن هذا تحريف للكلم عن مواضعه، ومخالف لما أجمع عليه الصحابة - رضوان الله عليهم - والتابعون لهم بإحسان، ومستلزم للوازم باطلة لا يمكن لمؤمن أن يتفوه بها بالنسبة لله - عز وجل -. والقرآن الكريم نزل باللغة العربية بلا شك كما قال الله - سبحانه وتعالى -: ﴿**إنَّا جعلناه قرآنًا عربيًّا لعلكم تعقلون**﴾[2]. ومقتضى صيغة «استوى على كذا» في اللغة العربية العلو والاستقرار، بل هو معناها المطابق للفظ. فمعنى استوى على العرش أي: علا عليه علوًّا خاصًّا يليق بجلاله وعظمته، فإذا فسر الاستواء بالاستيلاء فقد حرف الكلم عن مواضعه حيث نفى المعنى الذي تدل عليه لغة القرآن وهو العلو وأثبت معنى آخر باطلاً.

ثم إن السلف والتابعين لهم بإحسان مجمعون على هذا المعنى إذ لم يأت عنهم حرف واحد في تفسيره بخلاف ذلك، وإذا جاء اللفظ في القرآن والسنة ولم يرد عن السلف تفسيره بما يخالف ظاهره فالأصل أنهم أبقوه على ظاهره واعتقدوا ما يدل عليه.

---

(١) سورة الزخرف، الآيات «١٣، ١٤، ١٥».

(٢) سورة الزخرف، الآية «٣».

فإن قال قائل: هل ورد لفظ صريح عن السلف بأنهم فسروا استوى بـ (علا)؟

قلنا: نعم ورد ذلك عن السلف، وعلى فرض أن لا يكون ورد عنهم صريحًا فإن الأصل فيما دل عليه اللفظ في القرآن الكريم والسنة النبوية أنه باقٍ على ما تقتضيه اللغة العربية من المعنى فيكون إثبات السلف له على هذا المعنى.

أما اللوازم الباطلة التي تلزم من فسر الاستواء بالاستيلاء فهي:

أولاً: أن العرش قبل خلق السموات والأرض ليس ملكا لله ـ تعالى ـ لأن الله ـ تعالى ـ قال: ﴿**إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش**﴾[1].

وعلى هذا فلا يكون الله مستوليًا على العرش قبل خلق السموات ولا حين خلق السموات والأرض.

ثانيًا: أنه يصح التعبير بقولنا إن الله استوى على الأرض، واستوى على أي شيء من مخلوقاته وهذا بلا شك ولا ريب معنى باطل لا يليق بالله ـ عز وجل ـ.

ثالثًا: أنه تحريف للكلم عن مواضعه.

رابعًا: أنه مخالف لإجماع السلف الصالح رضوان الله عليهم.

وخلاصة الكلام في هذا النوع ـ توحيد الأسماء والصفات ـ أنه يجب علينا أن نثبت لله ما أثبته لنفسه أو أثبته له رسوله من الأسماء والصفات على وجه الحقيقة من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل.

---

(١) سورة الأعراف، الآية «٥٤».

٢ وسُئل فضيلة الشيخ: هل الإيمان هو التوحيد؟

فأجاب حفظه الله بقوله: التوحيد: «إفراد الله ـ عز وجل ـ بما يختص به ويجب له». والإيمان: هو «التصديق المتضمن للقبول والإذعان».

وبينهما عموم وخصوص فكل موحد مؤمن، وكل مؤمن موحد بالمعنى العام.

ولكن أحيانًا يكون التوحيد أخصّ من الإيمان، والإيمان أخصّ من التوحيد. والله أعلم.

٣ وسُئِلَ فضيلته: عن شرك المشركين الذين بُعث فيهم النبي، صلى الله عليه وسلم؟

فأجاب قائلاً: بالنسبة لشرك المشركين الذين بعث فيهم النبي، صلى الله عليه وسلم، فإنه ليس شركًا في الربوبية، لأن القرآن الكريم يدلُّ على أنهم إنما كانوا يشركون في العبادة فقط.

أما في الربوبية فيؤمنون بأن الله وحده هو الربّ، وأنه مُجيبُ دعوة المضطرين، وأنه هو الذي يكشف السوء إلى غير ذلك مما ذكر الله عنهم من إقرارهم بربوبية الله ـ عز وجل ـ وحده.

ولكنهم كانوا مشركين بالعبادة يعبدون غير الله معه، وهذا شرك مخرج عن الملّة، لأنَّ التوحيد هو عبارة ـ حسب دلالة اللفظ ـ عن جعل الشيء واحدًا، والله ـ تبارك وتعالى ـ له حقوق يجب أن يفرد بها وهذه الحقوق تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

١ ـ حقوق ملك.

٢ ـ حقوق عبادة.

٣ ـ حقوق أسماء وصفات.

ولهذا قسّم العلماء التوحيد إلى ثلاثة أقسام، توحيد الربوبية، وتوحيد الأسماء و الصفات، وتوحيد العبادة.

فأما توحيد الربوبية: فهو إفراد الله ـ تبارك وتعالى ـ بالخلق والملك والأمر، كما قال الله ـ تعالى ـ: ﴿**ألا لهُ الخلقُ والأمرُ**﴾[1]. فالخلق والأمر ـ وهو التدبير ـ هو الربوبية وهو مختص بالله ـ عز وجل ـ فلا خالق إلا الله ولا مالك ولا مدبر إلا الله ـ عز وجل ـ.

وأما توحيد الأسماء والصفات: فهو إفراد الله ـ تبارك وتعالى ـ بأسمائه وصفاته بحيث يؤمن العبد بما أثبت الله لنفسه في كتابه أو أثبته له رسوله، صلى الله عليه وسلم، من الأسماء والصفات على الوجه الذي أراد الله ورسوله، صلى الله عليه وسلم، وعلى الوجه اللائق به من غير إثبات مثيل له، لأن إثبات المثيل لله ـ تعالى ـ شرك به.

وأما توحيد العبادة: فهو إفراد الله ـ تبارك وتعالى ـ بالعبادة، بمعنى أن تعبد الله مخلصًا له الدين، لقوله ـ تعالى ـ: ﴿**قُل إنّي أمرتُ أن أعبد الله مخلصًا له الدين**﴾[2]. فالمشركون إنما أشركوا في هذا القسم، قسم العبادة حيث كانوا يعبدون مع الله غيره، وقد قال الله ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿**واعبُدوا الله ولا تُشركوا به شيئًا**﴾[3]. أي في عبادته.

وقال ـ تعالى ـ: ﴿**إنّه من يُشرك بالله فقد حرَّم الله عليه الجنة ومأواهُ**

(١) سورة الأعراف، الآية «٥٤».

(٢) سورة الزمر، الآية «١١».

(٣) سورة النساء، الآية «٣٦».

النارُ وما للظالمين من أنصار﴾[1].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿إن الله لا يغفرُ أن يُشركَ به ويغفرُ ما دون ذلك لمن يشاءُ﴾[2].

وقـال ـ تعـالى ـ: ﴿وقـال ربّكم ادعوني أستجب لكم إنَّ الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنَّمَ داخرينَ﴾[3].

وقال تعالى في سورة الإخلاص: ﴿قل يا أيُّها الكافرون لا أعبد ما تعبُـدونَ. ولا أنتم عابدون ما أعبد. ولا أنا عابدٌ ما عبدتم. ولا أنتم عابدون ما أعبد. لكم دينكم ولي دين﴾[4]

وقولي في سورة الإخلاص يعني إخلاص العمل فهي سورة إخلاص العمل وإن كانت تسمى سورة الكافرون لكنها في الحقيقة سورة إخلاص عملي كما أن سورة ﴿قل هو الله أحد﴾ سورة إخلاص علمي وعقيدة. والله الموفق.

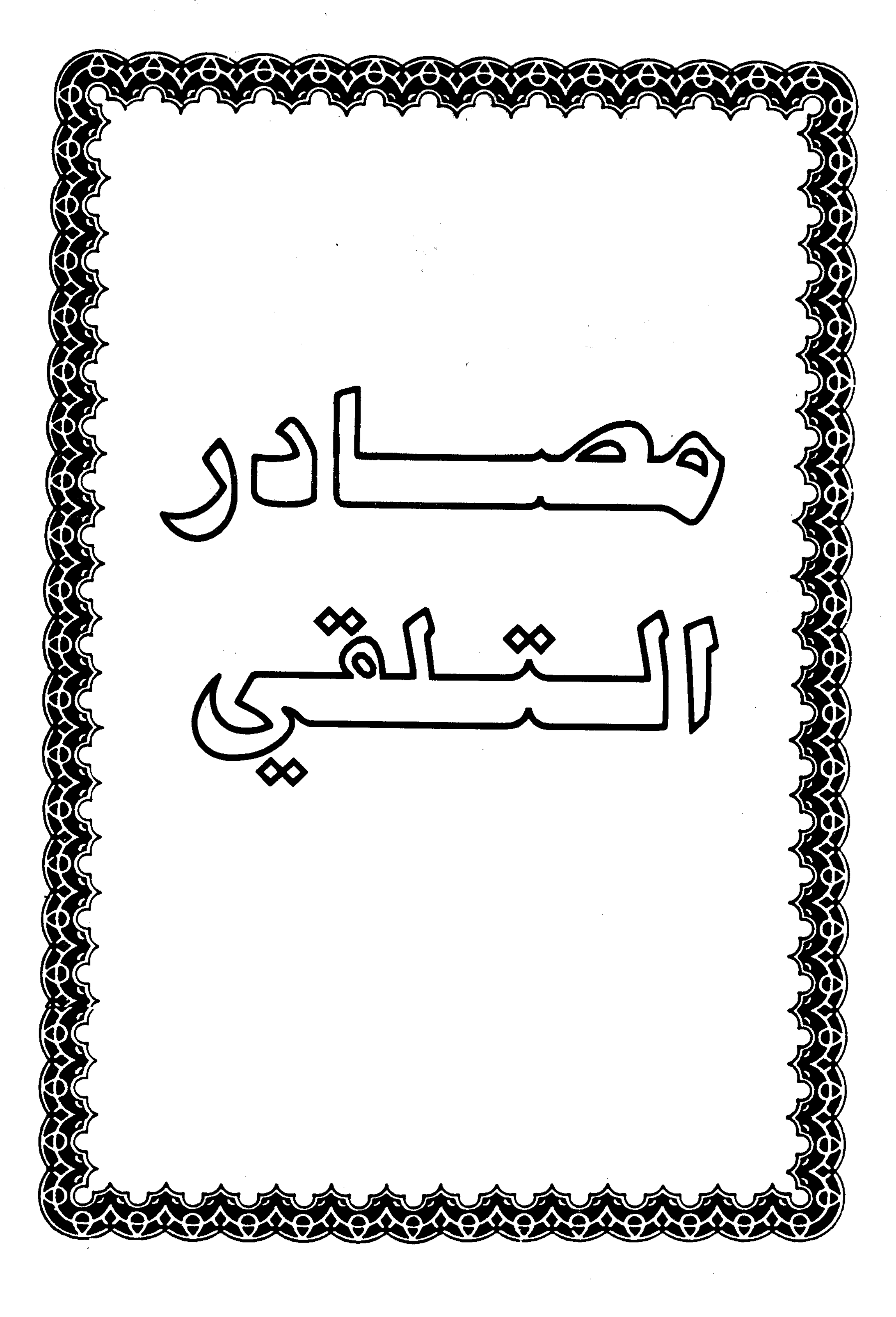
---

(١) سورة المائدة، الآية «٧٢».

(٢) سورة النساء، الآية «٤٨».

(٣) سورة غافر، الآية «٦٠».

(٤) سورة الكافرون، الآيات «١ ـ ٦».



مصادر التلقي



٤ وسُئِلَ فضيلة الشيخ حفظه الله: عمن يرى أن أحاديث الآحاد لا تثبت بها العقيدة؟

فأجاب بقوله: جوابنا على من يرى أن أحايث الآحاد لا تَثبت بها العقيدة لأنها تفيد الظنّ، والظنّ لا تُبنى عليه العقيدة أن نقول:

هذا رأي غير صوابٍ لأنه مبنيٌّ على غير صواب وذلك من عدّة وجوه:

١ ـ القول بأن حديث الآحاد لا يفيد إلا الظنّ ليس على إطلاقه، بل في أخبار الآحاد ما يفيد اليقين إذا دلت القرائن على صدقه، كما إذا تلقته الأمة بالقبول مثل حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه «إنما الأعمال بالنيات» فإنـه خبر آحاد ومع ذلك فإننا نعلم أن النبي، صلى الله عليه وسلم، قاله وهذا ما حققه شيخ الإسلام ابن تيمية والحافظ ابن حجر وغيرهما.

٢ـ أن النبي، صلى الله عليه وسلم، يرسل الآحاد بأصول العقيدة شهادة أن لا إلـه إلا الله وأن محمدً رسول الله وإرساله حجة مُلزمة، كما بعث معاذًا إلى اليمن واعتبر بعثه حُجة ملزمة لأهل اليمن بقبوله.

٣ ـ إذا قلنا بأن العقيدة لا تثبت بأخبار الآحاد أمكن أن يقال: والأحكام العملية لا تثبت بأخبار الآحاد، لأن الأحكام العملية يصحبها عقيدة أن الله ـ تعالى ـ أمر بهذا أو نهى عن هذا، وإذا قُبل هذا القول تعـطل كثـير من أحكـام الشريعة، وإذا رُدّ هذا القول فليرد القول بأن

العقيدة لا تثبت بخبر الآحاد إذ لا فرق كما بيّنا.

٤ ـ أن الله تعالى أمر بالرجوع إلى قول أهل العلم لمن كان جاهلاً فيما هو من أعظم مسائل العقيدة وهي الرسالة. فقال ـ تعالى ـ: ﴿**وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً نُّوحي إليهم فسألُوا أهل الذّكر إن كنتم لا تعلمون بالبيّنات والزبر**﴾(١). وهذا يشمل سؤال الواحد والمتعدد.

والحاصل أن خبر الآحاد إذا دلت القرائن على صدقه أفاد العلم وثبتت به الأحكام العملية والعلمية، ولا دليل على التفريق بينهما، ومن نسب إلى أحد من الأئمة التفريق بينهما فعليه إثبات ذلك بالسند الصحيح عنه، ثم بيان دليله المستند إليه.

٥ سئل الشيخ: هل يجوز للمسلم أن يقتني الإنجيل ليعرف كلام الله لعبده ورسوله عيسى عليه الصلاة والسلام؟

فأجاب فضيلته بقوله: لا يجوز اقتناء شيء من الكتب السابقة على القرآن من إنجيل أو توراة أو غيرهما لسببين:

السبب الأول: أن كل ما كان نافعًا فيها فقد بينه الله ـ سبحانه وتعالى ـ في القرآن الكريم.

السبب الثاني: أن في القرآن ما يغني عن كل هذه الكتب لقوله ـ تعالى ـ: ﴿**نزل عليك الكتاب بالحق مصدقًا لما بين يديه**﴾(٢). وقوله تعالى: ﴿**وأنزلنا عليك الكتاب بالحق مصدقًا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنًا عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله**﴾(٣). فإن ما في الكتب السابقة من

---

(١) سورة النحل، الآية «٤٣».

(٢) سورة آل عمران، الآية «٣».

(٣) سورة المائدة، الآية «٤٨».

خير موجود في القرآن.

أما قول السائل إنه يريد أن يعرف كلام الله لعبده ورسوله عيسى، فإن النافع منه لنا قد قصَّه الله في القرآن فلا حاجة للبحث في غيره، وأيضًا فالإنجيل الموجود الآن محرَّف، والدليل على ذلك أنها أربعة أناجيل يخالف بعضها بعضًا وليست إنجيلاً واحدًا، إذن فلا يعتمد عليه.

أما طالب العلم الذي لديه علم يتمكن به من معرفة الحق من الباطل فلا مانع من معرفته لها لرد ما فيها من الباطل وإقامة الحجة على معتنقيها.

٦ وسئل فضيلته: عن أصول أهل السنة والجماعة في العقيدة وغيرها من أمور الدين؟

فأجاب بقوله: قاعدة أهل السنة والجماعة في العقائد وغيرها من أمور الدين، هو التمسك التام بكتاب الله وسنة رسوله، صلى الله عليه وسلم، وما عليه الخلفاء الراشدون من هدي وسنة، لقول الله ـ تعالى ـ: ﴿**قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله**﴾[1]. ولقوله ـ تعالى ـ: ﴿**من يطع الرسول فقد أطاع الله ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظًا**﴾[2]. ولقول الله تعالى: ﴿**وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا**﴾[3]. وهذا وإن كان في قسمة الغنائم فهو في الأمور الشرعية من باب أولى، ولأن النبي، صلى الله عليه وسلم، كان يخطب الناس يوم الجمعة، فيقول: «**أما بعد فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد، صلى الله عليه**

---

(١) سورة آل عمران، الآية «٣١».

(٢) سورة النساء، الآية «٨٠».

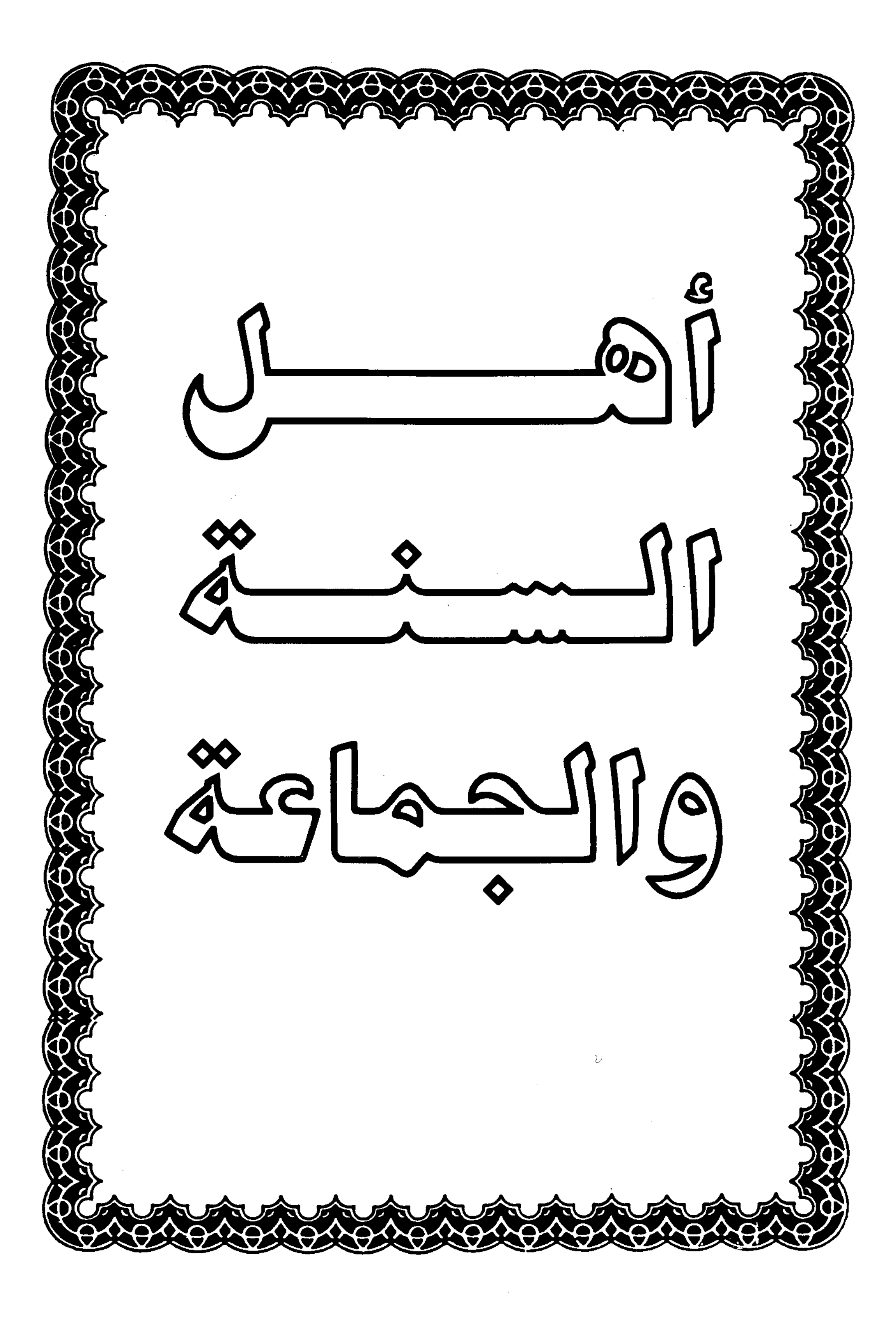
(٣) سورة الحشر، الآية «٧».

وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار».

ولقوله، صلى الله عليه وسلم: «**عليكم بسنتي، وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، تمسكوا بها، وعضّوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة**».

والنصوص في هذا كثيرة، فطريق أهل السنة والجماعة ومنهاجهم هو التمسك التام بكتاب الله وسنة رسوله، صلى الله عليه وسلم، وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعده، ومن ذلك أنهم يقيمون الدين ولا يتفرّقون فيه امتثالاً لقول الله تعالى: ﴿**شرع لكم من الدين ما وصى به نوحًا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه**﴾[1]. وهم وإن حصل بينهم من الخلاف ما يحصل مما للاجتهاد فيه مساغ، فإن هذا الخلاف لا يؤدي إلى اختلاف قلوبهم بل تجدهم متآلفين متحابين، وإن حصل منهم هذا الاختلاف الذي طريقه الاجتهاد.

(١) سورة الشورى، الآية «١٣».


أهل
السنة
والجماعة



[٧] سُئلَ فضيلة الشيخ - رفع الله درجته في المهديين - من هم أهل السنة والجماعة؟

فأجاب - حفظه الله تعالى - بقوله: أهل السنة والجماعة هم الذين تمسكوا بالسنة، واجتمعوا عليها، ولم يلتفتوا إلى سواها، لا في الأمور العلميَّة العقدية، ولا في الأمور العمليَّة الحكمية، ولهذا سمُّوا أهل السنة، لأنهم متمسّكون بها، وسمُّوا أهل الجماعة، لأنهم مجتمعون عليها.

وإذا تأملت أحوال أهل البدعه وجدتهم مختلفين فيما هم عليه من المنهاج العقدي أو العملي، مما يدلّ على أنهم بعيدون عن السنة بقدر ما أحدثوا من البدعة.

[٨] وسُئل - حفظه الله تعالى - عن افتراق أمة النبي محمد، صلى الله عليه وسلم، بعد وفاته؟

فأجاب بقوله: أخبر النبي، صلى الله عليه وسلم، فيما صحّ عنه أن اليهود افترقوا على إحدى وسبعين فرقة، والنصارى على اثنتين وسبعين فرقة، وأن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة، وهذه الفرق كلها في النار إلا واحدة، وهي ما كان على مثل ما كان عليه النبي، صلى الله عليه وسلم، وأصحابه، وهذه الفرقة هي الفرقة الناجية التي نجت في الدنيا من البدع، وتنجو في الآخرة من النار، وهي الطائفة المنصورة إلى قيام الساعة التي لا تزال ظاهرة قائمة بأمر الله - عزّ وجلّ -.

وهذه الفرق الثلاث والسبعون التي واحدة منها على الحق والباقي

على الباطل. قد حاول بعض الناس أن يعددها، وشعّب أهل البدع إلى خمس شعب، وجعل من كل شعبة فروعًا ليصلوا إلى هذا العدد الذي عينه النبي، صلى الله عليه وسلم، ورأى بعض الناس أن الأولى الكف عن التعداد لأن هذه الفرق ليست وحدها هي التي ضلت بل قد ضلّ أناس ضلالاً أكثر مما كانت عليه من قبل، وحدثت بعد أن حصرت هذه الفرق باثنتين وسبعين فرقة، وقالوا إن هذا العدد لا ينتهي ولا يمكن العلم بانتهائه إلا في آخر الزمان عند قيام الساعة، فالأولى أن نجمل ما أجمله النبي، صلى الله عليه وسلم، ونقول إن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة، ثم نقول كل من خالف ما كان عليه النبي، صلى الله عليه وسلم، وأصحابه فهو داخل في هذه الفرق، وقد يكون الرسول، صلى الله عليه وسلم، أشار إلى أصول لم نعلم منها الآن إلا ما يبلغ العشرة وقد يكون أشار إلى أصول تتضمن فروعًا كما ذهب إليه بعض الناس فالعلم عند الله ـ عزّ وجلّ ـ.

[٩] وسُئل الشيخ: عن أبرز خصائص الفرقة الناجية؟ وهل النقص من هذه الخصائص يخرج الإنسان من الفرقة الناجية؟

فأجاب فضيلته بقوله: أبرز الخصائص للفرقة الناجية هي التمسك بما كان عليه النبي، صلى الله عليه وسلم، في العقيدة، والعبادة، والأخلاق، والمعاملة، هذه الأمور الأربعة تجد الفرقة الناجية بارزة فيها:

ففي العقيدة تجدها متمسكة بما دلّ عليه كتاب الله، وسنة رسوله، صلى الله عليه وسلم، من التوحيد الخالص في ألوهية الله، وربوبيته، وأسمائه وصفاته.

وفي العبادات تجد هذه الفرقة متميزة في تمسكها التام وتطبيقها لما

كان عليه النبي، صلى الله عليه وسلم، في العبادات في أجناسها، وصفاتها، وأقدارها، وأزمنتها، وأمكنتها، وأسبابها، فلا تجد عندهم ابتداعًا في دين الله، بل هم متأدبون غاية الأدب مع الله ورسوله لا يتقدمون بين يدي الله ورسوله في إدخال شيء من العبادات لم يأذن به الله.

وفي الأخلاق تجدهم كذلك متميزين عن غيرهم بحسن الأخلاق كمحبة الخير للمسلمين، وانشراح الصدر، وطلاقة الوجه، وحسن المنطق والكرم، والشجاعة إلى غير ذلك من مكارم الأخلاق ومحاسنها.

وفي المعاملات تجدهم يعاملون الناس بالصدق، والبيان اللذين أشار إليهما النبي، صلى الله عليه وسلم، في قوله: «**البيعان بالخيار ما لم يتفرقا فإن صدقا وبينا بورك لهما في بيعهما، وإن كذبا وكتما محقت بركة بيعهما**».

والنقص من هذه الخصائص لا يخرج الإنسان عن كونه من الفرقة الناجية لكن لكلّ درجات مما عملوا، والنقص في جانب التوحيد ربما يخرجه عن الفرقة الناجية مثل الإخلال بالإخلاص، وكذلك في البدع ربما يأتي ببدع تخرجه عن كونه من الفرقة الناجية.

أما في مسألة الأخلاق والمعاملات فلا يخرج الإخلال بهما من هذه الفرقة وإن كان ذلك ينقص مرتبته.

وقد نحتاج إلى تفصيل في مسألة الأخلاق فإن من أهم ما يكون من الأخلاق اجتماع الكلمة، والاتفاق على الحق الذي أوصانا به الله ـ تعالى ـ في قوله: ﴿**شرع لكم من الدين ما وصى به نوحًا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه**﴾[1].

---

(١) سورة الشورى، الآية «١٣».

وأخبر أن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعًا أن محمدًا، صلى الله عليه وسلم، بريء منهم فقال الله ـ عز وجل ـ: ﴿**إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعًا لست منهم في شيء**﴾[1]. فاتفاق الكلمة وائتلاف القلوب من أبرز خصائص الفرقة الناجية ـ أهل السنة والجماعة ـ فهم إذا حصل بينهم خلاف ناشىء عن الاجتهاد في الأمور الاجتهادية لا يحمل بعضهم على بعض حقدًا، ولا عداوة، ولا بغضاء بل يعتقدون أنهم إخوة حتى وإن حصل بينهم هذا الخلاف، حتى إن الواحد منهم ليصلي خلف من يرى أنه ليس على وضوء ويرى الإمام أنه على وضوء، مثل أن الواحد منهم يصلي خلف شخص أكل لحم إبل، وهذا الإمام يرى أنه لا ينقض الوضوء، والمأموم يرى أنه ينقض الوضوء فيرى أن الصلاة خلف ذلك الإمام صحيحة، وإن كان هو لو صلاها بنفسه لرأى أن صلاته غير صحيحة، كل هذا لأنهم يرون أن الخلاف الناشىء عن اجتهاد فيما يسوغ فيه الاجتهاد ليس في الحقيقة بخلاف، لأن كل واحد من المختلفين قد تبع ما يجب عليه اتباعه من الدليل الذي لا يجوز له العدول عنه، فهم يرون أن أخاهم إذا خالفهم في عمل ما اتباعًا للدليل هو في الحقيقة قد وافقهم؛ لأنهم هم يدعون إلى اتباع الدليل أينما كان، فإذا خالفهم موافقة لدليل عنده، فهو في الحقيقة قد وافقهم؛ لأنه تمشى على ما يدعون إليه ويهدون إليه من تحكيم كتاب الله وسنة رسول الله، صلى الله عليه وسلم، ولا يخفى على كثير من أهل العلم ما حصل من الخلاف بين الصحابة في مثل هذه الأمور، حتى في عهد النبي، صلى الله عليه وسلم، ولم يعنف أحدًا منهم، فإنه عليه الصلاة والسلام لما رجع من غزوة الأحزاب وجاءه جبريل وأشار

---

(١) سورة الأنعام، الآية «١٥٩».

إليه أن يخرج إلى بني قريظة الذين نقضوا العهد فندب النبي، صلى الله عليه وسلم، أصحابه فقال: «**لا يصلين أحد منكم العصر إلا في بني قريظة**». فخرجوا من المدينة إلى بني قريظة وأرهقتهم صلاة العصر فمنهم من أخر صلاة العصر حتى وصل إلى بني قريظة بعد خروج الوقت لأن النبي، صلى الله عليه وسلم، قال: «**لا يصلين أحد منكم العصر إلا في بني قريظة**». ومنهم من صلى الصلاة في وقتها، وقال إن الرسول، صلى الله عليه وسلم، أراد منا المبادرة إلى الخروج ولم يرد منا أن نؤخر الصلاة عن وقتها ـ وهؤلاء هم المصيبون ـ ولكن مع ذلك لم يعنّف النبي، صلى الله عليه وسلم، أحدًا من الطائفتين، ولم يحمل كل واحد على الآخر عداوة، أو بغضاء بسبب اختلافهم في فهم هذا النص، لذلك أرى أن الواجب على المسلمين الذين ينتسبون إلى السنة أن يكونوا أمة واحدة، وأن لا يحصل بينهم تحزب، هذا ينتمي إلى طائفة، والآخر إلى طائفة إخرى، والثالث إلى طائفة ثالثة، وهكذا، بحيث يتناحرون فيما بينهم بأسنة الألسن، ويتعادون ويتباغضون من أجل اختلاف يسوغ فيه الاجتهاد، ولا حاجة إلى أن أخص كل طائفة بعينها، ولكن العاقل يفهم ويتبين له الأمر.

فأرى أنه يجب على أهل السنة والجماعة أن يتحدوا حتى وإن اختلفوا فيما يختلفون فيه فيما تقتضيه النصوص حسب أفهامهم فإن هذا أمر فيه سعة ولله الحمد، والمهم ائتلاف القلوب واتحاد الكلمة ولا ريب أن أعداء المسلمين يحبون من المسلمين أن يتفرقوا سواء كانوا أعداءً يصرحون بالعداوة، أو أعداء يتظاهرون بالولاية للمسلمين، أو للإسلام وهم ليسوا كذلك، فالواجب أن نتميز بهذه الميزة التي هي ميزة للطائفة الناجية وهي الاتفاق على كلمة واحدة.

١٠ وسئل جزاه الله عن الإسلام والمسلمين خيراً عن المراد بالوسط في الدين؟

فأجاب بقوله: الوسط في الدين أن لا يغلو الإنسان فيه فيتجاوز ما حد الله ـ عزّ وجلّ ـ ولا يقصر فيه فينقص عما حد الله ـ سبحانه وتعالى ـ.

الوسط في الدين أن يتمسك بسيرة النبي، صلى الله عليه وسلم، والغلو في الدين أن يتجاوزها، والتقصير أن لا يبلغها.

مثال ذلك، رجل قال أنا أريد أن أقوم الليل ولا أنام كل الدهر، لأن الصلاة من أفضل العبادات فأحب أن أحْيِي الليل كله صلاة فنقول: هذا غالٍ في دين الله وليس على حق، وقد وقع في عهد النبي، صلى الله عليه وسلم، مثل هذا، اجتمع نفر فقال بعضهم: أنا أقوم ولا أنام، وقال: الآخر أنا أصوم ولا أفطر، وقال الثالث أنا لا أتزوج النساء، فبلغ ذلك النبي، صلى الله عليه وسلم، فقال، عليه الصلاة والسلام: **«ما بال أقوام يقولون كذا وكذا أنا أصوم وأفطر، وأقوم، وأنام، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني»** فهؤلاء غلو في الدين وتبرأ منهم الرسول، صلى الله عليه وسلم، لأنهم رغبوا عن سنته، صلى الله عليه وسلم، التي فيها صوم وإفطار، وقيام ونوم، وتزوج نساء.

أما المقصر: فهو الذي يقول لا حاجة لي بالتطوع فأنا لا أتطوع وآتي بالفريضة فقط، وربما أيضا يقصر في الفرائض فهذا مقصّر.

والمعتدل: هو الذي يتمشى على ما كان عليه الرسول، صلى الله عليه وسلم، وخلفاؤه الراشدون.

مثال آخر: ثلاثة رجال أمامهم رجل فاسق، أحدهم قال: أنا لا أسلم على هذا الفاسق وأهجره وابتعد عنه ولا أكلمه.

والثاني يقول: أنا أمشي مع هذا الفاسق وأسلم عليه وأبش في وجهه وأدعوه عندي وأجيب دعوته وليس عندي إلا كرجل صالح.

والثالث يقول: هذا الفاسق أكرهه لفسقه وأحبه لإيمانه ولا أهجره إلا حيث يكون الهجر سببًا لإصلاحه، فإن لم يكن الهجر سببًا لإصلاحه بل كان سببًا لازدياده في فسقه فأنا لا أهجره.

فنقول الأول مُفرط غالٍ ـ من الغلو ـ والثاني مُفرّط مقصّر، والثالث متوسط.

وهكذا نقول في سائر العبادات ومعاملات الخلق الناس فيها بين مقصر وغالٍ ومتوسط.

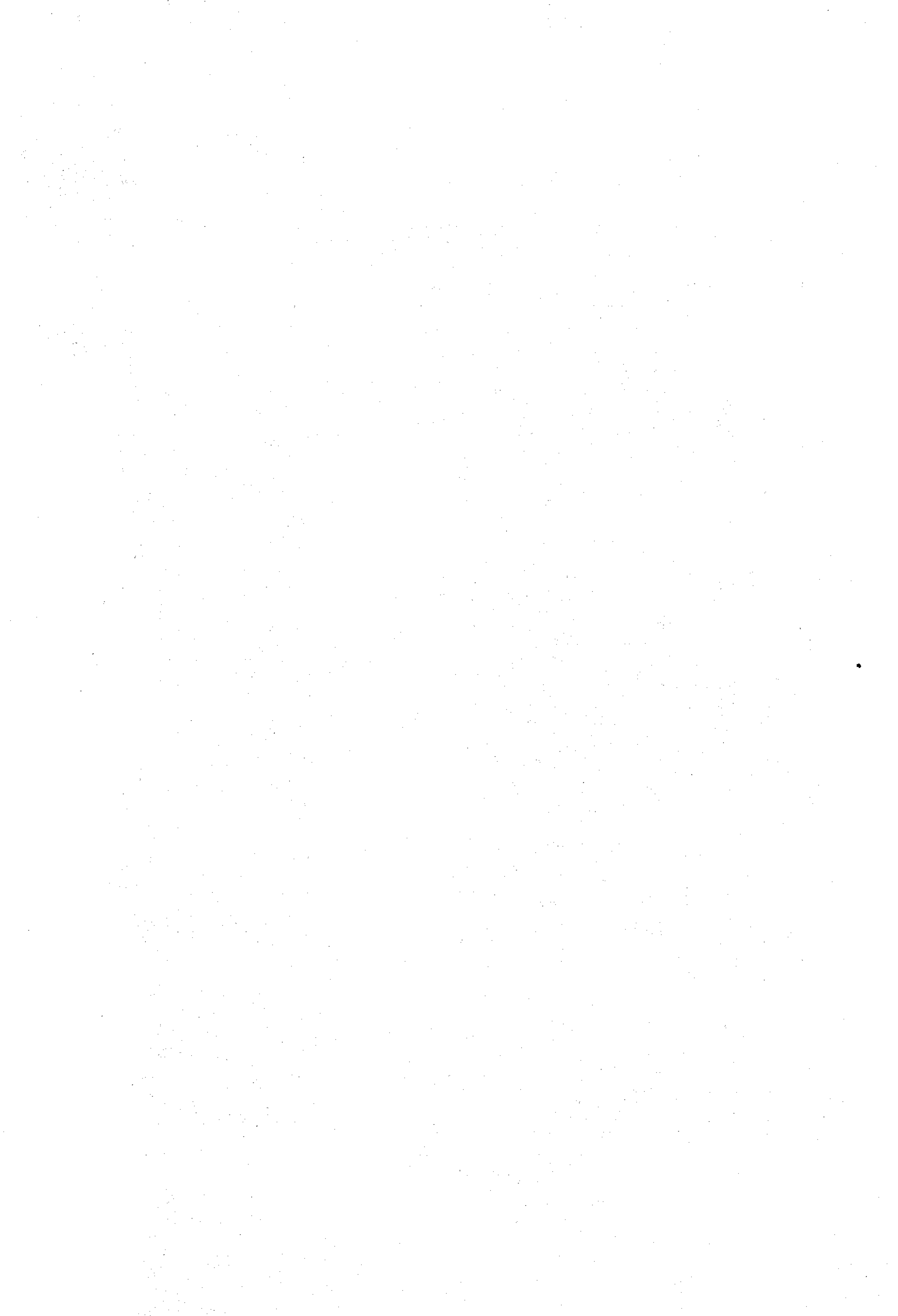
ومثال ثالث: رجل كان أسيرا لامرأته توجهه حيث شاءت لا يردها عن إثم ولا يحثها على فضيلة، قد ملكت عقله وصارت هي القوّامة عليه.

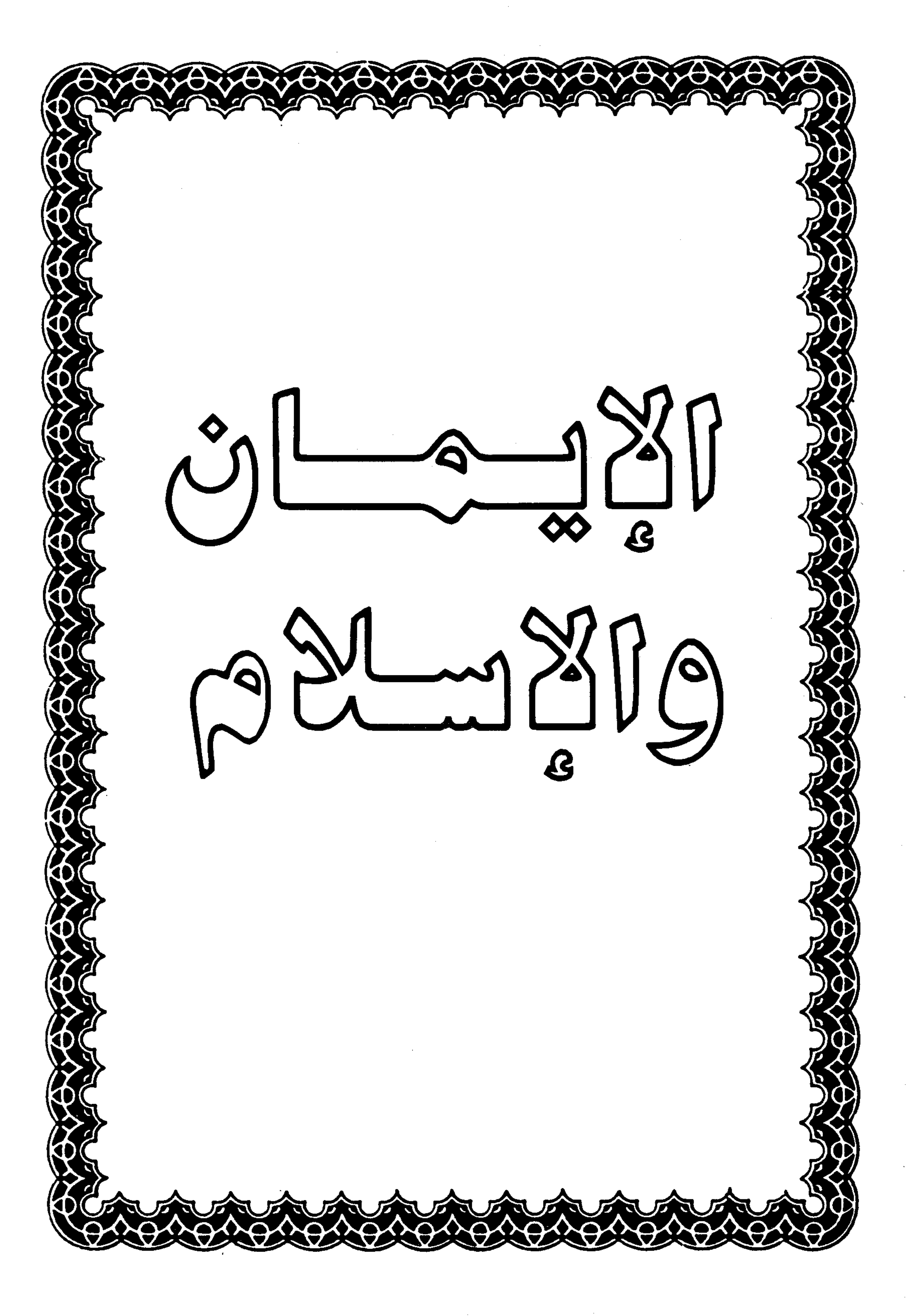
ورجل آخر عنده تعسف وتكبر وترفع على امرأته لا يبالي بها وكأنها عنده أقل من الخادم.

ورجل ثالث وسط يعاملها كما أمر الله ورسوله: **﴿ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف﴾**[1] **«لا يفرك مؤمن مؤمنة إن كره منها خلقا رضي منها خلقا آخر»**. فهذا الأخير متوسط والأول غالٍ في معاملة زوجته، والثالث مقصر. وقس على هذه بقية الأعمال والعبادات.

---

(١) سورة البقرة، الآية «٢٢٨».





الإيمان والإسلام



[١٦] وسئل فضيلة الشيخ: عن تعريف الإسلام والفرق بينه وبين الإيمان؟

فأجاب ـ حفظه الله ـ بقوله: الإسلام بالمعنى العام هو: «التعبد لله تعالى بما شرعه من العبادات التي جاءت بها رسله، منذ أن أرسل الله الرسل إلى أن تقوم الساعة» فيشمل ما جاء به نوح، عليه الصلاة والسلام، من الهدى والحق، وما جاء به موسى، وما جاء به عيسى، ويشمل ما جاء به إبراهيم، عليه الصلاة والسلام، إمام الحنفاء، كما ذكر الله ـ تبارك وتعالى ـ ذلك في آيات كثيرة تدل على أن الشرائع السابقة كلها إسلام لله ـ عز وجل ـ.

والإسلام بالمعنى الخاص بعد بعثة النبي، صلى الله عليه وسلم، يختص بما بعث به محمد، صلى الله عليه وسلم، لأن ما بعث به، صلى الله عليه وسلم، نسخ جميع الأديان السابقة فصار من اتبعه مسلمًا، ومن خالفه ليس بمسلم؛ لأنه لم يستسلم لله بل استسلم لهواه، فاليهود مسلمون في زمن موسى، عليه الصلاة والسلام، والنصارى مسلمون في زمن عيسى، عليه الصلاة والسلام، وأما حين بعث محمد، صلى الله عليه وسلم، فكفروا به فليسوا بمسلمين ولهذا لا يجوز لأحد أن يعتقد أن دين اليهود والنصارى الذين يدينون به اليوم دين صحيح مقبول عند الله مساوٍ لدين الإسلام، بل من اعتقد ذلك فهو كافر خارج عن دين الإسلام؛ لأن الله

ـ عز وجل ـ يقول: ﴿**إن الدين عند الله الإسلام**﴾[1]. ويقول: ﴿**ومن يبتغ غير الإسلام دينًا فلن يقبل منه**﴾[2]. وهذا الإسلام الذي أشار الله إليه هو الإسلام الذي امتن الله به على محمد، صلى الله عليه وسلم، وأمته قال الله ـ تعالى ـ: ﴿**اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينًا**﴾[3]. وهذا نص صريح في أن من سوى هذه الأمة بعد أن بعث محمد، صلى الله عليه وسلم، ليسوا على الإسلام، وعلى هذا فما يدينون الله به لا يقبل منهم ولا ينفعهم يوم القيامة، ولا يحل لنا أن نعتبره دينًا قائمًا قويمًا، ولهذا يخطىء خطأً كبيرًا من يصف اليهود والنصارى بقوله إخوة لنا، أو أن أديانهم اليوم قائمة لما أسلفناه آنفًا.

وإذا قلنا إن الإسلام هو التعبد لله ـ سبحانه وتعالى ـ بما شرع شمل ذلك الاستسلام له ظاهرًا وباطنًا فيشمل الدين كله عقيدة، وعملاً، وقولاً، أما إذا قرن الإسلام بالإيمان فإن الإسلام يكون الأعمال الظاهرة من نطق اللسان وعمل الجوارح، والإيمان الأعمال الباطنة من العقيدة وأعمال القلوب، ويدل على هذا التفريق قوله ـ تعالى ـ: ﴿**قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولمّا يدخل الإيمان في قلوبكم**﴾[4]. وقال تعالى في قصة لوط: ﴿**فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين**﴾[5]. فإنه فرق هنا بين المؤمنين والمسلمين لأن

---

(١) سورة آل عمران، الآية «١٩».

(٢) سورة آل عمران، الآية «٨٥».

(٣) سورة المائدة، الآية «٣».

(٤) سورة الحجرات، الآية «١٤».

(٥) سورة الذاريات، الآية «٣٦».

البيت الذي كان في القرية بيت إسلامي في ظاهره إذ أنه يشمل امرأة لوط التي خانته بالكفر وهي كافرة، أما من أخرج منها ونجا فإنهم المؤمنون حقًّا الذين دخل الإيمان في قلوبهم ويدل لذلك ـ أي للفرق بين الإسلام والإيمان عند اجتماعهما ـ حديث عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ وفيه أن جبريل سأل النبي، صلى الله عليه وسلم، عن الإسلام والإيمان؟ فقال له النبي، صلى الله عليه وسلم: «**الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت**». وقال في الإيمان: «**أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره**».

فالحاصل أن الإسلام عند الإطلاق يشمل الدين كله ويدخل فيه الإيمان، وأنه إذا قرن مع الإيمان فسر الإسلام بالأعمال الظاهرة من أقوال اللسان وعمل الجوارح، وفسر الإيمان بالأعمال الباطنة من اعتقادات القلوب وأعمالها.

١٢ سئل الشيخ ـ أعظم الله مثوبته ـ: عن تعريف الإيمان عند أهل السنة والجماعة وهل يزيد وينقص؟

فأجاب بقوله: الإيمان عند أهل السنة والجماعة هو «الإقرار بالقلب، والنطق باللسان، والعمل بالجوارح». فهو يتضمن الأمور الثلاثة:

١ ـ إقرار بالقلب.

٢ ـ نطق باللسان.

٣ ـ عمل بالجوارح.

وإذا كان كذلك فإنه سوف يزيد وينقص، وذلك لأن الإقرار

بالقلب يتفاضل فليس الإقرار بالخبر كالإقرار بالمعاينة، وليس الإقرار بخبر الرجل كالإقرار بخبر الرجلين وهكذا، ولهذا قال إبراهيم، عليه الصلاة والسلام: ﴿**رب أرني كيف تحيي الموتى قال أو لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي**﴾[1]. فالإيمان يزيد من حيث إقرار القلب وطمأنينته وسكونه، والإنسان يجد ذلك من نفسه فعندما يحضر مجلس ذكر فيه موعظة، وذكر للجنة والنار يزداد الإيمان حتى كأنه يشاهد ذلك رأي العين، وعندما توجد الغفلة ويقوم من هذا المجلس يخف هذا اليقين في قلبه.

كذلك يزداد الإيمان من حيث القول فإن من ذكر الله عشر مرات ليس كمن ذكر الله مئة مرة، فالثاني أزيد بكثير.

وكذلك أيضًا من أتى بالعبادة على وجه كامل يكون إيمانه أزيد ممن أتى بها على وجه ناقص.

وكذلك العمل فإن الإنسان إذا عمل عملاً بجوارحه أكثر من الآخر صار الأكثر أزيد إيمانًا من الناقص، وقد جاء ذلك في القرآن والسنة - أعني إثبات الزيادة والنقصان - قال - تعالى -: ﴿**وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا ليستيقن الذين أوتوا الكتاب ويزداد الذين آمنوا إيمانًا**﴾[2]. وقال - تعالى -: ﴿**وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه إيمانًا فأما الذين آمنوا فزادتهم إيمانًا وهم يستبشرون وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسًا إلى رجسهم وماتوا وهم كافرون**﴾[3]. وفي الحديث

---

(١) سورة البقرة، الآية «٢٦٠».

(٢) سورة المدثر، الآية «٣١».

(٣) سورة التوبة، الآية «١٢٥».

الصحيح عن النبي، صلى الله عليه وسلم، قال: «**ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للبّ الرجل الحازم من إحداكن**». فالإيمان إذن يزيد وينقص.

ولكن ما سبب زيادة الإيمان؟

للزيادة أسباب:

السبب الأول: معرفة الله ـ تعالى ـ بأسمائه وصفاته، فإن الإنسان كلما ازداد معرفة بالله، وبأسمائه، وصفاته ازداد إيمانًا بلا شك، ولهذا تجد أهل العلم الذين يعلمون من أسماء الله وصفاته ما لا يعلمه غيرهم تجدهم أقوى إيمانًا من الآخرين من هذا الوجه.

السبب الثاني: النظر في آيات الله الكونية، والشرعية، فإن الإنسان كلما نظر في الآيات الكونية التي هي المخلوقات ازداد إيمانًا قال ـ تعالى ـ: ﴿**وفي الأرض آيات للموقنين وفي أنفسكم أفلا تبصرون**﴾[1]. والآيات الدالة على هذا كثيرة أعني الآيات الدالة على أن الإنسان بتدبره وتأمله في هذا الكون يزداد إيمانه.

السبب الثالث: كثرة الطاعات فإن الإنسان كلما كثرت طاعاته ازداد بذلك إيمانًا سواء كانت هذه الطاعات قولية، أم فعلية، فالذكر يزيد الإيمان كمية وكيفية، والصلاة والصوم، والحج تزيد الإيمان أيضًا كمية وكيفية.

أما أسباب النقصان فهي على العكس من ذلك:

فالسبب الأول: الجهل بأسماء الله وصفاته يوجب نقص الإيمان لأن الإنسان إذا نقصت معرفته بأسماء الله وصفاته نقص إيمانه.

---

(١) سورة الذاريات، الآيتان «٢٠، ٢١».

السبب الثاني: الإعراض عن التفكر في آيات الله الكونية والشرعية، فإن هذا يسبب نقص الإيمان، أو على الأقل ركوده وعدم نموه.

السبب الثالث: فعل المعصية فإن للمعصية آثارًا عظيمة على القلب وعلى الإيمان ولذلك قال النبي، صلى الله عليه وسلم: «**لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن**». الحديث.

السبب الرابع: ترك الطاعة فإن ترك الطاعة سبب لنقص الإيمان، لكن إن كانت الطاعة واجبة وتركها بلا عذر، فهو نقص يلام عليه ويعاقب، وإن كانت الطاعة غير واجبة، أو واجبة لكن تركها بعذر فإنه نقص لا يلام عليه، ولهذا جعل النبي، صلى الله عليه وسلم، النساء ناقصات عقل ودين وعلّل نقصان دينها بأنها إذا حاضت لم تصل ولم تصم، مع أنها لا تلام على ترك الصلاة والصيام في حال الحيض بل هي مأمورة بذلك لكن لما فاتها الفعل الذي يقوم به الرجل صارت ناقصة عنه من هذا الوجه.

١٣ وسئل أيضًا: كيف نجمع بين حديث جبريل الذي فسر فيه النبي، صلى الله عليه وسلم، الإيمان «بأن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره». وحديث وفد عبدالقيس الذي فسر فيه النبي، صلى الله عليه وسلم، الإيمان «بشهادة أن لا إلـه إلا الله وحده لا شريك له، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وأداء الخمس من الغنيمة»؟

فأجاب بقوله: قبل الإجابة على هذا السؤال أود أن أقول إن الكتاب والسنة ليس بينهما تعارض أبدًا، فليس في القرآن ما يناقض بعضه

بعضًا، وليس في السنة الصحيحة عن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، ما يناقض بعضه بعضًا، وليس في القرآن ولا في السنة ما يناقض الواقع أبدًا؛ لأن الواقع واقع حق، والكتاب والسنة حق، ولا يمكن التناقض في الحق، وإذا فهمت هذه القاعدة انحلت عنك إشكالات كثيرة. قال الله ـ تعالى ـ: ﴿**أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافًا كثيرًا**﴾[1]. فإذا كان الأمر كذلك فأحاديث النبي، صلى الله عليه وسلم، لا يمكن أن تتناقض فإذا فسر النبي، صلى الله عليه وسلم، الإيمان بتفسير، وفسره في موضع آخر بتفسير آخر يعارض في نظرك التفسير الأول، فإنك إذا تأملت لم تجد معارضة: ففي حديث جبريل، عليه الصلاة والسلام، قسَّم النبي، صلى الله عليه وسلم، الدين إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: الإسلام.

القسم الثاني: الإيمان.

القسم الثالث: الإحسان.

وفي حديث وفد عبدالقيس لم يذكر إلا قسمًا واحدًا وهو الإسلام. فالإسلام عند الإطلاق يدخل فيه الإيمان لأنه لا يمكن أن يقوم بشعائر الإسلام إلا من كان مؤمنًا فإذا ذكر الإسلام وحده شمل الإيمان، وإذا ذكر الإيمان وحده شمل الإسلام، وإذا ذكرا جميعًا صار الإيمان يتعلق بالقلوب، والإسلام يتعلق بالجوارح، وهذه فائدة مهمة لطالب العلم فالإسلام إذا ذكر وحده دخل فيه الإيمان قال الله ـ تعالى ـ: ﴿**إن الدين**

---

(١) سورة النساء، الآية «٨٢».

عند الله الإسلام﴾[1]. ومن المعلوم أن دين الإسلام عقيدة وإيمان وشرائع، وإذا ذكر الإيمان وحده دخل فيه الإسلام، وإذا ذكرا جميعًا صار الإيمان ما يتعلق بالقلوب، والإسلام ما يتعلق بالجوارح، ولهذا قال بعض السلف: «الإسلام علانية، والإيمان سر». لأنه في القلب، ولذلك ربما تجد منافقًا يصلي ويتصدق ويصوم فهذا مسلم ظاهرًا غير مؤمن كما قال ـ تعالى ـ: **﴿ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين﴾**[2].

١٤ وسئل: كيف نجمع بين أن الإيمان هو «الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره». وقول النبي، صلى الله عليه وسلم: «الإيمان بضع وسبعون شعبة. . . إلخ»؟

فأجاب قائلاً: الإيمان الذي هو العقيدة أصوله ستة وهي المذكورة في حديث جبريل، عليه الصلاة والسلام، حينما سأل النبي، صلى الله عليه وسلم، عن الإيمان فقال: «**الإيمان أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره**». متفق عليه.

وأما الإيمان الذي يشمل الأعمال، وأنواعها، وأجناسها فهو بضع وسبعون شعبة، ولهذا سمى الله ـ تعالى ـ الصلاة إيمانًا في قوله: **﴿وما كان الله ليضيع إيمانكم إن الله بالناس لرءوف رحيم﴾**[3]. قال المفسرون: إيمانكم يعني صلاتكم إلى بيت المقدس، لأن الصحابة كانوا قبل أن يؤمروا بالتوجه إلى الكعبة كانوا يصلون إلى المسجد الأقصى.

(١) سورة آل عمران، الآية «١٩».

(٢) سورة البقرة، الآية «٨».

(٣) سورة البقرة، الآية «١٤٣».

١٥ سئل فضيلة الشيخ: عن معنى قول النبي، صلى الله عليه وسلم: «إن الإيمان ليأرز إلى المدينة كما تأرز الحية إلى جحرها»؟

فأجاب ـ حفظه الله ـ بقوله: هذا الحديث يقول فيه الرسول، عليه الصلاة والسلام: **«إن الإيمان ليأرز إلى المدينة كما تأرز الحية إلى جحرها»**. و«يأرز» بكسر الراء ويجوز فيها الفتح والضم، ومعنى «يأرز» يرجع ويثبت في المدينة كما أن الحية إذا خرجت من جحرها رجعت إليه، وهذا إشارة من النبي، صلى الله عليه وسلم، إلى أن هذا الدين سوف يرجع إلى المدينة بعد أن تفسد البلدان الأخرى كما أن الحية تخرج وتنتشر في الأرض ثم بعد ذلك ترجع إلى جحرها.

وفيه أيضًا إشارة إلى أن الإسلام كما انطلق من المدينة فإنه يرجع إليها أيضًا، فإن الإسلام بقوته وسلطته لم ينتشر إلا من المدينة وإن كان أصله نابعًا في مكة، ومكة هي المهبط الأول للوحي، لكن لم يكن للمسلمين دولة وسلطان وجهاد إلا بعد أن هاجروا إلى المدينة، فلهذا كان الإسلام بسلطته ونفوذه وقوته منتشرًا من المدينة وسيرجع إليها في آخر الزمان.

وقال بعض أهل العلم: إن هذا إشارة إلى أمر سبق، وأن المعنى أن الناس يفدون إلى المدينة ويرجعون إليها ليتلقوا من رسول الله، صلى الله عليه وسلم، الشريعة والتعاليم الإسلامية.

ولكن المعنى الأول هو ظاهر الحديث وهو الأصح.

١٦ وسئل فضيلته: هل يشهد للرجل بالإيمان بمجرد اعتياده المساجد كما جاء في الحديث؟

فأجاب بقوله: نعم لا شك أن الذي يحضر الصلوات في المساجد، حضوره لذلك، دليل على إيمانه، لأنه ما حمله على أن يخرج من بيته ويتكلف المشي إلى المسجد إلا الإيمان بالله ـ عز وجل ـ.

وأما قول السائل «كما جاء في الحديث» فهو يشير إلى ما يروى عن النبي، صلى الله عليه وسلم: «**إذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا له بالإيمان**». ولكن هذا الحديث ضعيف لا يصح عن النبي، صلى الله عليه وسلم.

١٧ سئل فضيل الشيخ: عن هذا التقسيم للإيمان هل هو صحيح أو لا؟ «الإيمان خمسة: إيمان مطبوع وهو إيمان الملائكة، وإيمان معصوم وهو إيمان الأنبياء، وإيمان مقبول وهو إيمان المؤمنين، وإيمان مردود وهو إيمان المنافقين، وإيمان موقوف وهو إيمان المبتدعة».

فأجاب بقوله: أقول في هذا التقسيم إنه ليس بصحيح، لا من أجل التقسيم لأن التقسيم قد يكون صحيحًا في أصله ولا مشاحة في الاصطلاح والتقسيم، لكنه ليس بصحيح في حد ذاته فإن المنافقين قد نفى الله الإيمان عنهم في القرآن فقال ـ تعالى ـ: ﴿**ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين**﴾[١]. وإيمان البشر مطبوعون عليه لولا وجود المانع المقاوم. قال النبي، عليه الصلاة والسلام: «**كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهوّدانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه**». صحيح أن الملائكة لا يعصون الله ما أمرهم، وصحيح أن الأنبياء، عليهم الصلاة

(١) سورة البقرة، الآية «٨».

والسلام، لا يمكن أن يرتدوا بعد إيمانهم، ولكن التقسيم الثاني غير صحيح وهو أنه جعل الملائكة مطبوعين على الإيمان دون البشر، والبشر كما تقدم قد طبعوا على الإيمان بالله وتوحيده، وخير من ذلك أن نرجع إلى تقسيم السلف الصالح لأنه هو التقسيم الذي يكون مطابقًا للكتاب والسنة للإجماع عليه. وهو أن الإيمان قول باللسان، وعمل بالأركان، واعتقاد بالجنان.

١٨ سئل الشيخ: عن رجل يوسوس له الشيطان بوساوس عظيمة فيما يتعلق بالله - عز وجل - وهو خائف من ذلك جدًّا؟

فأجاب فضيلته بقوله: ما ذكر من جهة مشكلة السائل التي يخاف من نتائجها، أقول له: أبشر بأنه لن يكون لها نتائج إلاّ النتائج الطيبة، لأن هذه وساوس يصول بها الشيطان على المؤمنين، ليزعزع العقيدة السليمة في قلوبهم، ويوقعهم في القلق النفسي والفكري ليكدّر عليهم صفو الإيمان، بل صفوَ الحياةِ إن كانوا مؤمنين.

وليست حاله بأوّل حال تعرض لأهل الإيمان، ولا هي آخر حال، بل ستبقى ما دام في الدنيا مؤمن. ولقد كانت هذه الحالُ تعرض للصحابة - رضي الله عنهم - فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: جاء أناس من أصحاب رسول الله، صلى الله عليه وسلم، إلى النبي، صلى الله عليه وسلم، فسألوه: إنَّا نجد في أنفسنا ما يتعاظم أحدنا أن يتكلم به، فقال: «**أو قد وجدتموه؟**». قالوا: نعم، قال: «**ذاك صريح الإيمان**». رواه مسلم، وفي الصحيحين عنه أيضًا أن النبي، صلى الله عليه وسلم، قال: «**يأتي الشيطان أحدكُم فيقول من خلق كذا؟ من خلق كذا؟ حتى يقول**

من خلق ربك؟! فإذا بلغه فليستعذ بالله ولينته».

وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أن النبي، صلى الله عليه وسلم، جاءه رجل فقال: إني أحدث نفسي بالشيء لأن أكون حممة أحب إليَّ من أن أتكلم به، فقال النبي، صلى الله عليه وسلم: «**الحمد لله الذي رد أمره إلى الوسوسة**». رواه أبو داود.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ في كتاب الإيمان: والمؤمن يبتلى بوساوس الشيطان بوساوس الكفر التي يضيق بها صدره. كما قالت الصحابة يا رسول الله إن أحدنا ليجد في نفسه ما لأن يخر من السماء إلى الأرض أحب إليه من أن يتكلم به. فقال: «**ذاك صريح الإيمان**». وفي رواية ما يتعاظم أن يتكلَّم به. قال: «**الحمد لله الذي رد كيده إلى الوسوسة**». أي حصول هذا الوسواس مع هذه الكراهة العظيمة له، ودفعه عن القلب هو من صريح الإيمان، كالمجاهد الذي جاءه العدو فدافعه حتى غلبه، فهذا عظيم الجهاد، إلى أن قال: «ولهذا يوجد عند طلاب العلم والعبادة من الوساوس والشبهات ما ليس عند غيرهم، لأنه (أي الغير) لم يسلك شرع الله ومنهاجه، بل هو مقبل على هواه في غفلة عن ذكر ربه، وهذا مطلوب الشيطان بخلاف المتوجهين إلى ربهم بالعلم والعبادة، فإنه عدوهم يطلب صدّهم عن الله ـ تعالى ـ» أ.هـ. المقصود منه ذكره في ص ١٤٧ من الطبعة الهندية.

فأقول لهذا السائل: إذا تبيّن لك أن هذه الوساوس من الشيطان فجاهدها وكابدها، واعلم أنها لن تضرك أبدًا مع قيامك بواجب المجاهدة والإعراض عنها، والانتهاء عن الانسياب وراءها، كما قال النبي، صلى الله عليه وسلم: «**إن الله تجاوز عن أمتي ما وسوست به صدورها ما لم**

تعمل به أو تتكلم» . متفق عليه .

وأنت لو قيل لك : هل تعتقد ما توسوس به؟ وهل تراه حقًّا؟ وهل يمكن أن تصف الله ـ سبحانه ـ به؟ لقلت : ما يكون لنا أن نتكلم بهذا، سبحانك هذا بهتان عظيم ، ولأنكرت ذلك بقلبك ولسانك ، وكنت أبعد الناس نفورًا عنه ، إذن فهو مجرد وساوس وخطرات تعرض لقلبك ، وشباك شرك من الشيطان الذي يجري من ابن آدم مجرى الدم ، ليرديك ويلبس عليك دينك .

ولذلك تجد الأشياء التافهة لا يلقي الشيطان في قلبك الشك فيها أو الطعن ، فأنت تسمع مثلاً بوجود مدن مهمةٍ كبيرة مملوءة بالسكان والعمران في المشرق والمغرب ولم يخطر ببالك يومًا من الأيام الشك في وجودها أو عيبها بأنها خراب ودمار لا تصلح للسكنى ، وليس فيها ساكن ونحو ذلك ، إذ لا غرض للشيطان في تشكك الإنسان فيها ، ولكن الشيطان له غرض كبير في إفساد إيمان المؤمن ، فهو يسعى بخيله ورجله ليطفىء نور العلم والهداية في قلبه ، ويوقعه في ظلمة الشك والحيرة ، والنبي ، صلى الله عليه وسلم ، بيَّن لنا الدواء الناجع الذي فيه الشفاء ، وهو قوله : **«فليستعذ بالله ولينته»** . فإذا انتهى الإنسان عن ذلك واستمر في عبادة الله طلبًا ورغبة فيما عند الله زال ذلك عنه ، بحول الله ، فأعرض عن جميع التقديرات التي ترد على قلبك في هذا الباب وها أنت تعبد الله وتدعوه وتعظمه ، ولو سمعت أحدًا يصفه بما توسوس به لقتلته إن أمكنك ، إذن فما توسوس به ليس حقيقة واقعة بل هو خواطر ووساوس لا أصل لها ، كما لو انفتح على شخص طاهر الثوب قد غسل ثوبه لحينه ثم أخذ الوهم يساوره لعله تنجس لعله لا تجوز الصلاة به ، فإنه لا يلتفت إلى هذا .

ونصيحتي تتلخص فيما يأتي:

١ ـ الاستعاذة بالله، والانتهاء بالكلية عن هذه التقديرات كما أمر بذلك النبي، صلى الله عليه وسلم.

٢ ـ ذكر الله ـ تعالى ـ وضبط النفس عن الاستمرار في هذه الوساوس.

٣ ـ الانهماك الجدي في العبادة والعمل امتثالاً لأمر الله، وابتغاء لمرضاته، فمتى التفت إلى العبادة التفاتًا كليًّا بجدٍّ وواقعية نسيت الاشتغال بهذه الوساوس ـ إن شاءالله ـ.

٤ ـ كثرة اللجوء إلى الله والدعاء بمعافاتك من هذا الأمر.

وأسأل الله ـ تعالى ـ لك العافية والسلامة من كل سوء ومكروه.

١٩ وسئل أيضًا: عن شخص يوسوس إليه الشيطان بهذا السؤال: «من خلق الله؟» فهل يؤثر ذلك عليه؟

فأجاب بقوله: هذا الوسواس لا يؤثر عليه وقد أخبر النبي، عليه الصلاة والسلام، أن الشيطان يأتي إلى الإنسان فيقول من خلق كذا؟ ومن خلق كذا؟ إلى أن يقول من خلق الله؟ وأعلمنا رسول الله، صلى الله عليه وسلم، بالدواء الناجع وهو أن نستعيذ بالله من الشيطان الرجيم وننتهي عن هذا.

فإن طرأ عليك هذا الشيء وخطر ببالك فقل: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم وانته عنه وأعرض إعراضًا كليًّا وسيزول بإذن الله.

٢٠ وسئل الشيخ: هل يجب على الكافر أن يعتنق الإسلام؟

فأجاب بقوله: يجب على كل كافر أن يعتنق دين الإسلام ولو كان

نصرانيًّا أو يهوديًّا، لأن الله ـ تعالى ـ يقول في الكتاب العزيز: ﴿**قل يا أيها الناسُ إنّي رسولُ الله إليكم جميعًا الذي له ملكُ السمٰوات والأرض لا إلٰه إلا هو يُحيي ويُميت فآمنوا بالله ورسوله النبيّ الأميّ الذي يُؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلّكم تهتدون**﴾[1]. فواجب على جميع الناس أن يؤمنوا برسول الله، صلى الله عليه وسلم، إلا أن هذا الدين الإسلامي من رحمة الله ـ عزّ وجلّ ـ وحكمته أنه أباح لغير المسلمين أن يبقوا على ديانتهم بشرط أن يخضعوا لأحكام المسلمين فقال ـ تعالى ـ: ﴿**قاتلُوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يُحرّمون ما حرَّم الله ورسوله ولا يدينون دين الحقّ من الذين أوتوا الكتاب حتى يُعطوا الجزيةَ عن يدٍ وهم صاغرون**﴾[2]. وفي صحيح مسلم من حديث بُريدة أن النبي، صلى الله عليه وسلم، كان إذا أمَّر أميرًا على جيش أو سريَّة أمرهُ بتقوى الله وبمن معه من المسلمين خيرًا وقال: «**ادعهم إلى ثلاث خِصال أو خِلال فأيتهن أجابوك فاقبل منهم وكفّ عنهم**». ومن هذه الخصال أن يبذلوا الجزية.

ولهذا كان القول الراجح من أقوال أهل العلم أن الجزية تُقبل من غير اليهود والنصارى.

فالحاصل أن غير المسلمين يجب عليهم إما الدخول في الإسلام، وإما الخضوعُ لأحكامِ الإسلامِ، والله الموفق.

---

(١) سورة الأعراف، الآية «١٥٨».

(٢) سورة التوبة، الآية «٢٩».

٢١ سئل فضيلة الشيخ: كيف يمكن الجمع بين الأحاديث الآتية: «كان الله ولم يك شيء قبله، وكان عرشه على الماء وكتب بيده كل شيء ثم خلق السموات والأرض». وفي مسند الإمام أحمد عن لقيط بن صبرة قلت: يارسول الله أين كان ربنا قبل أن يخلق خلقه؟ قال: «كان في عماية..». وحديث: «أول ماخلق الله القلم». فظاهر هذه الأحاديث متعارض في أي المخلوقات أسبق في الخلق، وكذلك ماجاء أن أول المخلوقات هو محمد رسول الله، صلى الله عليه وسلم؟.

فأجاب بقوله: هذه الأحاديث متفقة مؤتلفة وليست بمختلفة، فأول ماخلق الله من الأشياء المعلومة لنا هو العرش واستوى عليه بعد خلق السموات، كما قال ـ تعالى: ـ **﴿وهو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام وكان عرشه على الماء ليبلوكم أيكم أحسن عملاً﴾**(١).

وأما بالنسبة للقلم فليس في الحديث دليل على أن القلم أول شيء خلق، بل معنى الحديث أنه في حين خلق القلم أمره الله بالكتابة، فكتب مقادير كل شيء.

وأما محمد، صلى الله عليه وسلم، فهو كغيره من البشر، خلق من ماء أبيه عبدالله بن عبدالمطلب، ولم يتميز على البشر من حيث الخلقة، كما قال عن نفسه: **«إنما أنا بشر أنسى كما تنسون»**. فهو عليه الصلاة

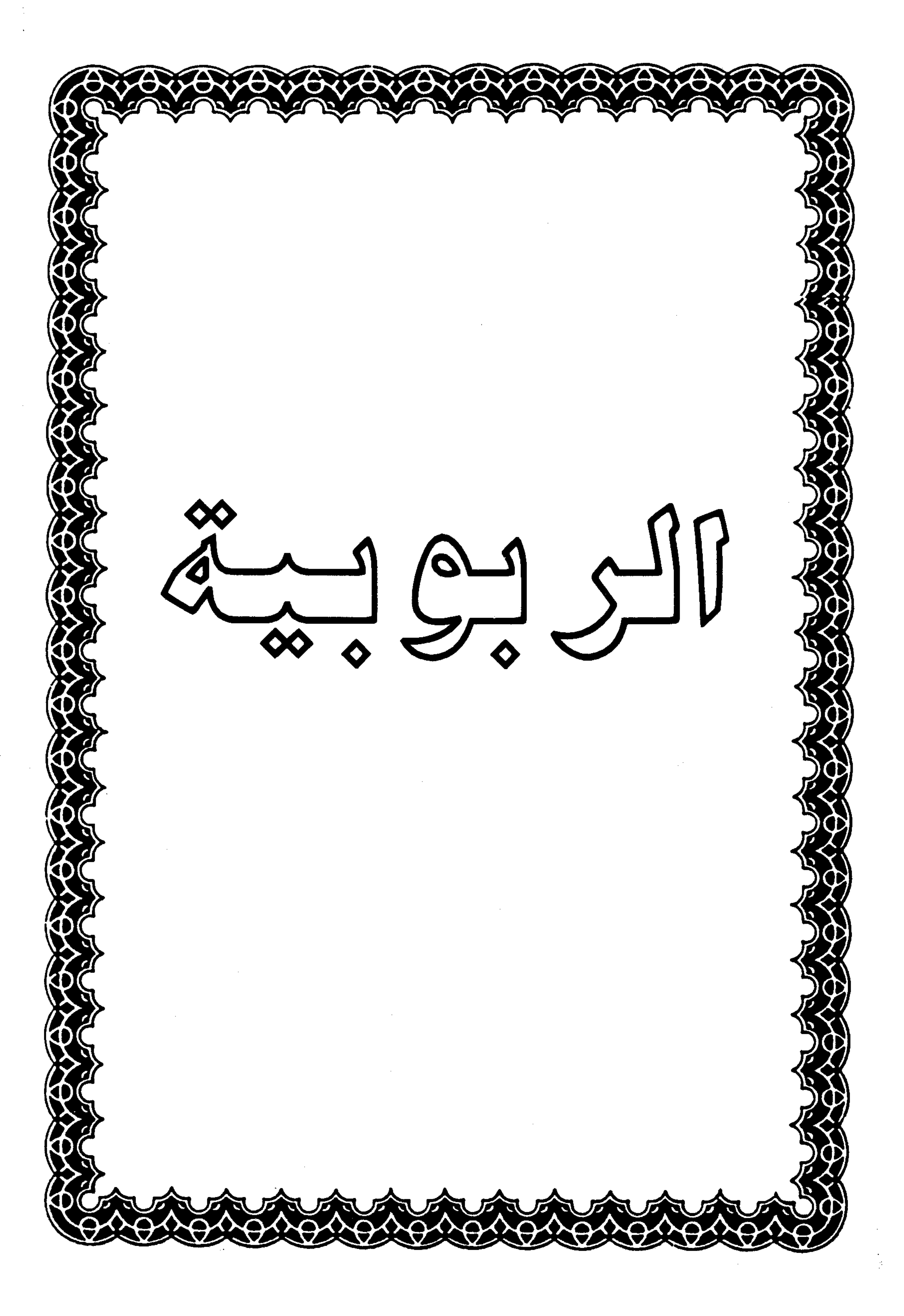
---

(١) سورة هود، الآية «٧».

والسلام، يجوع، ويعطش، ويبرد، ويصيبه الحر، ويمرض، ويموت، فكل شيء يعتري البشرية من حيث الطبيعة البشرية فإنه يعتريه، لكنه يتميز بأنه يوحى إليه وأنه أهل للرسالة كما قال ـ تعالى ـ: ﴿**الله أعلم حيث يجعل رسالته**﴾[1].

(١) سورة الأنعام، الآية «١٢٤».





الربوبية



٢٢ سئل فضيلة الشيخ: عن حكم من يدّعي علم الغيب؟

فأجاب بقوله: الحكم فيمن يدّعي علم الغيب أنه كافر؛ لأنه مكذّب لله ـ عز وجل ـ قال الله ـ تعالى ـ: ﴿**قل لا يعلم من في السمٰوات والأرض الغيب إلا الله وما يشعرون أيَّان يُبعثون**﴾[١]. وإذا كان الله ـ عز وجل ـ يأمر نبيه محمدًا، صلى الله عليه وسلم، أن يعلن للملأ أنه لا يعلم من في السمٰوات والأرض الغيب إلا الله، فإن من ادعى علم الغيب فقد كذب الله ـ عز وجل ـ في هذا الخبر. ونقول لهؤلاء كيف يمكن أن تعلموا الغيب والنبي، صلى الله عليه وسلم، لا يعلم الغيب؟! هل أنتم أشرف أم الرسول، صلى الله عليه وسلم؟! فإن قالوا نحن أشرف من الرسول. كفروا بهذا القول، وإن قالوا هو أشرف فنقول لماذا يحجب عنه الغيب وأنتم تعلمونه؟! وقد قال الله ـ عز وجل ـ عن نفسه: ﴿**عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدًا إلا من ارتضى من رسول فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدًا**﴾[٢]. وهذه آية ثانية تدل على كفر من ادعى علم الغيب، وقد أمر الله ـ تعالى ـ نبيه، صلى الله عليه وسلم، أن يعلن للملأ بقوله: ﴿**قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم إني ملك إن أتبع إلا ما يوحى إليَّ**﴾[٣].

---

(١) سورة النمل، الآية «٦٥».

(٢) .سورة الجن، الآيتان «٢٦، ٢٧».

(٣) سورة الأنعام، الآية «٥٠».

٢٣ سئل فضيلة الشيخ: كيف نوفق بين علم الأطباء الآن بذكورة الجنين وأنوثته، وقوله ـ تعالى ـ: ﴿ويعلم ما في الأرحام﴾(١) وما جاء في تفسير ابن جرير عن مجاهد أن رجلاً سأل النبي، صلى الله عليه وسلم، عما تلد امرأته، فأنزل الله الآية وما جاء عن قتادة ـ رحمه الله ـ؟ وما المخصص لعموم قوله ـ تعالى ـ: ﴿ما في الأرحام﴾؟

فأجاب بقوله: قبل أن أتكلم عن هذه المسألة أحبُّ أن أبيّن أنه لا يمكن أن يتعارض صريح القرآن الكريم مع الواقع أبدًا، وأنه إذا ظهر في الواقع ما ظاهره المعارضة، فإما أن يكون الواقع مجرد دعوى لا حقيقة له، وإما أن يكون القرآن الكريم غير صريح في معارضته، لأن صريح القرآن الكريم وحقيقة الواقع كلاهما قطعي، ولا يمكن تعارض القطعيين أبدًا.

فإذا تبينَّ ذلك فقد قيل: إنهم الآن توصلوا بواسطة الآلات الدقيقة للكشف عما في الأرحام، والعلم بكونه أنثى أو ذكرًا فإن كان ما قيل باطلاً فلا كلام، وإن كان صدقًا فإنه لا يعارض الآية، حيث إن الآية تدل على أمر غيبي هو متعلق علم الله ـ تعالى ـ في هذه الأمور الخمسة، والأمور الغيبية في حال الجنين هي: مقدار مدته في بطن أمه، وحياته، وعمله، ورزقه، وشقاوته أو سعادته، وكونه ذكرًا أم أنثى، قبل أن يُخلَّق، أما بعد أن يخلق، فليس العلم بذكورته أو أنوثته من علم الغيب، لأنه بتخليقه صار من علم الشهادة، إلا أنه مستتر في الظلمات الثلاثة، التي لو أزيلت لتبين أمره، ولا يبعد أن يكون فيما خلق الله ـ تعالى ـ من الأشعة أشعة قوية

(١) سورة لقمان، الآية «٣٤».

تخترق هذه الظلمات حتى يتبين الجنين ذكرًا أم أنثى. وليس في الآية تصريح بذكر العلم بالذكورة والأنوثة، وكذلك لم تأت السنة بذلك.

وأما ما نقله السائل عن ابن جرير عن مجاهد أن رجلاً سأل النبي، صلى الله عليه وسلم، عما تلد امرأته؛ فأنزل الله الآية. فالمنقول هذا منقطع لأن مجاهدًا ـ رحمه الله ـ من التابعين.

وأما تفسير قتادة ـ رحمه الله ـ فيمكن أن يحمل على أن اختصاص الله ـ تعالى ـ بعلمه ذلك إذا كان لم يُخلَّق، أما بعد أن يخلق فقد يعلمه غيره. قال ابن كثير ـ رحمه الله ـ في تفسير آية لقمان: وكذلك لا يعلم ما في الأرحام مما يريد أن يخلقه ـ تعالى ـ سواه، ولكن إذا أمر بكونه ذكرًا أو أنثى أو شقيًّا أو سعيدًا علم الملائكة الموكّلون بذلك ومن شاء من خلقه. ا. هـ.

وأما سؤالكم عن المخصص لعموم قوله ـ تعالى ـ: ﴿**ما في الأرحام**﴾. فنقول: إن كانت الآية تتناول الذكورة والأنوثة بعد التخليق فالمخصص الحس والواقع، وقد ذكر علماء الأصول أن المخصصات لعموم الكتاب والسنة إما النص، أو الإجماع، أو القياس، أو الحس، أو العقل، وكلامهم في ذلك معروف.

وإذا كانت الآية لا تتناول ما بعد التخليق وإنّما يُراد بها ما قبله، فليس فيها ما يعارض ما قيل من العلم بذكورة الجنين وأنوثته.

والحمد لله أنه لم يوجد ولن يوجد في الواقع ما يخالف صريح القرآن الكريم، وما طعن فيه أعداء المسلمين على القرآن الكريم من حدوث أمور ظاهرها معارضة القرآن الكريم فإنّما ذلك لقصور فهمهم لكتاب الله ـ تعالى ـ، أو تقصيرهم في ذلك لسوء نيتهم، ولكن عند أهل الدين والعلم من البحث والوصول إلى الحقيقة ما يدحض شبهة هؤلاء ولله الحمد والمنة.

والناس في هذه المسألة طرفان ووسط:

فطرف تمسك بظاهر القرآن الكريم الذي ليس بصريح، وأنكر خلافه من كل أمر واقع متيقن، فجلب بذلك الطعن إلى نفسه في قصوره أو تقصيره، أو الطعن في القرآن الكريم حيث كان في نظره مخالفًا للواقع المتيقن.

وطرف أعرض عمّا دل عليه القرآن الكريم وأخذ بالأمور المادية المحضة، فكان بذلك من الملحدين.

وأما الوسط فأخذوا بدلالة القرآن الكريم وصدقوا بالواقع، وعلموا أن كلا منهما حق، ولا يمكن أن يناقض صريح القرآن الكريم أمرًا معلومًا بالعيان، فجمعوا بين العمل بالمنقول والمعقول، وسلمت بذلك أديانهم وعقولهم، وهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

وفقنا الله وإخواننا المؤمنين لذلك، وجعلنا هداةً مهتدين، وقادة مصلحين، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت، وإليه أنيب.

٢٤ سئل فضيلة الشيخ: عن دوران الأرض؟ ودوران الشمس حول الأرض؟ وما توجيهكم لمن أسند إليه تدريس مادة الجغرافيا وفيها أن تعاقب الليل والنهار بسبب دوران الأرض حول الشمس؟

فأجاب فضيلته بقوله: خلاصة رأينا حول دوران الأرض أنه من الأمور التي لم يرد فيها نفي ولا إثبات لا في الكتاب ولا في السنة، وذلك لأن قوله ـ تعالى ـ: ﴿**وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم**﴾[1]. ليس

(١) سورة لقمان، الآية «١٠».

بصريح في دورانها، وإن كان بعض الناس قد استدلّ بها عليه محتجًّا بأن قوله: ﴿أن تميد بكم﴾. يدل على أن للأرض حركة، لولا هذه الرَّواسي لاضطربت بمن عليها.

وقوله: ﴿الله الذي جعل لكم الأرض قرارًا﴾[1]. ليس بصريح في انتفاء دورانها، لأنها إذا كانت محفوظة من الميدان في دورانها بما ألقى الله فيها من الرواسي صارت قرارًا، وإن كانت تدور.

أما رأينا حول دوران الشمس على الأرض الذي يحصل به تعاقب الليل والنهـار، فإننا مستمسكون بظاهر الكتاب والسنة من أن الشمس تدور على الأرض دورانًا يحصل به تعاقب الليل والنهار، حتى يقوم دليل قطعي يكـون لنا حجة بصرف ظاهر الكتاب والسنة إليه ـ وأنى ذلك ـ فالواجب على المؤمن أن يستمسك بظاهر القرآن الكريم والسنة في هذه الأمور وغيرها.

ومن الأدلـة على أن الشمس تدور على الأرض دورانـًا يحصل به تعاقب الليل والنهار، قوله ـ تعالى ـ: ﴿وترى الشمس إذا طلعت تَزَاوَرُ عن كهفهم ذاتَ اليمين وإذا غربت تقرضهم ذات الشمال﴾[2]. فهذه أربعة أفعال أسندت إلى الشمس ﴿طلعت﴾، ﴿تزاور﴾، ﴿غربت﴾، ﴿تقرضهم﴾. ولو كان تعاقب الليل والنهار بدوران الأرض لقال: وترى الشمس إذا تبيَّنَ سطح الأرض إليها تزاور كهفهم عنها أو نحو ذلك، وثبت عن النبي، صلى الله عليه وسلم، أنه قال لأبي ذرّ حين غربت الشمس: «أتـدري أين تذهب؟» فقـال: الله ورسـوله أعلم. قال: «فإنهاتذهب

---

(١) سورة غافر، الآية «٦٤».

(٢) سورة الكهف، الآية «١٧».

وتسجد تحت العرش وتستأذن فيؤذن لها، وأنها تستأذن فلا يؤذن لها ويقال: ارجعي من حيث جئت فتطلع من مغربها». ففي هذا إسناد الذهاب والرجوع، والطلوع إليها وهو ظاهر في أن الليل والنهار يكون بدوران الشمس على الأرض.

وأما ما ذكره علماء الفلك العصريون، فإنه لم يصل عندنا إلى حدّ اليقين فلا ندع من أجله ظاهر كتاب ربّنا وسنة نبينا.

ونقول لمن أسند إليه تدريس مادة الجغرافيا يبين للطلبة أن القرآن الكريم والسنة كلاهما يدلّ بظاهره على أن تعاقب الليل والنهار، إنما يكون بدوران الشمس على الأرض لا بالعكس.

فإذا قال الطالب: أيهما نأخذ به أظاهر الكتاب والسنة أم ما يدعيه هؤلاء الذين يزعمون أن هذه من الأمور اليقينيات؟

فجوابه: أنا نأخذ بظاهر الكتاب والسنة، لأن القرآن الكريم كلام الله ـ تعالى ـ الذي هو خالق الكون كله، والعالم بكل ما فيه من أعيان وأحوال، وحركة وسكون، وكلامه ـ تعالى ـ أصدق الكلام وأبينه، وهو سبحانه أنزل الكتاب تبيانًا لكل شيء، وأخبر ـ سبحانه ـ أنه يبين لعباده لئلا يضلّوا، وأما السنة فهي كلام رسول رب العالمين، وهو أعلم الخلق بأحكام ربه وأفعاله، ولا ينطق بمثل هذه الأمور إلا بوحي من الله ـ عزَّ وجلَّ ـ لأنه لا مجال لتلقيها من غير الوحي وفي ظنّي ـ والله أعلم ـ أنه سيجيء الوقت الذي تتحطم فيه فكرة علماء الفلك العصريين كما تحطمت فكرة داروين حول نشأة الإنسان.

[٢٥] سئل فضيلة الشيخ: عن دوران الشمس حول الأرض؟

فأجاب بقوله: ظاهر الأدلة الشرعية تثبت أن الشمس هي التي تدور على الأرض، وبدورتها يحصل تعاقب الليل والنهار على سطح الأرض، وليس لنا أن نتجاوز ظاهر هذه الأدلة إلا بدليل أقوى من ذلك يسوغ لنا تأويلها عن ظاهرها. ومن الأدلة على أن الشمس تدور على الأرض دورانًا يحصل به تعاقب الليل والنهار ما يلي:

١ ـ قال الله ـ تعالى ـ عن إبراهيم في محاجته لمن حاجه في ربه: ﴿**فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأتِ بها من المغرب**﴾[1]. فكون الشمس يؤتى بها من المشرق دليل ظاهر على أنها التي تدور على الأرض.

٢ ـ وقال أيضًا عن إبراهيم: ﴿**فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا أكبر فلما أفلت قال يا قوم إني بريء مما تشركون**﴾[2]. فجعل الأفول من الشمس لا عنها ولو كانت الأرض التي تدور لقال «فلما أفل عنها».

٣ ـ قال ـ تعالى ـ: ﴿**وترى الشمس إذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين وإذا غربت تقرضهم ذات الشمال**﴾[3]. فجعل الازورار والقرض من الشمس وهو دليل على أن الحركة منها ولو كانت من الأرض لقال يزاور كهفهم عنها، كما أن إضافة الطلوع والغروب إلى الشمس يدل على أنها هي التي تدور وإن كانت دلالتها أقل من دلالة قوله: ﴿**تزاور**﴾، ﴿**تقرضهم**﴾.

٤ ـ وقال ـ تعالى ـ: ﴿**وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل**

(١) سورة البقرة، الآية «٢٥٨».

(٢) سورة الأنعام، الآية «٧٨».

(٣) سورة الكهف، الآية «١٧».

في فلك يسبحون﴾[1]. قال ابن عباس - رضي الله عنهما -: يدورون في فلكة كفلكة المغزل. اشتهر ذلك عنه.

٥ - وقال - تعالى -: **﴿يغشي الليل النهار يطلبه حثيثًا﴾**[2]. فجعل الليل طالبًا للنهار، والطالب مندفع لاحق، ومن المعلوم أن الليل والنهار تابعان للشمس.

٦ - وقال - تعالى -: **﴿خلق السمٰوات والأرض بالحق يكوّر الليل على النهار ويكور النهار على الليل وسخر الشمس كل يجري لأجل مسمى ألا هو العزيز الغفار﴾**[3]. فقوله **﴿يكور الليل على النهار﴾** أي يديره عليه ككور العمامة دليل على أن الدوران من الليل والنهار على الأرض ولو كانت الأرض التي تدور عليهما لقال «يكور الأرض على الليل والنهار». وفي قوله: **﴿كل يجري لأجل مسمى﴾** المبين لما سبقه دليل على أن الشمس والقمر يجريان جريًا حسيًا مكانيًا لأن تسخير المتحرك بحركته أظهر من تسخير الثابت الذي لا يتحرك.

٧ - وقال - تعالى -: **﴿والشمس وضحاها والقمر إذا تلاها﴾**[4]. ومعنى **﴿تلاها﴾** أتى بعدها وهو دليل على سيرهما ودورانهما على الأرض ولو كانت الأرض التي تدور عليهما لم يكن القمر تاليًا للشمس بل كان تاليًا لها أحيانًا وتالية له أحيانًا لأن الشمس أرفع منه والاستدلال بهذه الآية يحتاج إلى تأمل.

---

(١) سورة الأنبياء، الآية «٣٣».

(٢) سورة الأعراف، الآية «٥٤».

(٣) سورة الزمر، الآية «٥».

(٤) سورة الشمس، الآيتان «١، ٢».

٨ ـ وقال ـ تعالى ـ: ﴿**والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون**﴾[1]. فإضافة الجريان إلى الشمس وجعله تقديرًا من ذي عزة وعلم يدل على أنه جريان حقيقي بتقدير بالغ، بحيث يترتب عليه اختلاف الليل والنهار والفصول. وتقدير القمر منازل يدل على تنقله فيها ولو كانت الأرض التي تدور لكان تقدير المنازل لها من القمر لا للقمر. ونفي إدراك الشمس للقمر وسبق الليل للنهار يدل على حركة اندفاع من الشمس والقمر والليل والنهار.

٩ ـ وقال النبي، صلى الله عليه وسلم، لأبي ذر ـ رضي الله عنه ـ وقد غربت الشمس: «**أتدري أين تذهب؟**» قال: الله ورسوله أعلم. قال: «**فإنها تذهب فتسجد تحت العرش فتستأذن فيؤذن لها، فيوشك أن تستأذن فلا يؤذن لها فيقال لها ارجعي من حيث جئت فتطلع من مغربها**». أو كما قال، صلى الله عليه وسلم. متفق عليه. فقوله: «ارجعي من حيث جئت، فتطلع من مغربها» ظاهر جدًا في أنها تدور على الأرض وبدورانها يحصل الطلوع والغروب.

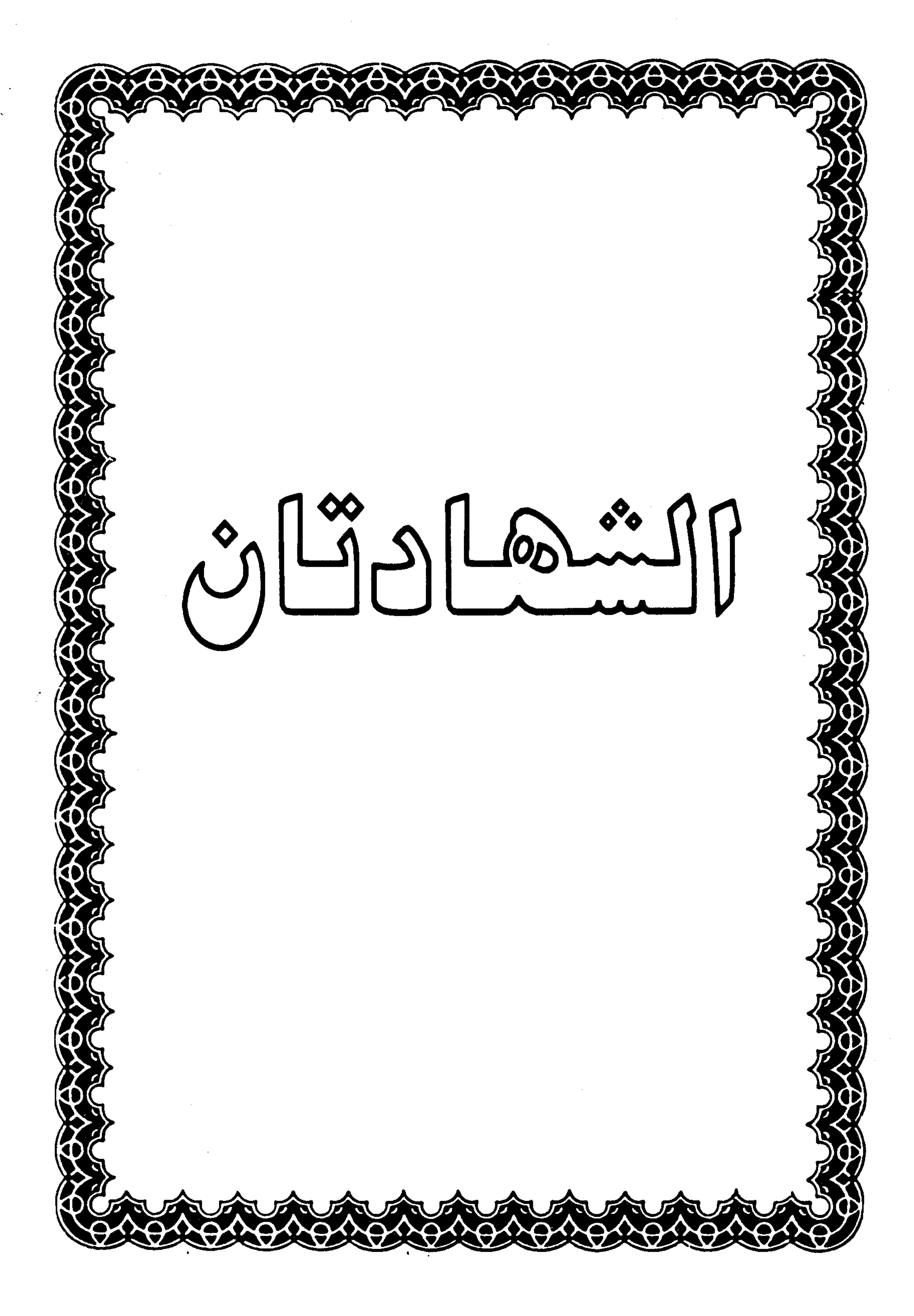
١٠ ـ الأحاديث الكثيرة في إضافة الطلوع والغروب والزوال إلى الشمس فإنها ظاهرة في وقوع ذلك منها لا من الأرض عليها.

ولعل هناك أدلة أخرى لم تحضرني الآن ولكن فيما ذكرت فتح باب وهو كاف فيما أقصد. والله الموفق.

---

(١) سورة يس، الآية «٣٨».





الشهادتان



٢٦ سئل فضيلة الشيخ: عن الشهادتين؟

فأجاب قائلاً: الشهادتان «شهادة أن لا إلـه إلا الله، وأن محمدًا رسول الله» هما مفتاح الإسلام ولا يمكن الدخول إلى الإسلام إلا بهما، ولهذا أمر النبي، صلى الله عليه وسلم، معاذ بن جبل - رضي الله عنه - حين بعثه إلى اليمن أن يكون أول ما يدعوهم إليه شهادة أن لا إلـه إلا الله، وأن محمدًا رسول الله.

فأما الكلمة الأولى: «شهادة أن لا إلـه إلا الله» فأن يعترف الإنسان بلسانه وقلبه بأنه لا معبود حق إلا الله - عز وجل - لأن إلـه بمعنى مألوه والتألـه التعبـد. والمعنى أنه لا معبود حق إلا الله وحده، وهذه الجملة مشتملة على نفي وإثبات، أما النفي فهو «لا إلـه»، وأما الإثبات ففي «إلا الله» والله «لفظ الجلالة» بدل من خبر «لا» المحذوف، والتقدير «لا إلـه حق إلا الله» فهو إقرار باللسان بعد أن آمن به القلب بأنه لا معبود حق إلا الله - عز وجل - وهذا يتضمن إخلاص العبادة لله وحده ونفي العبادة عما سواه.

وبتقـديرنـا الخبر بهذه الكلمة «حق» يتبين الجواب عن الإشكال الذي يورده كثير من الناس وهو: كيف تقولون لا إلـه إلا الله مع أن هناك آلهة تعبد من دون الله وقد سماها الله - تعالى - آلهة وسماها عابدها آلهة قال الله - تبارك وتعالى -: **﴿فما أغنت عنهم آلهتهم التي يدعون من دون الله من شيء لما جاء أمـر ربـك﴾**(١). وقال - تعالى -: **﴿ولا تجعل مع الله إلـهًا**

(١) سورة هود، الآية «١٠١».

آخر﴾[1]. وقال ـ تعالى ـ: ﴿ولا تدع مع الله إلـهًا آخر﴾[2]. وقوله: ﴿لن ندعوا من دونه إلـهًا﴾[3]. فكيف يمكن أن نقول لا إلـه إلا الله مع ثبوت الألوهية لغير الله ـ عز وجل ـ؟ وكيف يمكن أن نثبت الألوهية لغير الله ـ عز وجل ـ والرسل يقولون لأقوامهم: ﴿اعبدوا الله مالكم من إلـه غيره﴾[4]؟

والجـواب على هذا الإشكال يتبين بتقدير الخبر في لا إلـه إلا الله فنقول: هذه الآلهة التي تعبد من دون الله هي آلهة، لكنها آلهة باطلة ليست آلهة حقة وليس لها من حق الألوهية شيء، ويدل لذلك قوله ـ تعالى ـ: ﴿ذلك بأن الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه الباطل وأن الله هو العلي الكبير﴾[5]. ويدل لذلك أيضًا قوله ـ تعالى ـ: ﴿أفرأيتم اللاتَ والعزَّى ومناةَ الثالثة الأخرى ألكم الذكر وله الأنثى تلك إذًا قسمة ضيزى إن هي إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان﴾[6]. وقوله ـ تعالى ـ عن يوسف، عليه الصلاة والسلام: ﴿ما تعبدون من دونه إلا أسماءً سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان﴾[7]. إذن فمعنى «لا إلـه إلا الله» لا معبود حق إلا الله ـ عز وجل ـ، فأما المعبودات سواه فإن ألوهيتها التي يزعمها عابدها ليست حقيقية، أي ألوهية باطلة، بل الألوهية الحق هي ألوهية الله ـ عز وجل ـ.

(١) سورة الإسراء، الآية «٣٩».
(٢) سورة القصص، الآية «٨٨».
(٣) سورة الكهف، الآية «١٤».
(٤) سورة الأعراف، الآية «٥٩».
(٥) سورة لقمان، الآية «٣٠».
(٦) سورة النجم، الآيات «١٩ ـ ٢٣».
(٧) سورة يوسف، الآية «٤٠».

أما معنى شهادة «أن محمدًا رسول الله» فهو الإقرار باللسان والإيمان بالقلب بأن محمد بن عبدالله القرشي الهاشمي رسول الله ـ عز وجل ـ إلى جميع الخلق من الجن والإنس كما قال الله ـ تعالى ـ: ﴿**قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعًا الذي له ملك السمٰوات والأرض لا إلٰه إلا هو يحيي ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون**﴾[1]. وقال ـ تعالى ـ: ﴿**تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرًا**﴾[2]. ومقتضى هذه الشهادة أن تصدق رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فيما أخبر، وأن تمتثل أمره فيما أمر، وأن تجتنب ما عنه نهى وزجر، وأن لا تعبد الله إلا بما شرع، ومقتضى هذه الشهادة أيضًا أن لا تعتقد أن لرسول الله، صلى الله عليه وسلم، حقًا في الربوبية وتصريف الكون، أو حقًا في العبادة، بل هو، صلى الله عليه وسلم، عبد لا يُعبد، ورسول لا يكذب، ولا يملك لنفسه ولا لغيره شيئًا من النفع أو الضر إلا ما شاء الله كما قال الله ـ تعالى ـ: ﴿**قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم إني ملك إن أتبع إلا ما يوحى إلي**﴾[3]. فهو عبد مأمور يتبع ما أمر به، وقال الله ـ تعالى ـ: ﴿**قل إني لا أملك لكم ضرًا ولا رشدًا قل إني لن يجيرني من الله أحد ولن أجد من دونه ملتحدًا**﴾[4]. وقال ـ سبحانه ـ: ﴿**قل لا أملك لنفسي نفعًا ولا ضرًا إلا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني**

---

(١) سورة الأعراف، الآية «٥٨».

(٢) سورة الفرقان، الآية «١».

(٣) سورة الأنعام، الآية «٥٠».

(٤) سورة الجن، الآيتان «٢١، ٢٢».

السوء إن أنا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون﴾[1] . فهذا معنى شهادة (أن لا إلـه إلا الله ، وأن محمدًا رسول الله) .

وبهذا المعنى تعلم أنه لا يستحق العبادة لا رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، ولا من دونه من المخلوقين ، وأن العبادة ليست إلا لله ـ تعالى ـ وحده . ﴿قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أُمرت وأنا أول المسلمين﴾[2] . وأن حقه ، صلى الله عليه وسلم ، أن تنـزلـه المنـزلة التي أنزله الله ـ تعالى ـ إيّاها وهو أنه عبدالله ورسوله ، صلوات الله وسلامه عليه .

٢٧ وسئل فضيلته : كيف كانت «لا إلـه إلا الله» مشتملة على جميع أنواع التوحيد؟

فأجاب بقوله : هي تشمل جميع أنواع التوحيد كلها ؛ إما بالتضمن ، وإما بالالتزام ، وذلك أن قول القائل «أشهد أن لا إلـه إلا الله» يتبادر إلى الـذهن أن المراد بها توحيد العبادة ـ الذي يسمى توحيد الألوهية ـ وهو متضمن لتوحيد الربوبية ؛ لأن كل من عبد الله وحده ، فإنه لن يعبده حتى يكون مقرًّا له بالربوبية ؛ وكذلك متضمن لتوحيد الأسماء والصفات ؛ لأن الإنسـان لا يعبـد إلا من علم أنـه مستحق للعبـادة ، لما له من الأسماء والصفات ، ولهذا قال إبراهيم لأبيه : ﴿يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئًا﴾[3] . فتوحيد العبادة متضمن لتوحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات .

---

(١) سورة الأعراف، الآية «١٨٨» .

(٢) سورة الأنعام، الآية «١٦٢» .

(٣) سورة مريم، الآية «٤٢» .

[٢٨] سئل فضيلة الشيخ: عن قول بعض الناس إن معنى «لا إلـه إلا الله» إخـراج اليقين الفاسد على الأشياء وإدخال اليقـين الصـادق على الله؛ أنـه هو الضـار والنـافع والمحيي والمميت، وكل شيء لا يضر ولا ينفع وأن الله هو الذي وضع فيه الضرّ والنّفع؟

فأجاب بقوله: قول هذا القائل قول ناقص، فإن هذا المعنى من معانى «لا إلـه إلا الله» ومعناها الحقيقي الذي دعا إليه رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وكفـر به المشركون أنه لا معبود بحق إلا الله، فالإلـه بمعنى مفعول، وتأتي فعال بمعنى مفعول، وهذا كثير، ومنه فِراش بمعنى مفـروش، وبنـاء بمعنى مبني، وغـراس بمعنى مغروس، فإلـه بمعنى مألوه، أي الذي تألهه القلوب وتحبه وتعظمه ولا يستحق هذا حقًّا إلا الله. فهذا معنى لا إلـه إلا الله.

وقد قسَّم العلماء التوحيد إلى أقسام ثلاثة: ربوبية، وألوهية، وأسماء وصفـات، فتـوحيد الـربـوبية هو إفـراد الله ـ سبحـانه ـ بالخلق والملك والتـدبـير، وتـوحيد الألـوهية هو إفراد الله ـ سبحانه ـ بالعبادة، وتوحيد الأسماء والصفات هو إفراد الله بما يجب له من الأسماء والصفات بأن نثبتها لله ـ تعالى ـ على وجه الحقيقة من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل.

وقد يقول البعض إن هذا التقسيم للتوحيد بدعة. ولكن نقول بتتبع النصوص الواردة في التوحيد وجدناها لا تخرج عن هذه الأقسام الثلاثة، والاستدلال المبني على التتبع والاستقراء ثابت حتى في القرآن، كما في قوله

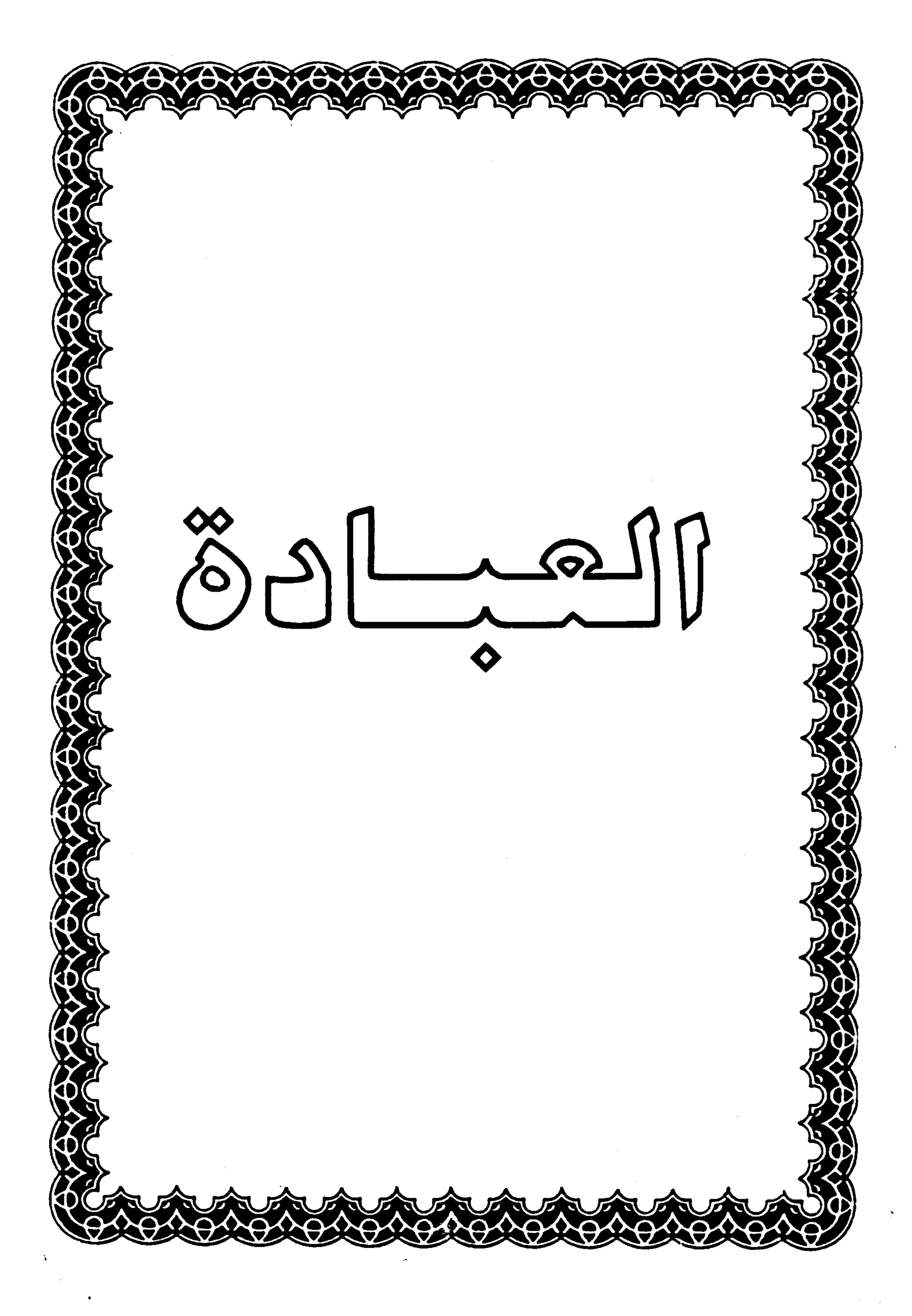
ـ تعالى ـ: ﴿أفرأيت الذي كفر بآياتنا وقال لأوتين مالاً وولدًا أطلع الغيب أم اتَّخذ عند الرحمن عهدًا﴾[1]. والجواب: لا هذا ولا هذا. ولهذا قال ـ تعالى ـ: ﴿كلا سنكتب ما يقول﴾.

وبعض المتكلمين قالوا: التوحيد أن تؤمن أن الله واحد في أفعاله لا شريك له، واحد في ذاته لا جزء له، واحد في صفاته لا شبيه له، وهذا تقسيم قاصر.

٢٩ سئل ـ حفظه الله ـ: عن أول واجب على الخلق؟

فأجاب بقوله: أول واجب على الخلق هو أول ما يدعى الخلق إليه وقد بيّنه النبي، صلى الله عليه وسلم، لمعاذ بن جبل ـ رضي الله عنه ـ حين بعثه لليمن فقال له: «**إنك تأتي قومًا أهل كتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله**». فهذا أول واجب على العباد أن يوحدوا الله ـ عز وجل ـ، وأن يشهدوا لرسوله، صلى الله عليه وسلم، بالرسالة. وبتوحيد الله ـ عز وجل ـ والشهادة لرسوله، صلى الله عليه وسلم، يتحقق الإخلاص، والمتابعة اللذان هما شرط لقبول كل عبادة.

(١) سورة مريم، الآيات «٧٧ ـ ٧٩».



العبادة



٣٠ **سئل فضيلة الشيخ: ـ جزاه الله خيراً ـ: عن الحكمة من خلق الجن والإنس؟**

فأجاب قائلاً: قبل أن أتكلم عن هذا السؤال أحب أن أنبه على قاعدة عامة فيما يخلقه الله ـ عز وجلّ ـ وفيما يشرعه.

وهذه القاعدة مأخوذة من قوله ـ تعالى ـ: ﴿**وهو العليم الحكيم**﴾[1]. وقوله: ﴿**إن الله كان عليمًا حكيمًا**﴾[2]. وغيرهما من الآيات الكثيرة الدالة على إثبات الحكمة لله ـ عز وجل ـ فيما يخلقه وفيما يشرعه أي في أحكامه الكونية، وأحكامه الشرعية، فإنه ما من شيء يخلقه الله ـ عز وجل ـ إلا وله حكمة سواء كان ذلك في إيجاده أو في إعدامه، وما من شيء يشرعه الله ـ تعالى ـ إلا لحكمة سواء كان ذلك في إيجابه، أو تحريمه، أو إباحته، لكن هذه الحكم التي يتضمنها حكمه الكوني والشرعي قد تكون معلومة لنا، وقد تكون مجهولة، وقد تكون معلومة لبعض الناس دون بعض حسب ما يؤتيهم الله ـ سبحانه وتعالى ـ من العلم والفهم؛ إذا تقرر هذا فإننا نقول إن الله ـ سبحانه وتعالى ـ خلق الجن والإنس لحكمة عظيمة وغاية حميدة، وهي عبادته ـ تبارك وتعالى ـ كما قال ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿**وما خلقتُ الجن والإنس إلا ليعبدون**﴾[1]. وقال ـ تعالى ـ: ﴿**أفحسبتم**

---

(١) سورة التحريم، الآية «٢».

(٢) سورة النساء، الآية «٢٤».

(٣) سورة الذاريات، الآية «٥٦».

أنما خلقناكم عبثًا وأنكم إلينا لا ترجعون﴾[1] . وقال ـ تعالى ـ: ﴿أيحسب الإنسان أن يترك سدى﴾[2] إلى غير ذلك من الآيات الدالة على أن لله ـ تعالى ـ حكمة بالغة من خلق الجن والإنس وهي عبادته والعبادة هي: «التذلل لله ـ عز وجل ـ محبة وتعظيمًا بفعل أوامره واجتناب نواهيه على الوجه الذي جاءت به شرائعه». قال الله ـ تعالى ـ: ﴿وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء﴾[3] . فهذه الحكمة من خلق الجن والإنس، وعلى هذا فمن تمرد على ربه واستكبر عن عبادته فإنه يكون نابذًا لهذه الحكمة التي خلق الله العباد من أجلها، وفعله يشهد أن الله خلق الخلق عبثًا وسدى، وهو وإن لم يصرح بذلك لكن هذا هو مقتضى تمرده واستكباره عن طاعة ربه.

٣١ **وسئل فضيلته: عن مفهوم العبادة؟**

فأجاب بقوله: العبادة لها مفهوم عام، ومفهوم خاص.

فالمفهوم العام: هي «التذلل لله محبة وتعظيمًا بفعل أوامره، واجتناب نواهيه على الوجه الذي جاءت به شرائعه».

والمفهوم الخاص: يعني تفصيلها. قال فيه شيخ الإسلام ابن تيمية هي «اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال، والأعمال الظاهرة والباطنة كالخوف، والخشية، والتوكل، والصلاة، والزكاة، والصيام، وغير ذلك من شرائع الإسلام».

وقد يكون قصد السائل بمفهوم العبادة ما ذكره بعض العلماء من أن

---

(١) سورة المؤمنون، الآية «١١٥».

(٢) سورة القيامة، الآية «٣٦».

(٣) سورة البينة، الآية «٥».

العبادة إما عبادة كونية، أو عبادة شرعية، يعني أن الإنسان قد يكون متذللاً لله ـ سبحانه وتعالى ـ تذللاً كونيًا وتذللاً شرعيًا.

فالعبادة الكونية تشمل المؤمن والكافر، والبر والفاجر لقوله ـ تعالى ـ: ﴿**إن كلُّ من في السمٰوات والأرض إلا آتي الرحمن عبدًا**﴾[1]. فكل من في السمٰوات والأرض فهو خاضع لله ـ سبحانه وتعالى ـ كونًا فلا يمكن أبدًا أن يضاد الله أو يعارضه فيما أراد ـ سبحانه وتعالى ـ بالإرادة الكونية.

وأما العبادة الشرعية: فهي التذلل له ـ سبحانه وتعالى ـ شرعًا فهذه خاصة بالمؤمنين بالله ـ سبحانه وتعالى ـ القائمين بأمره، ثم إن منها ما هو خاص أخص كعبودية الرسل، عليهم الصلاة والسلام، مثل قوله ـ تعالى ـ: ﴿**تبارك الذي نزَّل الفرقان على عبده**﴾[2] وقوله: ﴿**وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا**﴾[3]. وقوله: ﴿**واذكر عبادنا إبراهيم وإسحاق ويعقوب**﴾[4]. وغير ذلك من وصف الرسل، عليهم الصلاة والسلام، بالعبودية.

والعابدون بالعبودية الكونية لا يثابون عليها؛ لأنهم خاضعون لله ـ تعالى ـ شاءوا أم أبوا، فالإنسان يمرض، ويفقر، ويفقد محبوبه من غير أن يكون مريدًا لذلك بل هو كاره لذلك لكن هذا خضوع لله ـ عز وجل ـ خضوعًا كونيًا.

---

(١) سورة مريم، الآية «٩٣».

(٢) سورة الفرقان، الآية «١».

(٣) سورة البقرة، الآية «٢٣».

(٤) سورة ص، الآية «٤٥».

٣٢ **وسئل ـ حفظه الله تعالى ـ: هل يجوز للإنسان أن يدعو على نفسه بالموت؟**

فأجاب قائلاً: دعاء الإنسان على نفسه بالموت حرام ولا يجوز لأن النبي، صلى الله عليه وسلم، يقول: «**لا يتمنين أحدُكم الموتَ لضر نزل به**». فعلى الإنسان أن يصبر ويحتسب وأن يسأل الله الهداية والثبات، وإذا كان مصابًا بضرٍّ فليسأل الله العافية فإن الأمر كله لله. والله ولي التوفيق.

٣٣ **وسئل: عن قول الإنسان في دعائه «إن شاءالله»؟**

فأجاب قائلاً: لا ينبغي للإنسان إذا دعا الله ـ سبحانه وتعالى ـ أن يقول: «إن شاءالله» في دعائه بل يعزم المسألة ويعظم الرغبة فإن الله ـ سبحانه وتعالى ـ لا مكره له وقد قال ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿**ادعوني أستجب لكم**﴾[1]. فوعد بالاستجابة وحينئذٍ لا حاجة إلى أن يقال إن شاء الله لأن الله ـ سبحانه وتعالى ـ إذا وفق العبد للدعاء فإنه يجيبه إما بمسألته، أو بأن يرد عنه شرًّا، أو يدخرها له يوم القيامة، وقد ثبت عن النبي، صلى الله عليه وسلم، أنه قال: «**لا يقل أحدكم اللهم اغفر لي إن شئت، اللهم ارحمني إن شئت، ليعزم المسألة وليعظم الرغبة فإن الله تعالى لا مكره له**».

فإن قال قائل: ألم يثبت عن النبي، صلى الله عليه وسلم، أنه كان يقول للمريض: «**لا بأس طهور إن شاءالله**»؟

فنقول: بلى ولكن هذا يظهر أنه ليس من باب الدعاء وإنما هو من باب الخبر والرجاء وليس دعاء، فإن الدعاء من آدابه أن يجزم به المرء. والله أعلم.

---

(١) سورة غافر، الآية «٦٠».

٣٤ سئل فضيلة الشيخ: عن الجمع بين قول النبي، صلى الله عليه وسلم: «لا يقل أحدكم اللهم اغفر لي إن شئت اللهم ارحمني إن شئت، ليعزم المسألة وليعظم الرغبة فإن الله لا مكره له» وقوله: «ذهب الظمأ وابتلّت العروق وثبت الأجر إن شاءالله»؟

فأجاب بقوله: الحديث الأول صحيح، وفي لفظ: «**إن الله لا يتعاظمه شيء أعطاه**». وهذه الصيغة التي نهى عنها رسول الله: «**اللهم اغفر لي إن شئت**» تشعر بمعان فاسدة:

منها أن أحدًا يكره الله، ومنها أن مغفرة الله ورحمته أمر عظيم لا يعطيه الله لك، ولذلك قال: «**فإن الله لا يتعاظمه شيء أعطاه**». وأنت لو سألت رجلاً من الناس فقلت أعطني مليون ريال إن شئت. فهذا يتعاظمه ولذلك قلت له: إن شئت. وكذلك فهو مشعر بأنك مستغن عن عطية المسئول فإن أعطاك وإلا فلا يهمك، ولهذا نهى رسول الله، صلى الله عليه وسلم، عن قول «إن شئت».

أما ما جاء في الحديث الثاني من قول «إن شاء الله» فهي أخف وقعًا من قول إن شئت، لأن القائل قد يريد بها التبرّك لا التعليق.

فوجه الجمع أن التعبير بإن شاء الله أهون من إن شئت.

ويرد على ذلك أن هذا يفيد أن قول إن شاء الله منهي عنه لكن دون قول إن شئت. فكيف يكون منهيًا عنه ثم يقوله النبي، صلى الله عليه وسلم، كما في الحديث الثاني الذي ذكره السائل؟ وإن كان فيه نظر من حيث الصحة، لكن ثبت في الحديث الصحيح أن النبي، صلى الله عليه وسلم، كان إذا عاد مريضًا يقول: «**لا بأس طهورًا إن شاءالله**». وهذه

الجملة وإن كانت خبرية فمعناها طلبي. والجواب أن هذه الجملة مبنية على الرجاء لأن يكون المرض طهورًا من الذنب وهذا كما في حديث: «**وثبت الأجر إن شاءالله**». فهو على الرجاء.

٣٥ سئل فضيلة الشيخ: ما المراد بقول النبي، صلى الله عليه وسلم، «لا يسأل بوجه الله إلا الجنة»؟

فأجاب رعاه الله بقوله: اختلف في المراد به على قولين:

القول الأول: أن المراد لا تسألوا أحدًا من المخلوقين بوجه الله فإذا أردت أن تسأل أحدًا من المخلوقين لا تسأله بوجه الله، لأنه لا يسأل بوجه الله إلا الجنة، والخلق لا يقدرون على إعطاء الجنة، فإذًا لا يسألون بوجه الله مطلقًا.

القول الثاني: أنك إذا سألت الله فإن كان الجنة وما يستلزم دخولها فاسأل بوجه الله، وإن كان من أمور الدنيا فلا تسأل بوجه الله، فأمور الآخرة تسأل بوجه الله كقولك مثلاً: أسألك بوجهك أن تنجيني من النار. والنبي، صلى الله عليه وسلم، استعاذ بوجه الله لما نزل قوله ـ تعالى ـ: ﴿**قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابًا من فوقكم**﴾[1] قال: أعوذ بوجهك ﴿**أو من تحت أرجلكم**﴾[2] قال: أعوذ بوجهك ﴿**أو يلبسكم شيعًا ويذيق بعضكم بأس بعض**﴾[3] قال هذه أهون أو أيسر.

ولو قيل إنه يحتمل المعنيين جميعًا لكان له وجه.

---

(١) سورة الأنعام، الآية «٦٥».

(٢) سورة الأنعام، الآية «٦٥».

(٣) سورة الأنعام، الآية «٦٥».

[٣٦] وسئل فضيلة الشيخ: لماذا يدعو الإنسان ولا يستجاب له؟ والله ـ عز وجل ـ يقول: ﴿ادعوني أستجب لكم﴾(١)؟

فأجاب فضيلته بقوله: الحمد لله رب العالمين، وأصلي وأسلم على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين، وأسأل الله ـ تعالى ـ لي ولإخواني المسلمين التوفيق للصواب عقيدة، وقولاً، وعملاً، يقول الله ـ عز وجل ـ: **﴿وقال ربكم ادعوني أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين﴾**(٢). ويقول السائل: إنه دعا الله ـ عز وجل ـ ولم يستجب الله له فيستشكل هذا الواقع مع هذه الآية الكريمة التي وعد الله ـ تعالى ـ فيها من دعاه بأن يستجيب له والله ـ سبحانه وتعالى ـ لا يخلف الميعاد. والجواب على ذلك أن للإجابة شروطًا لابد أن تتحقق وهي:

الشرط الأول: الإخلاص لله ـ عز وجل ـ بأن يخلص الإنسان في دعائه فيتجه إلى الله ـ سبحانه وتعالى ـ بقلب حاضر صادق في اللجوء إليه عالم بأنه ـ عز وجل ـ قادر على إجابة الدعوة، مؤمل الإجابة من الله ـ سبحانه وتعالى ـ.

الشرط الثاني: أن يشعر الإنسان حال دعائه بأنه في أمسّ الحاجة بل في أمسّ الضرورة إلى الله ـ سبحانه وتعالى ـ وأن الله ـ تعالى ـ وحده هو الذي يجيب دعوة المضطر إذا دعاه ويكشف السوء، أما أن يدعو الله ـ عز وجل ـ وهو يشعر بأنه مستغن عن الله ـ سبحانه وتعالى ـ وليس في ضرورة

---

(١) سورة غافر، الآية «٦٠».

(٢) سورة غافر، الآية «٦٠».

إليه وإنما يسأل هكذا عادة فقط فإن هذا ليس بحري بالإجابة.

الشرط الثالث: أن يكون متجنبًا لأكل الحرام فإن أكل الحرام حائل بين الإنسان والإجابة كما ثبت في الصحيح عن النبي، صلى الله عليه وسلم، أنه قال: «**إن الله طيب لا يقبل إلا طيبًا وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين**» فقال ـ تعالى ـ: ﴿**يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله إن كنتم إياه تعبدون**﴾[1]. وقال ـ تعالى ـ: ﴿**يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحًا**﴾[2]. ثم ذكر النبي، صلى الله عليه وسلم، الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء يا رب، يا رب، ومطعمه حرام، وملبسه حرام، وغذي بالحرام. قال النبي، صلى الله عليه وسلم: «**فأنى يُستجاب له**». فاستبعد النبي، صلى الله عليه وسلم، أن يستجاب لهذا الرجل الذي قام بالأسباب الظاهرة التي بها تستجلب الإجابة وهي:

أولاً: رفع اليدين إلى السماء أي إلى الله ـ عز وجل ـ لأنه ـ تعالى ـ في السماء فوق العرش، ومد اليد إلى الله ـ عز وجل ـ من أسباب الإجابة كما جاء في الحديث الذي رواه الإمام أحمد في المسند: «**إن الله حييٌّ كريم، يستحي من عبده إذا رفع إليه يديه أن يردهما صِفْرا**».

ثانيًا: هذا الرجل دعا الله ـ تعالى ـ باسم الرب «يا رب، يا رب» والتوسل إلى الله ـ تعالى ـ بهذا الاسم من أسباب الإجابة؛ لأن الرب هو الخالق المالك المدبر لجميع الأمور فبيده مقاليد السمٰوات والأرض ولهذا تجد أكثر الدعاء الوارد في القرآن الكريم بهذا الاسم: ﴿**ربنا إننا سمعنا**

(١) سورة البقرة، الآية «١٨٢».

(٢) سورة المؤمنون، الآية «٥١».

منادیًا ینادي للإیمان أن آمنوا بربکم فآمنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وکفِّر عنا سیئاتنا وتوفنا مع الأبرار ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا یوم القیامة إنك لا تخلف المیعاد فاستجاب لهم ربهم أني لا أضیع عمل عامل منکم من ذکر أو أنثى بعضکم من بعض . . . ﴾[1]. الآیات. فالتوسل إلى الله ـ تعالى ـ بهذا الاسم من أسباب الإجابة.

ثالثًا: هذا الرجل كان مسافرًا والسفر غالبًا من أسباب الإجابة لأن الإنسان في السفر يشعر بالحاجة إلى الله ـ عز وجل ـ والضرورة إليه أكثر مما إذا كان مقيمًا في أهله، وأشعث أغبر كأنه غير معني بنفسه كأن أهم شيء عنده أن يلتجىء إلى الله ويدعوه على أي حال كان هو سواء كان أشعث أغبر أم مترفًا، والشعث والغبر له أثر في الإجابة كما في الحديث الذي روي عن النبي، صلى الله عليه وسلم، أن الله ـ تعالى ـ ينزل إلى السماء الدنيا عشية عرفة يباهي الملائكة بالواقفين فيها يقول: «**أتوني شعثًا غُبرًا ضاحين من كل فج عميق**».

هذه الأسباب لإجابة الدعاء لم تُجد شيئًا؛ لكون مطعمه حرام، وملبسه حرام، وغذي بالحرام، قال النبي، صلى الله عليه وسلم: «**فأنى يُستجاب له**». فهذه الشروط لإجابة الدعاء إذا لم تتوافر فإن الإجابة تبدو بعيدة، فإذا توافرت ولم يستجب الله للداعي، فإنما ذلك لحكمة يعلمها الله ـ عز وجل ـ ولا يعلمها هذا الداعي، فعسى أن تحبوا شيئًا وهو شر لكم وإذا تمت هذه الشروط ولم يستجب الله ـ عز وجل ـ فإنه إما أن يدفع عنه من السوء ما هو أعظم، وإما أن يدخرها له يوم القيامة فيوفيه الأجر أكثر وأكثر، لأن هذا الداعي الذي دعا بتوفر الشروط ولم يستجب له ولم يصرف

---

(١) سورة آل عمران، الآيات «١٩٣ ـ ١٩٥».

عنه من السوء ما هو أعظم، يكون قد فعل الأسباب ومنع الجواب لحكمة فيعطى الأجر مرتين مرة على دعائه ومرة على مصيبته بعدم الإجابة فيدخر له عند الله ـ عز وجل ـ ما هو أعظم وأكمل.

ثم إن المهم أيضًا أن لا يستبطىء الإنسان الإجابة، فإن هذا من أسباب منع الإجابة أيضًا كما جاء في الحديث عن النبي، صلى الله عليه وسلم: «**يُستجاب لأحدكم ما لم يعجل**». قالوا كيف يعجل يا رسول الله؟ قال: «**يقول دعوت ودعوت ودعوت فلم يستجب لي**». فلا ينبغي للإنسان أن يستبطىء الإجابة فيستحسر عن الدعاء ويدع الدعاء بل يلح في الدعاء فإن كل دعوة تدعو بها الله ـ عز وجل ـ فإنها عبادة تقربك إلى الله ـ عز وجل ـ وتزيدك أجرًا فعليك يا أخي بدعاء الله ـ عز وجل ـ في كل أمورك العامة والخاصة الشديدة واليسيرة، ولو لم يكن من الدعاء إلا أنه عبادة لله ـ سبحانه وتعالى ـ لكان جديرًا بالمرء أن يحرص عليه. والله الموفق.

[٣٧] سئل فضيلة الشيخ: هناك أدعية يتناقلها بعض الطلاب فيما بينهم على سبيل الطرفة والضحك بحيث يخصصوا لمدرس كل مادة دعاء خاصًّا. فما حكم هذا العمل؟ ومن الأمثلة:

دعاء مدرس اللغة العربية: اللهم اجعلني فاعلاً للخير ومرفوعًا عن الشر.

دعاء مدرس الرياضيات: اللهم اجعلني مستقيمًا في حياتي ولا تجعل الدنيا حادة عليّ.

دعاء مدرس الجيولوجيا: اللهم ابعدني عن العوامل المؤثرة في النفوس، واجعلني في حبك بركانًا، ولكملتك زلزالاً، واجعلني من معدن صلب وصخر قوي واجعل لي صلابة عالية.

فأجاب بقوله: دعاء الله ـ تعالى ـ عبادة يتقرب بها العبد إلى الله ـ عزّ وجلّ ـ لقوله ـ تعالى ـ: ﴿**وقال ربكم ادعوني استجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين**﴾ ولايحل للمسلم أن يتخذ دعاء الله ـ تعالى ـ هزءًا يتندر به ويتنطع به فإن هذا خطر عظيم وخطأ جسيم.

والواجب على العبد إن كان صادقًا في دعاء ربه أن يدعو الله ـ عزّ وجلّ ـ بأدب وصدق افتقار إليه وأن يدعو الله بما يحتاجه من أمور دينه ودنياه على الوجه الذي جاءت به السنة.

أما هذه الصيغ التي ذكرها السائل ففيها عدة محاذير:

الأول: أنها تقال على سبيل التندر والتنطع وقد قال النبي، صلى الله عليه وسلم، : «**هلك المتنطعون**» قالها ثلاثا.

الثاني: أنها لا تنم عن داع يعتبر نفسه مفتقر إلى الله ـ تعالى ـ يدعوه دعاء خائف راجي.

الثالث: أن بعضها يحمل معاني فاسدة أو معاني أشبه ماتكون باللغو كما في دعاء مدرس الجيولوجيا.

ونصيحتي لهؤلاء أن يتقوا الله ويخافوا مقامه وأن لا يتخذوا آيات الله هزؤا، وأن يعلموا أن مقام الرب عظيم لا يخاطب ـ جل وعلا ـ بمثل هذه الكلمات السخيفة المتكلفة نسأل الله لنا ولهم الهداية.

٣٨ وسئل فضيلة الشيخ: عن معنى الإخلاص؟ وإذا أراد العبد بعبادته شيئًا آخر فما الحكم؟

فأجاب بقوله: الإخلاص لله ـ تعالى ـ معناه: «أن يقصد المرء بعبادته التقرب إلى الله ـ سبحانه وتعالى ـ والتوصل إلى دار كرامته».

وإذا أراد العبد بعبادته شيئًا آخر ففيه تفصيل حسب الأقسام التالية:

القسم الأول: أن يريد التقرب إلى غير الله ـ تعالى ـ في هذه العبادة ونيل الثناء عليها من المخلوقين فهذا يحبط العمل، وهو من الشرك. وفي الصحيح من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن النبي، صلى الله عليه وسلم، قال: قال الله ـ تعالى ـ: «**أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه**».

القسم الثاني: أن يقصد بها الوصول إلى غرض دنيوي كالرئاسة، والجاه، والمال دون التقرب بها إلى الله ـ تعالى ـ فهذا عمله حابط لا يُقرّبه إلى الله ـ تعالى ـ. لقول الله ـ تعالى ـ: ﴿**من كان يُريد الحياة الدنيا وزينتها نوفّ إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون. أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون**﴾[1].

والفرق بين هذا والذي قبله أن الأول قصد أن يثنى عليه من قبل أنه عابد لله ـ تعالى ـ وأما هذا ـ الثاني ـ فلم يقصد أن يثنى عليه من قبل أنه عابد لله ولا يهمه أن ينثي الناس عليه بذلك.

القسم الثالث: أن يقصد بها التقرب إلى الله ـ تعالى ـ والغرض الدنيوي الحاصل بها مثل أن يقصد مع نية التعبد لله ـ تعالى ـ بالطهارة

(١) سورة هود، الآيتان «١٥، ١٦».

تنشيط الجسم وتنظيفه، وبالصلاة تمرين الجسم وتحريكه، وبالصيام تخفيف الجسم وإزالة فضلاته، وبالحج مشاهدةالمشاعر والحجاج فهذا ينقص أجر الإخلاص، ولكن إن كان الأغلب عليه نيَّة التعبد فقد فاته كمال الأجر، ولكن لا يضره ذلك باقتراف إثم أو زور لقوله ـ تعالى ـ في الحجاج: ﴿**ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلاً من ربكم**﴾[1].

وإن كان الأغلب عليه نيَّة غير التعبد فليس له ثواب في الآخرة وإنما ثوابه ما حصله في الدنيا، وأخشى أن يأثم بذلك لأنه جعل العبادةالتي هي أعلى الغايات وسيلة للدنيا الحقيرة، فهو كمن قال الله فيهم: ﴿**ومنهم من يلمزك في الصدقات فإن أُعطوا منها رضوا وإن لم يُعطوا منها إذا هم يسخطون**﴾[2]. وفي سنن أبي داود عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رجلاً قال: يا رسول الله رجل يريد الجهاد وهو يريد عرضًا من عرض الدنيا. فقال النبي، صلى الله عليه وسلم: «**لا أجر له**». فأعاد ثلاثًا والنبي، صلى الله عليه وسلم يقول: «**لا أجر له**». وفي الصحيحين عن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ أن النبي، صلى الله عليه وسلم، قال: «**من كانت هجرته لدنيا يُصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه**».

وإن تساوى عنده الأمران فلم تغلب نيَّة التعبد ولا نيَّة غير التعبد فمحل نظر، والأقرب أنه لا ثواب له كمن عمل لله ـ تعالى ـ ولغيره.

والفرق بين هذا القسم والذي قبله أن غرض غير التعبد في القسم السابق حاصل بالضرورة فإرادته إرادة حاصلة بعمله بالضرورة وكأنه أراد

---

(١) سورة البقرة، الآية «١٩٨».

(٢) سورة التوبة، الآية «٥٨».

ما يقتضيه العمل من أمر الدنيا.

فإن قيل: ما هو الميزان لكون مقصوده في هذا القسم أغلبه التعبد أو غير التعبد؟

قلنا: الميزان أنه إذا كان لا يهتم بها سوى العبادة حصل أم لم يحصل فقد دل على أن الأغلب نية التعبد والعكس بالعكس.

وعلى كل حال فإن النية التي هي قول القلب أمرها عظيم وشأنها خطير فقد ترتقي بالعبد إلى درجة الصّديقين وقد ترده إلى أسفل السافلين، قال بعض السلف: «ما جاهدت نفسي على شيء مجاهدتها على الإخلاص». فنسأل الله لنا ولكم الإخلاص في النية، والصلاح في العمل.

٣٩ وسئل فضيلته: عن مذهب أهل السنة والجماعة في الرجاء والخوف؟

فأجاب بقوله: اختلف العلماء هل يُقدم الإنسان الرجاء أو يُقدم الخوف على أقوال:

فقال الإمام أحمد ـ رحمه الله ـ: «ينبغي أن يكون خوفه ورجاؤه واحدًا، فلا يغلب الخوف ولا يغلب الرجاء». قال ـ رحمه الله ـ: «فأيهما غلب هلك صاحبه». لأنه إن غلّب الرجاء وقع الإنسان في الأمن من مكر الله، وإن غلب الخوف وقع في القنوط من رحمة الله.

وقال بعض العلماء: «ينبغي تغليب الرجاء عند فعل الطاعة وتغليب الخوف عند إرادة المعصية»؛ لأنه إذا فعل الطاعة فقد أتى بموجب حسن الظنّ، فينبغي أن يغلب الرجاء وهو القبول، وإذا همَّ بالمعصية أن يغلب

الخوف لئلّا يقع في المعصية.

وقال آخرون: «ينبغي للصحيح أن يغلب جانب الخوف وللمريض أن يغلب جانب الـرجـاء» لأن الصحيح إذا غلب جانب الخوف تجنب المعصية، والمريض إذا غلب جانب الرجاء لقي الله وهو يُحسن الظنّ به.

والذي عندي في هذه المسألة أن هذا يختلف باختلاف الأحوال وأنه إذا خاف إذا غلب جانب الخوف أن يقنط من رحمة الله وجب عليه أن يردّ ويقابل ذلك بجانب الرجاء، وإذا خاف إذا غلّب جانب الرجاء أن يأمن مكر الله فليردّ ويغلّب جانب الخوف، والإنسان في الحقيقة طبيب نفسه إذا كان قلبـه حيًّا، أما صاحب القلب الميت الذي لا يعالج قلبه ولا ينظر أحوال قلبه فهذا لا يهمه الأمر.

[٤٠] وسئـل فضيلتـه: هل يجوز للإنسـان أن يستعيـذ بكلمات الله؟

فأجاب بقوله: نعم، يجوز ذلك لأن كلمات الله من صفاته، ولهذا استدل العلماء بقول النبي، صلى الله عليه وسلم: «**من نزل منزلاً فقال أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق لم يضره شيء حتى يرتحل من منزله ذلك**». استدلوا بهذا الحديث على أن كلام الله من صفاته غير مخلوق لأن الاستعـاذة بالمخلوق لا تجوز، ولـو كانت الكلمات مخلوقـة ما أرشد النبي، صلى الله عليه وسلم، إلى الاستعاذة بها.

[٤١] سئـل فضيلة الشيـخ: هل اتخـاذ الأسبـاب ينـافي التـوكـل؟ فبعض النـاس إبـان حرب الخليج اتخذ الأسباب

وبعضهم تركها وقال: إنه متوكل على الله؟

فأجاب بقوله: الواجب على المؤمن أن يعلق قلبه على الله ـ عز وجل ـ وأن يصدق الاعتماد عليه في جلب المنافع ودفع المضار فإن الله وحده هوالذي بيده ملكوت السمٰوات والأرض وإليه يرجع الأمر كله كما قال الله ـ تعالى ـ: ﴿**ولله غيبُ السمٰوات والأرض وإليه يُرجع الأمر كله فاعبده وتوكل عليه وما ربك بغافل عما تعملون**﴾[1]. وقال موسى لقومه: ﴿**يا قوم إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين فقالوا على الله توكلنا ربنا لا تجعلنا فتنةً للقوم الظالمين ونجِّنا برحمتك من القوم الكافرين**﴾[2]. وقال الله ـ تعالى ـ: ﴿**وعلى الله فليتوكل المؤمنون**﴾[3]. وقال ـ تعالى ـ: ﴿**ومن يتوكل على الله فهو حسبه إن الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شيء قدرًا**﴾[4]. فالواجب على المؤمن أن يعتمد على ربه رب السمٰوات والأرض ويحسن الظن به.

ولكن يفعل الأسباب الشرعية والقدرية الحسية التي أمر الله تعالى بها، لأن أخذ الأسباب الجالبة للخير المانعة من الشر من الإيمان بالله تعالى وحكمته ولا تنافي التوكل فها هو سيد المتوكلين محمد، رسول الله، صلى الله عليه وسلم، كان يتخذ الأسباب الشرعية والقدرية فكان يعوذ نفسه عند النوم بالإخلاص والمعوذتين، وكان يلبس الدروع في الحروب، وخندق على المدينة حين اجتمع أحزاب الشرك حولها حماية لها، وقد جعل

---

(١) سورة النحل، الآية «٧٧».

(٢) سورة يونس، الآيات «٨٤ ـ ٨٦».

(٣) سورة آل عمران، الآية «١٦٠».

(٤) سورة الطلاق، الآية «٣».

الله تعالى ما يتقى به العبد شرور الحروب من نعمه التي يستحق الشكر عليها فقال عن نبيه داود: ﴿**وعلمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من بأسكم فهل أنتم شاكرون**﴾[1]. وأمر الله داود أن يجيد صنعها ويجعلها سابغة لأنها تكون أقوى في التحصين.

وعلى هذا فإن أهل البلاد القريبة من مواقع الحرب التي يخشى أن يصيبها من آثاره ليس عليهم حرج في الاحتياط باستعمال الكمامات المانعة من تسرب الغازات المهلكة إلى أبدانهم، والتحصينات المانعة من تسربه إلى بيوتهم، لأن هذا من الأسباب الواقية من الشر المحصنة من البأس، ولا حرج عليهم أن يدخروا لأنفسهم من الأطعمة وغيرها ما يخافون أن يحتاجوا إليه فلا يجدوه، وكلما قويت الخشية من ذلك كان طلب الاحتياط أقوى. ولكن يجب أن يكون اعتمادهم على الله - عز وجل - فيستعلموا هذه الأسباب بمقتضى شرع الله وحكمته على أنها أسباب أذن الله لهم فيها لا على أنها الأصل في جلب المنافع ودفع المضار، وأن يشكروا الله تعالى حيث يسر لهم مثل هذه الأسباب وأذن لهم بها.

والله أسأل أن يقينا جميعًا أسباب الفتن والهلاك، وأن يحقق لنا ولإخواننا قوة الإيمان به والتوكل عليه والأخذ بالأسباب التي أذن بها على الوجه الذي يرضى به عنا إنه جواد كريم. وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

---

(١) سورة الأنبياء، الآية «٨٠».

٤٢ سئل فضيلة الشيخ: ما حكم التعلق بالأسباب؟

فأجاب - حفظه الله - بقوله: التعلق بالأسباب أقسام:

القسم الأول: ما ينافي التوحيد في أصله، وهو أن يتعلق الإنسان بشيء لا يمكن أن يكون له تأثير ويعتمد عليه اعتمادًا كاملاً معرضًا عن الله مثل تعلق عباد القبور بمن فيها عند حلول المصائب. وهذا شرك أكبر مخرج عن الملة وحكم الفاعل ما ذكره الله - تعالى - بقوله: **﴿إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار﴾**(١).

القسم الثاني: أن يعتمد على سبب شرعي صحيح مع غفلته عن المسبِّب وهو الله - تعالى - فهذا نوع من الشرك ولكن لا يخرج من الملة؛ لأنه اعتمد على السبب ونسي المسبِّب وهو الله - تعالى -.

القسم الثالث: أن يتعلق بالسبب تعلقًا مجردًا لكونه سببًا فقط، مع اعتماده الأصلي على الله فيعتقد أن هذا السبب من الله، وأن الله لو شاء قطعه ولو شاء لأبقاه وأنه لا أثر للسبب في مشيئة الله - عز وجل - فهذا لا ينافي التوحيد لا أصلاً ولا كمالاً.

ومع وجود الأسباب الشرعية الصحيحة ينبغي للإنسان أن لا يعلق نفسه بالسبب بل يعلقها بالله، فالموظف الذي يتعلق قلبه بمرتبه تعلقًا كاملاً مع الغفلة عن المسبِّب وهو الله فهذا نوع من الشرك، أما إذا اعتقد أن المرتب سبب والمسبِّب هو الله - سبحانه وتعالى - فهذا لا ينافي التوكل، والرسول، صلى الله عليه وسلم، كان يأخذ بالأسباب مع اعتماده على المسبِّب وهو الله - عز وجل -.

---

(١) سورة المائدة، الآية «٧٢».

[٤٣] سئل فضيلة الشيخ: عن حكم الرُّقْيَة؟ وعن حكم كتابة الآيات وتعليقها في عنق المريض؟

فأجاب بقوله: الرّقية على المريض المصاب بسحر أو غيره من الأمراض لا بأس بها إن كانت من القرآن الكريم أو من الأدعية المباحة فقد ثبت عن النبي، صلى الله عليه وسلم، أنه كان يرقي أصحابه، ومن جملة مايرقاهم به: «**ربنا الله الذي في السماء تقدس اسمك، أمرك في السماء والأرض، كما رحمتك في السماء فاجعل رحمتك في الأرض، أنزل رحمة من رحمتك وشفاء من شفائك على هذا الوجع**» فيبرأ. ومن الأدعية المشروعة: «**بسم الله أرْقيك من كل داء يؤذيك من شر كل نفس أو عين حاسد الله يشفيك بسم الله أرقيك**» ومنها أن يضع الإنسان يده على الألم الذي يؤلمه من بدنه فيقول: «**أعوذ بالله وعزته من شر ما أجد وأحاذر**» إلى غير ذلك مما ذكره أهل العلم من الأحاديث الواردة عن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ.

وأما كتابة الآيات والأذكار وتعليقها فقد اختلف أهل العلم في ذلك: فمنهم من أجازه، ومنهم من منعه، والأقرب المنع من ذلك، لأن هذا لم يرد عن النبي، صلى الله عليه وسلم، وإنما الوارد أن يقرأ على المريض، أما أن تعلق الآيات أو الأدعية على المريض في عنقه أو في يده أو تحت وسادته وما أشبه ذلك، فإن ذلك من الأمور الممنوعة على القول الراجح لعدم ورودها، وكل إنسان يجعل من الأمور سببًا لأمر آخر بغير إذن من الشرع، فإن عمله هذا يعد نوعًا من الشرك لأنه إثبات سبب لم يجعله الله سببًا.

٤٤ وسئل: هل الرُّقْية تنافي التوكل؟.

فأجاب بقوله: التوكل هو صدق الاعتماد على الله ـ عزّ وجلّ ـ في جلب المنافع ودفع المضار مع فعل الأسباب التي أمر الله بها، وليس التوكل أن تعتمد على الله بدون فعل الأسباب، فإن الاعتماد على الله بدون فعل الأسباب طعن في الله ـ عزّ وجلّ ـ وفي حكمته ـ تبارك وتعالى ـ لأن الله ـ تعالى ـ ربط المسببات بأسبابها، وهنا سؤال: مَنْ أعظم الناس توكلاً على الله؟

الجــواب: هو الرسول، عليه الصلاة والسلام، وهل كان يعمل الأسباب التي يتقي بها الضرر؟.

الجــواب: نعم كان إذا خرج إلى الحـرب يلبس الدروع ليتوقى السهـام، وفي غزوة أحـد ظاهر بينّ درعين، أي لبس درعين كل ذلك استعدادًا لما قد يحدث، ففعل الأسباب لا ينافي التوكل، إذا اعتقد الإنسان أن هذه الأسباب مجرد أسباب فقط لا تأثير لها إلا بإذن الله ـ تعالى ـ، وعلى هذا فالقراءة قراءة الإنسان على نفسه، وقراءته على إخوانه المرضى لا تنافي التوكل وقد ثبت عن النبي، صلى الله عليه وسلم، أنه كان يرقي نفسه بالمعوذات وثبت أنه كان يقرأ على أصحابه إذا مرضوا. والله أعلم.

٤٥ وسئل ـ حفظه الله ـ: عن حكم تعليق التمائم والحجب؟

فأجاب بقوله: هذه المسألة أعني تعليق الحجب والتمائم تنقسم إلى قسمين:

القسم الأول: أن يكون المُعلّق من القرآن وقد اختلف في ذلك أهل العلم سلفًا وخلفًا. فمنهم من أجاز ذلك ورأى أنه داخل في قوله ـ تعالى ـ

﴿وننـزل من القرآن ماهو شفاء ورحمة للمؤمنين﴾[1]، وقوله ـ تعالى ـ: ﴿كتاب أنزلناه إليك مبارك﴾[2]، وأن من بركته أن يعلق ليدفع به السوء.

ومنهم من منع ذلك وقال إن تعليقها لم يثبت عن النبي، صلى الله عليه وسلم، أنه سبب شرعي يدفع به السوء أو يُرفع به، والأصل في مثل هذه الأشياء التوقيف، وهذا القول هو الراجح وأنه لا يجوز تعليق التمائم ولو من القرآن الكريم، ولا يجوز أيضًا أن تجعل تحت وسادة المريض، أو تعلق في الجدار وما أشبه ذلك، وإنما يدعى للمريض ويقرأ عليه مباشرة كما كان النبي، صلى الله عليه وسلم، يفعل.

القسم الثاني: أن يكون المعلق من غير القرآن الكريم مما لا يفهم معناه فإنه لا يجوز بكل حال لأنه لا يدرى ماذا يكتب فإن بعض الناس يكتبون طلاسم وأشياء معقدة، حروف متداخلة ماتكاد تعرفها ولا تقرأها فهذا من البدع وهو محرّم ولا يجوز بكل حال. والله أعلم.

46 وسئل فضيلة الشيخ: عن حكم النفث في الماء؟

فأجاب بقوله: النفث في الماء على قسمين:

القسم الأول: أن يراد بهذا النفث التبرك بريق النافث فهذا لا شك أنه حرام ونوع من الشرك، لأن ريق الإنسان ليس سببًا للبركة والشفاء ولا أحد يتبرك بآثاره إلا محمد، صلى الله عليه وسلم، أما غيره فلا يتبرك بآثاره فالنبي، صلى الله عليه وسلم، يتبرك بآثاره في حياته وكذلك بعد مماته إذا بقيت تلك الآثار كما كان عند أم سلمة ـ رضي الله عنها ـ جلجل من فضة

(1) سورة الإسراء، الآية «82».
(2) سورة ص، الآية «29».

فيه شعرات من شعر النبي ، صلى الله عليه وسلم ، يستشفى بها المرضى فإذا جاء مريض صبت على هذه الشعرات ماء ثم حركته ثم أعطته الماء ، لكن غير النبي ، صلى الله عليه وسلم ، لا يجوز لأحد أن يتبرك بريقه ، أو بعرقه ، أو بثوبه ، أو بغير ذلك ، بل هذا حرام ونوع من الشرك ، فإذا كان النفث في المـاء من أجل التبرك بريق النافث فإنه حرام ونوع من الشرك وذلك لأن كل من أثبت لشيء سببا غير شرعي ولا حسي فإنه قد أتى نوعا من الشرك ، لأنه جعل نفسه مسببا مع الله ، وثبوت الأسباب لمسبباتها إنما يتلقى من قبل الشرع فلذلك كل من تمسك بسبب لم يجعله الله سببا ؛ لا حسا ولا شرعا ، فإنه قد أتى نوعا من الشرك .

القسم الثاني : أن ينفث الإنسان بريق تلا فيه القرآن الكريم مثل أن يقرأ الفاتحة ـ والفاتحة رقية وهي من أعظم ما يرقى به المريض ـ فيقرأ الفاتحة وينفث في الماء فإن هذا لا بأس به وقد فعله بعض السلف وهو مجرب ونافع بإذن الله وقد كان النبي ، صلى الله عليه وسلم ، ينفث في يديه عند نومه بقل هو الله أحد ، وقل أعوذ برب الفلق ، وقل أعوذ برب الناس فيمسح بهما وجهه وما استطاع من جسده ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ والله الموفق .

[٤٧] وسئل فضيلة الشيخ : جاء في الفتوى السابقة رقم «٤٦» أن التبرك بريق أحد غير النبي ، صلى الله عليه وسلم ، حرام ونوع من الشرك باستثناء الرقية بالقرآن حيث إن هذا يشكل مع ماجاء في الصحيحين من حديث عائشة ـ رضي الله

عنها - أن النبي، صلى الله عليه وسلم، كان يقول في الرقية «بسم الله تربة أرضنا بريقة بعضنا يُشفى سقيمنا بإذن ربنا» فنرجو من فضيلتكم التكرم بالتوضيح؟

فأجاب بقوله: ذكر بعض العلماء أن هذا مخصوص برسول الله، صلى الله عليه وسلم، وبأرض المدينة فقط وعلى هذا فلا إشكال.

ولكن رأى الجمهور أن هذا ليس خاصا برسول الله، صلى الله عليه وسلم، ولا بأرض المدينة بل هو عام في كل راق وفي كل أرض ولكنه ليس من باب التبرك بالريق المجرده بل هو ريق مصحوب برقية وتربة للاستشفاء وليس لمجرد التبرك. وجوابنا في الفتوى السابقة هو التبرك المحض بالريق وعليه فلا إشكال لاختلاف الصورتين.

[٤٨] وسئل - حفظه الله -: هل تجوز كتابة بعض آيات القرآن الكريم «مثل آية الكرسي» على أواني الطعام والشراب لغرض التداوي بها؟

فأجاب بقوله: يجب أن نعلم أن كتاب الله - عزّ وجلّ - أعز وأجل من أن يمتهن إلى هذا الحد ويبتذل إلى هذا الحد، كيف تطيب نفس مؤمن أن يجعل كتاب الله - عزّ وجلّ - وأعظم آية في كتاب الله وهي آية الكرسي أن يجعلها في إناء يشرب فيه ويمتهن ويرمى في البيت ويلعب به الصبيان؟! هذا العمل لا شك أنه حرام، وأنه يجب على من عنده شيء من هذه الأواني أن يطمس هذه الآيات التي فيها، بأن يذهب بها إلى الصانع فيطمسها، فإن لم يتمكن من ذلك فالواجب عليه أن يحفر لها في مكان طاهر ويدفنها،

وأمـا أن يبقيهـا مبتـذلـة ممتهنـة يشرب بها الصبيان ويلعبـون بها، فإن الاستشفاء بالقرآن على هذا الوجه لم يرد عن السلف الصالح ـ رضي الله عنهم ـ.

٤٩ وسئل فضيلة الشيخ: عن حكم لبس السوار لعلاج الروماتيزم؟

فأجـاب ـ حفـظه الله ـ بقـولـه: اعلم أن الدواء سبب للشفاء، والمسبب هو الله ـ تعالى ـ فلا سبب إلا ماجعله الله ـ تعالى ـ سببًا والأسباب التي جعلها الله ـ تعالى ـ أسبابًا نوعان:

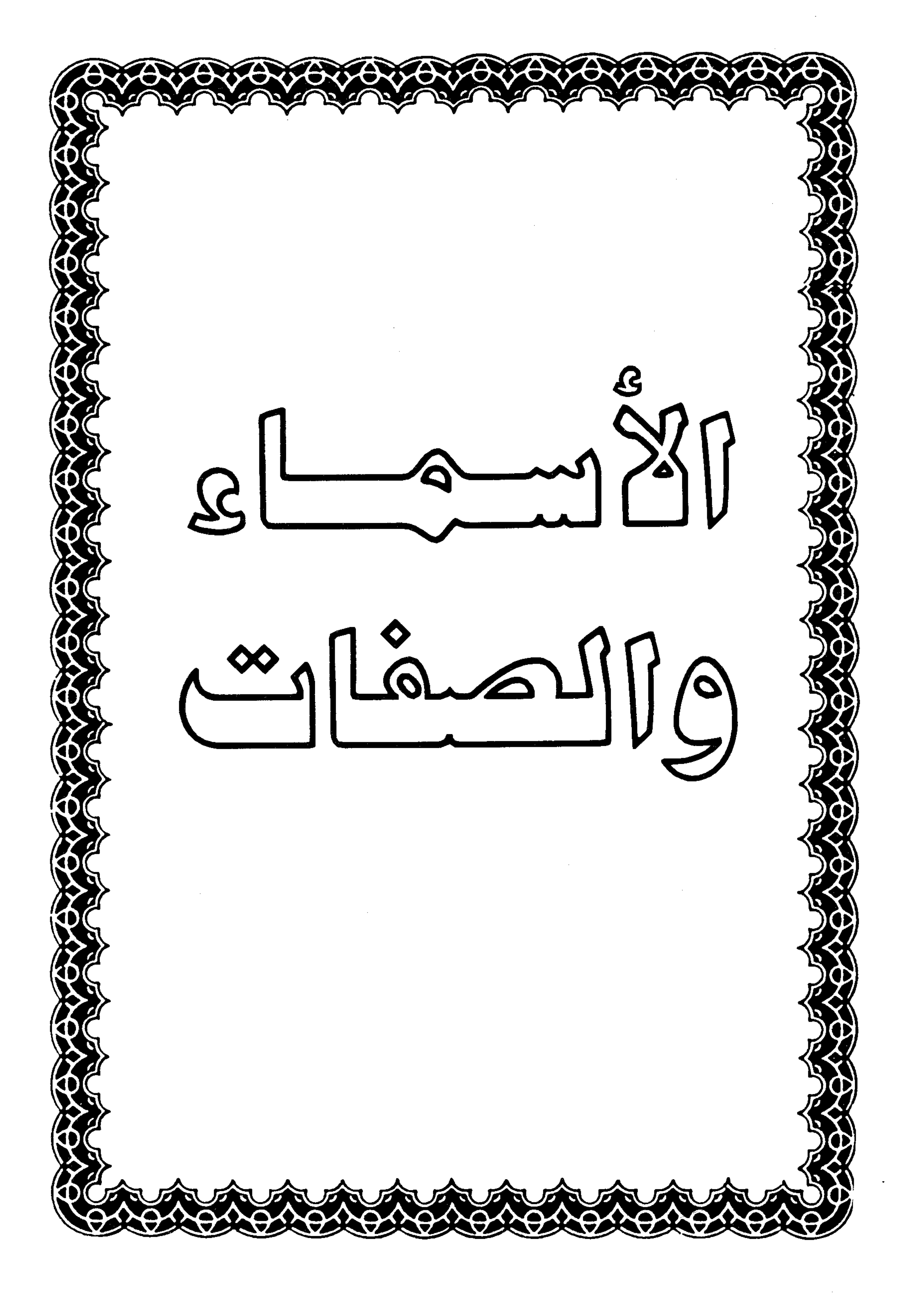
النـوع الأول: أسبـاب شرعية كالقـرآن الكريم والدعاء كما قال النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ في سورة الفاتحة «**ومايدريك أنها رقية**» وكما كان النبي، صلى الله عليه وسلم، يرقي المرضى بالدعاء لهم فيشفي الله ـ تعالى ـ بدعائه من أراد شفاءه به.

النـوع الثـاني: أسباب حسيّة كالأدوية المادية المعلومة عن طريق الشرع كالعسل، أو عن طريق التجارب مثل كثير من الأدوية وهذا النوع لابد أن يكون تأثيره عن طريق المباشرة لا عن طريق الوهم والخيال فإذا ثبت تأثيره بطريق مباشر محسوس صحّ أن يتخذ دواء يحصل به الشفاء بإذن الله ـ تعالى ـ أما إذا كان مجرد أوهام وخيالات يتوهمها المريض فتحصل له الراحة النفسية بناء على ذلك الوهم والخيال ويهون عليه المرض وربما ينبسط السرور النفسي على المرض فيزول، فهذا لا يجوز الاعتماد عليه ولا إثبات كونه دواء؛ لئلا ينساب الإنسان وراء الأوهام والخيالات، ولهذا نُهي عن لبس الحلقة والخيط ونحوهما لرفع المرض أو دفعه، لأن ذلك ليس سببًا

شرعيًّا ولا حسيًّا، ومالم يثبت كونه سببًا شرعيًّا ولا حسيًّا لم يجز أن يجعل سببًا فإنّ جعله سببًا نوع من منازعة الله ـ تعالى ـ في ملكه وإشراك به حيث شارك الله ـ تعالى ـ في وضع الأسباب لمسبباتها، وقد ترجم الشيخ محمد بن عبدالوهاب ـ رحمه الله ـ لهذه المسألة في كتاب التوحيد بقوله: «**باب من الشرك لبس الحلقة والخيط ونحوهما لدفع البلاء أو رفعه**».

وما أظن السوار الذي أعطاه الصيدلي لصاحب الروماتيزم الذي ذُكِر في السؤال إلا من هذا النوع، إذ ليس ذلك السوار سببًا شرعيًّا ولا حسيًّا تعلم مباشرته لمرض الروماتيزم حتى يبرئه فلا ينبغي للمصاب أن يستعمل ذلك السوار حتى يعلم وجه كونه سببًا والله الموفق.





الأسماء والصفات



[٥٠] سئل فضيلة الشيخ: عما يتعلمه طلبة المدارس في بعض البلاد الإسلامية من أن مذهب أهل السنة هو: «الإيمان بأسماء الله تعالى، وصفاته، من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل». وهل تقسيم أهل السنة إلى قسمين: مدرسة ابن تيمية وتلاميذه، ومدرسة الأشاعرة والماتريدية تقسيم صحيح؟ وما موقف المسلم من العلماء المؤولين؟

فأجاب بقوله: لا شك أن ما يتعلمه الطلبة في المدارس من أن مذهب أهل السنة هو: (الإيمان بأسماء الله ـ تعالى ـ، وصفاته، من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل). هو المطابق للواقع بالنسبة لمذهب أهل السنة، كما تشهد بذلك كتبهم المطولة والمختصرة، وهو الحق الموافق لما جاء في الكتاب والسنة، وأقوال السلف، وهو مقتضى النظر الصحيح، والعقل الصريح، ولسنا بصدد سرد أفراد الأدلة في ذلك، لعدم طلبه في السؤال، وإنما نجيب على ما طلب وهو تقسيم أهل السنة إلى طائفتين في مدرستين:

إحداهما: مدرسة ابن تيمية وتلاميذه، المانعين لصرف النصوص عن ظواهرها.

الثانية: مدرسة الأشاعرة والماتريدية، الموجبين لصرفها عن ظواهرها في أسماء الله وصفاته.

فنقول: من المعلوم أن بين هاتين المدرستين اختلافًا بيِّنًا في المنهاج

فيما يتعلق بأسماء الله وصفاته، فالمدرسة الأولى يقرر معلموها وجوب إبقاء النصوص على ظواهرها فيما يتعلق بأسماء الله وصفاته، مع نفي ما يجب نفيه عن الله ـ تعالى ـ، من التمثيل أو التكييف، والمدرسة الثانية يقرر معلموها وجوب صرف النصوص عن ظواهرها فيما يتعلق بأسماء الله وصفاته.

وهذان المنهاجان متغايران تمامًا، ويظهر تغايرهما بالمثال التالي:

قال الله ـ تعالى ـ: ﴿**بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء**﴾[1].

وقال فيما حكاه عن معاتبة إبليس حين أبى أن يسجد لآدم بأمر الله: ﴿**يا إبليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي**﴾[2]. فقد اختلف معلمو المدرستين في المراد باليدين اللتين أثبتهما الله ـ تعالى ـ لنفسه.

فقال أهل المدرسة الأولى: يجب إبقاء معناهما على ظاهره، وإثبات يدين حقيقيتين لله ـ تعالى ـ، على وجه يليق به.

وقال أهل المدرسة الثانية: يجب صرف معناهما عن ظاهره، ويحرم إثبات يدين حقيقيتين لله ـ تعالى ـ، ثم اختلفوا في المراد بهما هل هو القوة، أو النعمة.

وبهذا المثال يتبين أن منهاجي أهل المدرستين مختلفان متغايران، ولا يمكن بعد هذا التغاير أن يجتمعا في وصف واحد، هو «أهل السنة».

إذن فلابد أن يختص وصف أهل السنة بأحدهما دون الآخر، فلنحكم بينهما بالعدل، ولنعرضهما على ميزان القسط وهو كتاب الله ـ تعالى ـ، وسنة رسوله، صلى الله عليه وسلم، وكلام الصحابة، والتابعين لهم بإحسان من سلف الأمة وأئمتها. وليس في هذا الميزان ما يدل بأي وجه

---

(١) سورة المائدة، الآية «٦٤».

(٢) سورة ص، الآية «٧٥».

من وجوه الدلالة، المطابقة، أو التضمن، أو الالتزام صريحًا أو إشارة على ما ذهب إليه أهل المدرسة الثانية، بل في هذا الميزان ما يدل دلالة صريحة، أو ظاهرة، أو إشارية على ما ذهب إليه أهل المدرسة الأولى، وعلى هذا فيتعين أن يكون وصف أهل السنة خاصًّا بهم لا يشاركهم فيه أهل المدرسة الثانية، لأن الحكم بمشاركتهم إياهم جور، وجمع بين الضدين، والجور ممتنع شرعًا، والجمع بين الضدين ممتنع عقلاً.

وأما قول أهل المدرسة الثانية: (المؤولين) لا مانع من تأويل أسماء الله وصفاته إذا لم يتعارض هذا مع نص شرعي.

فنقول: مجرد صرف اللفظ عن ظاهره بلا دليل شرعي مخالف للدليل، وقول على الله - تعالى - بلا علم، وقد حرم الله تعالى ذلك في قوله: ﴿**قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغي بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانًا وأن تقولوا على الله مالا تعلمون**﴾[1]. وقوله: ﴿**ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولاً**﴾[2]. وهؤلاء المؤولون لأسماء الله - تعالى - وصفاته ليس لهم علم مأثور فيما أولوها إليه، ولا نظر معقول، سوى شبه يحتجون بها يناقض بعضها بعضًا، ويلزم عليها من النقص في ذات الله - تعالى - وصفاته، ووحيه أكثر مما زعموه من النقص في إثباتها على ظاهرها، وليس هذا موضع البسط في ذلك.

وإنما المقصود بيان أن وصف (أهل السنة) لا يمكن أن يعطى لطائفتين يتغاير منهاجهما غاية التغاير، وإنما يستحقه من كان قوله موافقًا

---

(١) سورة الأعراف، الآية «٣٣».

(٢) سورة الإسراء، الآية «٣٦».

للسنة فقط، ولا ريب أنَّ أهل المدرسة الأولى (غير المؤولين) أحق بالوصف المـذكور من أهل المدرسة الثانية (المؤولين)، لمن نظر في منهاجيهما بعلم وإنصاف فلا يصح تقسيم أهل السنة إلى الطائفتين بل هم طائفة واحدة.

وأمـا احتجاجهم بقول ابن الجوزي في هذا الباب فنقول: أقوال أهل العلم يحتج لها ولا يحتج بها، فليس قول واحد من أهل العلم بحجة على الآخرين.

وأمـا قولهم إن الإمـام أحمد أول في حديث: «**قلوب بني آدم بين أصبعـين من أصـابـع الرحمن**». وحديث: «**الحجر الأسود يمين الله في الأرض**». وقوله ـ تعالى ـ: ﴿**وهو معكم أينما كنتم**﴾(١).

فنقول: لا يصح عن الإمام أحمد ـ رحمه الله ـ أنه تأول الحديثين المذكورين قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ في الفتاوى ص **٣٩٨** جـ **٥** من مجموع ابن القاسم: «وأما ما حكاه أبو حامد الغزالي من أن أحمد لم يتأول إلا في ثلاثة أشياء «**الحجر الأسود يمين الله في الأرض**» و«**قلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن**». و«**إني أجد نفس الرحمن من قبل اليمن**»، فهذه الحكاية كذب على أحمد، لم ينقلها أحد عنه بإسناد، ولا يعرف أحد من أصحابه نقل ذلك عنه». ا. هـ.

وأما قوله تعالى: ﴿**وهو معكم أينما كنتم**﴾. فإن الإمام أحمد لم يتأولها وإنما فسرها ببعض لوازمها، وهو العلم ردًّا على الجهمية، الذين فسروها بخلاف المراد بها، حيث زعموا أنها تقتضي كون الله ـ تعالى ـ في كل مكان بذاته ـ تعالى الله عن قولهم ـ فبين رحمه الله ـ تعالى ـ أن المعية هنا بمعنى الإحـاطة بالخلق التي من جملتها العلم بهم. وذلك أن المعية لا تقتضي

(١) سورة الحديد، الآية «٤».

الحلول والاختلاط بل هي في كل موضع بحسبه، ولهذا يقال: سقاني لبنًا معه ماء. ويقال: صليت مع الجماعة. ويقال فلان معه زوجته.

ففي المثال الأول: اقتضت المزج والاختلاط، وفي الثاني اقتضت المشاركة في المكان والعمل بدون اختلاط، وفي الثالث اقتضت المصاحبة وإن لم يكن اشتراك في مكان أو عمل، وإذا تبين أن معنى المعية يختلف بحسب ما تضاف إليه، فإن معية الله - تعالى - لخلقه تختلف عن معية المخلوقين لمثلهم، ولا يمكن أن تقتضي المزج والاختلاط أو المشاركة في المكان؛ لأن ذلك ممتنع على الله - عز وجل - لثبوت مباينته لخلقه وعلوه عليهم. وعلى هذا يكون معنا وهو على العرش فوق السموات، لأنه محيط بنا علمًا، وقدرة، وسلطانًا، وسمعًا، وبصرًا، وتدبيرًا، وغير ذلك مما تقتضيه ربوبيته، فإذا فسرها مفسر بالعلم لم يخرج بها عن مقتضاها، ولم يكن متأولاً إلا عند من يفهم من المعية المشاركة في المكان أو المزج والاختلاط على كل حال. وقد سبق أن هذا ليس بمتعين في كل حال.

هذا بالنسبة لما نقل عن الإمام أحمد في تأويل هذه النصوص الثلاثة.

أما بالنظر لها من حيث هي فقد تقدم قريبًا أنه لا تأويل في الآية الكريمة إذا فسرها مفسر بالعلم، لأنه تفسير لها ببعض مقتضياتها لا نقل لها عن المعنى الذي تقتضيه.

وأما حديث: **«إن قلوب بني آدم كلها بين أصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يصرفه حيث يشاء»**. فقد رواه مسلم في صحيحه في كتاب القدر في الباب الثالث منه رقم ١٧ ص ٢٠٤٥، وليس فيه تأويل عند أهل السنة والجماعة حيث يؤمنون بما دل عليه من إثبات الأصابع لله

- تعالى - على الوجه اللائق به، ولا يلزم من كون قلوبنا بين أصبعين منها أن تماس القلب، فإن السحاب مسخر بين السماء والأرض ولا يمس السماء ولا الأرض، فكذلك قلوب بني آدم بين أصبعين من أصابع الرحمن ولا يستلزم ذلك المماسة.

وأما حديث: «**الحجر الأسود يمين الله في الأرض**». فقد قال فيه شيخ الإسلام ابن تيمية في الفتاوى ص ٣٩٧ جـ ٦ من مجموع ابن قاسم: قد روى عن النبي، صلى الله عليه وسلم، بإسناد لا يثبت، والمشهور إنما هو عن ابن عباس. قال: «الحجر الأسود يمين الله في الأرض فمن صافحه وقبله فكأنما صافح الله وقبل يمينه». وفي ص ٤٤ جـ ٣ من المجموع المذكور: «صريح في أن الحجر الأسود ليس هو صفة الله ولا نفس يمينه، لأنه قال: «يمين الله في الأرض» فقيده في الأرض ولم يطلق، فيقول يمين الله، وحكم اللفظ المقيد يخالف المطلق». وقال: «فمن قبله وصافحه فكأنما صافح الله وقبّل يمينه»، ومعلوم أن المشبه غير المشبه به». ا. هـ.

قلت وعلى هذا فلا يكون الحديث من صفات الله - تعالى - التي أولت إلى معنى يخالف الظاهر فلا تأويل فيه أصلاً.

وأما قولهم إن هناك مدرستين: إحداهما مدرسة ابن تيمية فيقال نسبة هذه المدرسة إلى ابن تيمية توهم أنه لم يسبق إليها، وهذا خطأ فإن ما ذهب إليه ابن تيمية هو ما كان عليه السلف الصالح وأئمة الأمة، فليس هو الذي أحدث هذه المدرسة كما يوهمه قول القائل الذي يريد أن يقلل من شأنها، والله المستعان.

وأما موقفنا من العلماء المؤولين فنقول: من عرف منهم بحسن النية وكان لهم قدم صدق في الدين، واتباع السنة فهو معذور بتأويله السائغ،

ولكن عذره في ذلك لا يمنع من تخطئة طريقته المخالفة لما كان عليه السلف الصالح من إجراء النصوص على ظاهرها، واعتقاد ما دل عليه ذلك الظاهر من غير تكييف، ولا تمثيل، فإنه يجب التفريق بين حكم القول وقائله، والفعل وفاعله، فالقول الخطأ إذا كان صادرًا عن اجتهاد وحسن قصد لا يذم عليه قائله، بل يكون له أجر على اجتهاد، لقول النبي، صلى الله عليه وسلم: «**إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران، وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر**». متفق عليه، وأما وصفه بالضلال فإن أريد بالضلال الضلال المطلق الذي يذم به الموصوف، ويمقت عليه، فهذا لا يتوجه في مثل هذا المجتهد الذي علم منه حسن النية، وكان له قدم صدق في الدين واتباع السنة، وإن أريد بالضلال مخالفة قوله للصواب من غير إشعار بذم القائل فلا بأس بذلك، لأن مثل هذا ليس ضلالاً مطلقًا، لأنه من حيث الوسيلة صواب، حيث بذل جهده في الوصول إلى الحق، لكنه باعتبار النتيجة ضلال حيث كان خلاف الحق.

وبهذا التفصيل يزول الإشكال والتهويل، والله المستعان.

٥١ سئل فضيلة الشيخ: عن عقيدة أهل السنة والجماعة في أسماء الله وصفاته؟ وعن الفرق بين الاسم والصفة؟ وهل يلزم من ثبوت الاسم ثبوت الصفة؟ ومن ثبوت الصفة ثبوت الاسم؟

فأجاب بقوله: عقيدة أهل السنة والجماعة في أسماء الله وصفاته هي إثبات ما أثبته الله لنفسه من الأسماء والصفات من غير تحريف، ولا تعطيل ولا تكييف، ولا تمثيل.

والفرق بين الاسم والصفة: أن الاسم: ما سمى الله به، والصفة: ما وصف الله به. وبينهما فرق ظاهر.

فالاسم يعتبر علمًا على الله ـ عز وجل ـ متضمنًا للصفة.

ويلزم من إثبات الاسم إثبات الصفة. مثاله: ﴿**إن الله غفور رحيم**﴾ ﴿**غفور**﴾ اسم يلزم منه المغفرة و﴿**رحيم**﴾ يلزم منه إثبات الرحمة.

ولا يلزم من إثبات الصفة إثبات الاسم، مثل الكلام لا يلزم أن نثبت لله اسمًا المتكلم، بناء على ذلك تكون الصفات أوسع، لأن كل اسم متضمن لصفة وليس كل صفة متضمنة لاسم.

٥٢ سئل فضيلة الشيخ ـ جزاه الله خيرًا ـ: هل أسماء الله تعالى محصورة؟

فأجاب بقوله: أسماء الله ليست محصورة بعدد معين، والدليل على ذلك قوله، صلى الله عليه وسلم، في الحديث الصحيح: «**اللهم إني عبدك وابن عبدك وابن أمتك**». إلى أن قال: «**أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحدًا من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك**». وما استأثر الله به في علم الغيب لا يمكن أن يعلم به، وما ليس معلومًا ليس محصورًا.

وأما قوله، صلى الله عليه وسلم: «**إن لله تسعة وتسعين اسمًا من أحصاها دخل الجنة**». فليس معناه أنه ليس له إلا هذه الأسماء، لكن معناه أن من أحصى من أسمائه هذه التسعة والتسعين فإنه يدخل الجنة فقوله: «**من أحصاها**» تكميل للجملة الأولى وليست استئنافية منفصلة، ونظير هذا قول العرب: عندي مئة فرس أعددتها للجهاد في سبيل الله.

فليس معناه أنه ليس عنده إلا هذه المئة ؛ بل هذه المئة معدة لهذا الشيء .

وقد نقل شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ اتفاق أهل المعرفة في الحديث على أن عدها وسردها لا يصح عن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، ا . هـ . وصدق ـ رحمه الله ـ بدليل الاختلاف الكبير فيها فمن حاول تصحيح هذا الحديث قال إن هذا أمر عظيم لأنها توصل إلى الجنة فلا يفوت على الصحابة أن يسألوه ، صلى الله عليه وسلم ، عن تعيينها فدل هذا على أنها قد عينت من قبله ، صلى الله عليه وسلم . لكن يجاب عن ذلك بأنه لا يلزم ولو كان كذلك لكانت هذه الأسماء التسعة والتسعين معلومة أشد من علم الشمس ولنقلت في الصحيحين وغيرهما ؛ لأن هذا مما تدعو الحاجة إليه وتلح بحفظه فكيف لا يأتي إلا عن طريق واهية وعلى صور مختلفة . فالنبي ، صلى الله عليه وسلم ، لم يبينها لحكمة بالغة وهي أن يطلبها الناس ويتحروها في كتاب الله وسنة رسوله ، صلى الله عليه وسلم ، حتى يتبين الحريص من غير الحريص .

وليس معنى إحصاءها أن تكتب في رقاع ثم تكرر حتى تحفظ ولكن معنى ذلك :

أولاً : الإحاطة بها لفظًا .

ثانيًا : فهمها معنًى .

ثالثًا : التعبد لله بمقتضاها ولذلك وجهان :

الوجه الأول : أن تدعو الله بها لقوله ـ تعالى ـ : ﴿**فادعوه بها**﴾[1] بأن تجعلها وسيلة إلى مطلوبك ، فتختار الاسم المناسب لمطلوبك ، فعند سؤال المغفرة تقول : يا غفور اغفر لي ، وليس من المناسب أن تقول يا شديد

(١) سورة الأعراف ، الآية «١٨٠» .

العقاب اغفر لي بل هذا يشبه الاستهزاء، بل تقول أجرني من عقابك.

الوجه الثاني: أن تتعرض في عبادتك لما تقتضيه هذه الأسماء، فمقتضى الرحيم الرحمة، فاعمل العمل الصالح الذي يكون جالبًا لرحمة الله، هذا هو معنى إحصائها، فإذا كان كذلك فهو جدير لأن يكون ثمنًا لدخول الجنة.

٥٣ وسئل فضيلة الشيخ: عن أقسام صفات الله تعالى باعتبار لزومها لذاته المقدسة وعدم لزومها؟

فأجاب بقوله: تنقسم صفات الله - تعالى - باعتبار لزومها لذاته المقدسة وعدم لزومها إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: صفات ذاتية.

القسم الثاني: صفات فعلية.

القسم الثالث: صفات ذاتية فعلية باعتبارين.

فأما الصفات الذاتية فيراد بها الصفات اللازمة لذاته - تعالى -، التي لم يزل ولا يزال متصفًا بها مثل الحياة، والعلم، والقدرة، والعزة، والحكمة، والعظمة، والجلال، والعلو ونحوها من صفات المعاني، وسميت ذاتية للزومها للذات، ومثل اليدين، والعينين، والوجه، وقد تسمى هذه بالصفات الخبرية.

وأما الصفات الفعلية فهي التي تتعلق بمشيئته، وليست لازمة لذاته لا باعتبار نوعها، ولا باعتبار آحادها، مثل الاستواء على العرش، والنزول إلى السماء الدنيا، والمجيء للفصل بين العباد يوم القيامة فهذه الصفات صفات فعلية تتعلق بمشيئته، إن شاء فعلها، وإن شاء لم يفعلها، وهي

صفات حادثة في نوعها وآحادها، فالاستواء على العرش لم يكن إلا بعد خلق العرش، والنزول إلى السماء الدنيا لم يكن إلا بعد خلق السماء، والمجيء يوم القيامة لم يكن قبل يوم القيامة.

وأما الصفات الذاتية الفعلية فهي التي إذا نظرت إلى نوعها وجدت أن الله ـ تعالى ـ، لم يزل ولا يزال متصفًا بها، فهي لازمة لذاته، وإذا نظرت إلى آحادها وجدت أنها تتعلق بمشيئته وليست لازمة لذاته، ومثلوا لذلك بكلام الله ـ تعالى ـ، فإنه باعتبار نوعه من الصفات الذاتية، لأن الله لم يزل ولا يزال متكلمًا، فكلامه من كماله الواجب له سبحانه، وباعتبار آحاد الكلام أعني باعتبار الكلام المعين الذي يتكلم به سبحانه متى شاء، من الصفات الفعلية لأنه كان بمشيئته سبحانه.

وصرح بالقسمين الأولين في التنبيهات السنية على العقيدة الواسطية ص ٢٠ للشيخ ابن رشيد.

وقد أشار إلى نحو مما ذكرنا في الفتاوى مجموع ابن قاسم ص ١٥٠ ـ ١٦٠ مج ٦.

٥٤ سئل فضيلة الشيخ: عن علو الله تعالى؟ وعن قول من يقول إنه عن الجهات الست خالٍ وأنه في قلب العبد المؤمن؟

فأجاب بقوله: مذهب السلف ـ رضوان الله عليهم ـ أن الله ـ تعالى ـ بذاته فوق عباده، وقد قال الله ـ تعالى ـ: **﴿فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن**

تأويلاً﴾[1]. وقال ـ تعالى ـ: **﴿وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله﴾**[2]. وقال ـ تعالى ـ: **﴿إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون. ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فأولئك هم الفائزون﴾**[3]. وقال ـ تعالى ـ: **﴿وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرًا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالاً مبينًا﴾**[4]. وقال ـ تعالى ـ: **﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجًا مما قضيت ويسلموا تسليمًا﴾**[5]. فإذا تبين أن طريقة المؤمنين عند التنازع هي الرجوع إلى كتاب الله ـ تعالى ـ، وسنة رسوله، صلى الله عليه وسلم، والسمع والطاعة لهما، وعدم الخيار فيما سواهما، وأن الإيمان لا يكون إلا بذلك، مع انتفاء الحرج وتمام التسليم، فإن الخروج عن هذا الطريق موجب لما قال الله ـ تعالى ـ: **﴿ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيراً﴾**[6].

وعلى هذا فإن المتأمل في هذه المسألة ـ مسألة علو الله ـ تعالى ـ بذاته على خلقه ـ بعد ردها إلى كتاب الله ـ تعالى ـ، وسنة رسوله، صلى الله عليه

---

(١) سورة النساء، الآية «٥٩».

(٢) سورة الشورى، الآية «١٠».

(٣) سورة النور، الآية «٥١».

(٤) سورة الأحزاب، الآية «٣٦».

(٥) سورة النساء، الآية «٥٦».

(٦) سورة النساء، الآية «١١٥».

وسلم، يتبين له أن الكتاب والسنة قد دلا دلالة صريحة بجميع وجوه الدلالة على علو الله ـ تعالى ـ بذاته فوق خلقه، بعبارات مختلفة منها:

١ ـ التصريح بأن الله ـ تعالى ـ في السماء، كقوله ـ تعالى ـ: **﴿أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض فإذا هي تمور، أم أمنتم من في السماء أن يرسل عليكم حاصبًا فستعلمون كيف نذير﴾**[1]. وقوله، صلى الله عليه وسلم، في رقية المريض: «**ربنا الله الذي في السماء**»، إلى آخر الحديث، رواه أبو داود، وقوله، صلى الله عليه وسلم: «**والذي نفسي بيده ما من رجل يدعو امرأته إلى فراشها فتأبى عليه إلا كان الذي في السماء ساخطًا عليها حتى يرضى عنها**». رواه مسلم.

٢ ـ التصريح بفوقيته ـ تعالى ـ، كقوله ـ تعالى ـ: **﴿وهو القاهر فوق عباده﴾**[2]. وقوله: **﴿يخافون ربهم من فوقهم﴾**[3]. وقوله، صلى الله عليه وسلم: «**إن الله لما قضى الخلق كتب عنده فوق عرشه إن رحمتي سبقت غضبي**». رواه البخاري.

٣ ـ التصريح بصعود الأشياء إليه، ونزولها منه، والصعود لا يكون إلا إلى أعلى، والنزول لا يكون إلا من أعلى، كقوله ـ تعالى ـ: **﴿إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه﴾**[4]. وقوله: **﴿تعرج الملائكة والروح إليه﴾**[5]. وقوله: **﴿يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج**

---

(١) سورة الملك، الآية «١٧».

(٢) سورة الأنعام، الآية «١٨».

(٣) سورة النحل، الآية «٥٠».

(٤) سورة فاطر، الآية «١٠».

(٥) سورة المعارج، الآية «٤».

إليه﴾[1]. وقوله ـ تعالى ـ في القرآن الكريم: **﴿لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد﴾**[2]. والقرآن كلام الله ـ تعالى ـ، كما قال ـ سبحانه ـ: **﴿وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله﴾**[3]. وإذا كان القرآن الكريم كلامه وهو تنزيل منه دل ذلك على علوه بذاته ـ تعالى ـ. وقوله، صلى الله عليه وسلم: «**ينزل ربنا إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول من يدعوني**». إلى آخر الحديث، وهو صحيح ثابت في الصحيحين وغيرهما. وفي حديث البراء بن عازب ـ رضي الله عنه ـ أن النبي، صلى الله عليه وسلم، علمه ما يقول إذا آوى إلى فراشه، ومنه: «**آمنت بكتابك الذي أنزلت، ونبيك الذي أرسلت**». وهو في صحيح البخاري وغيره.

٤ ـ التصريح بوصفه ـ تعالى ـ بالعلو، كما في قوله تعالى: **﴿سبح اسم ربك الأعلى﴾**[4]. وقوله: **﴿ولا يَؤُدُه حفظهما وهو العلي العظيم﴾**[5]. وقول النبي، صلى الله عليه وسلم: «**سبحان ربي الأعلى**».

٥ ـ إشارة النبي، صلى الله عليه وسلم، إلى السماء حين يُشهد الله ـ تعالى ـ في موقف عرفة ذلك الموقف العظيم، الذي شهد فيه النبي، صلى الله عليه وسلم، أكبر جمع من أمته، حين قال لهم: «**ألا هل بلغت**»؟ قالوا: نعم. فقال: «**اللهم اشهد**». يرفع أصبعه إلى السماء وينكبها إلى

---

(١) سورة السجدة، الآية «٥».

(٢) سورة فصلت، الآية «٤٢».

(٣) سورة التوبة، الآية «٦».

(٤) سورة الأعلى، الآية «١».

(٥) سورة البقرة، الآية «٢٥٥».

الناس. وذلك ثابت في صحيح مسلم من حديث جابر، وهو ظاهر في أن الله - تعالى - في السماء وإلا لكان رفعه إياها عبثاً.

٦ - سؤال النبي، صلى الله عليه وسلم، للجارية حين قال لها: «**أين الله**»؟ قالت: في السماء، قال: «**اعتقها فإنها مؤمنة**». رواه مسلم من حديث طويل عن معاوية بن الحكم السلمي - رضي الله عنه - وهو صريح في إثبات العلو الذاتي لله - تعالى -، لأن «أين»، إنما يستفهم بها عن المكان، وقد أقر النبي، صلى الله عليه وسلم، هذه المرأة حين سألها أين الله؟ فأقرها على أنه - تعالى - في السماء، وبيّن أن هذا مقتضى الإيمان حين قال: «**اعتقها فإنها مؤمنة**». فلا يؤمن العبد حتى يقر ويعتقد أن الله - تعالى - في السماء، فهذه أنواع من الأدلة السمعية الخبرية من كتاب الله - تعالى -، وسنة رسوله، صلى الله عليه وسلم، تدل على علو الله - تعالى - بذاته فوق خلقه، أما أفراد الأدلة فكثيرة لا يمكن حصرها في هذا الموضع، وقد أجمع السلف الصالح - رضوان الله عليهم - على القول بمقتضى هذه النصوص وأثبتوا لله - تعالى - العلو الذاتي، وهو أنه سبحانه عال بذاته فوق خلقه، كما أنهم مجمعون على إثبات العلو المعنوي له وهو علو الصفات، قال الله - تعالى -: ﴿**وله المثل الأعلى في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم**﴾[1]. وقال - تعالى -: ﴿**ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها**﴾[2]. قال - تعالى -: ﴿**فلا تضربوا لله الأمثال إن الله يعلم وأنتم لا تعلمون**﴾[3].

---

(١) سورة الروم، الآية «٢٧».

(٢) سورة الأعراف، الآية «١٨٠».

(٣) سورة النحل، الآية «٧٤».

وقال: ﴿فلا تجعلوا لله أندادًا وأنتم تعلمون﴾[1]. إلى غير ذلك من الآيات الدالة على كماله في ذاته وصفاته وأفعاله.

وكما أن علو الله ـ تعالى ـ الذاتي دلت عليه نصوص الكتاب والسنة وإجماع السلف، فقد دل عليه العقل والفطرة.

أما دلالة العقل: فيقال لا ريب أن العلو صفة كمال، وأن ضده صفة نقص، والله ـ تعالى ـ قد ثبت له صفات الكمال فوجب ثبوت العلو له ـ تعالى ـ، ولا يلزم على إثباته له شيء من النقص، فإنا نقول إن علوه ـ تعالى ـ ليس متضمنًا لكون شيء من مخلوقاته محيطًا به، ومن ظن أن إثبات العلو له يستلزم ذلك فقد وهم في ظنه، وضل في عقله.

وأما دلالة الفطرة على علو الله ـ تعالى ـ بذاته: فإن كل داع لله ـ تعالى ـ دعاء عبادة، أو دعاء مسألة لا يتجه قلبه حين دعائه إلا إلى السماء، ولذلك تجده يرفع يديه إلى السماء بمقتضى فطرته، كما قال ذلك الهمداني لأبي المعالي الجويني: «ما قال عارف قط يا رب إلا وجد من قلبه ضرورة بطلب العلو». فجعل الجويني يلطم على رأسه ويقول: «حيرني الهمداني، حيرني الهمداني». هكذا نقل عنه، سواء صحت عنه أم لم تصح، فإن كل أحد يدرك ذلك، وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن النبي، صلى الله عليه وسلم، ذكر الرجل يمد يديه إلى السماء، يا رب، يا رب، إلى آخر الحديث. ثم إنك تجد الرجل يصلي وقلبه نحو السماء لا سيما حين يسجد. ويقول: «سبحان ربي الأعلى» لأنه يعلم أن معبوده في السماء سبحانه وـ تعالى ـ.

وأما قولهم: «إن الله ـ تعالى ـ عن الجهات الست خالٍ»، فهذا

---

(١) سورة البقرة، الآية «٢٢».

القول على عمومه باطل لأنه يقتضي إبطال ما أثبته الله ـ تعالى ـ لنفسه، وأثبته له أعلم خلقه به، وأشدهم تعظيمًا له، وهو رسوله محمد، صلى الله عليه وسلم، من أنه سبحانه في السماء التي هي في جهة العلو، بل إن ذلك يقتضي وصف الله ـ تعالى ـ بالعدم، لأن الجهات الست هي الفوق، والتحت، واليمين، والشمال، والخلف، والأمام، وما من شيء موجود إلا تتعلق به نسبة إحدى هذه الجهات، وهذا أمر معلوم ببداهة العقول، فإذا نفيت هذه الجهات عن الله ـ تعالى ـ لزم أن يكون معدومًا، والذهن وإن كان قد يفرض موجودًا خاليًا من تعلق هذه النسب، به لكن هذا شيء يفرضه الذهن، ولا يوجد في الخارج، ونحن نؤمن ونرى لزامًا على كل مؤمن بالله أن يؤمن بعلوه ـ تعالى ـ فوق خلقه، كما دل على ذلك الكتاب والسنة، وإجماع السلف، والعقل، والفطرة، كما قررناه من قبل. ولكننا مع ذلك نؤمن بأن الله ـ تعالى ـ محيط بكل شيء، وأنه لا يحيط به شيء من مخلوقاته، وأنه سبحانه غني عن خلقه فلا يحتاج لشيء من مخلوقاته. ونحن نرى أيضًا أنه لا يجوز لمؤمن أن يخرج عما يدل عليه الكتاب والسنة، لقول أحد من الناس كائنًا من كان، كما أسلفنا الأدلة على ذلك في أول جوابنا هذا.

وأما قولهم: «إن الله ـ تعالى ـ في قلب المؤمن». فهذا لا دليل عليه من كتاب الله ـ تعالى ـ، ولا سنة رسوله، صلى الله عليه وسلم، ولا كلام أحد من السلف الصالح فيما نعلم، وهو أيضًا على إطلاقه باطل فإنه إن أريد به أن الله ـ تعالى ـ حالٌّ في قلب العبد فهو باطل قطعًا، فإن الله ـ تعالى ـ أعظم وأجل من ذلك، ومن العجائب ـ والعجائب جمة ـ أن ينفر شخص مما دل عليه الكتاب والسنة من كون الله ـ تعالى ـ في السماء، ثم يطمئن بما لم يدل عليه الكتاب والسنة من زعمه أن الله ـ تعالى ـ في قلب

المؤمن، إذ ليس في الكتاب والسنة حرف واحد يدل على ذلك.

وإن أريد بكون الله ـ تعالى ـ في قلب العبد المؤمن أنه دائمًا يذكر ربه في قلبه، فهذا حق، ولكن يجب أن يعبر عنه بعبارة تدل على حقيقته وينتفي عنها المدلول الباطل، فيقال مثلاً: إن ذكر الله ـ تعالى ـ دائمًا في قلب العبد المؤمن.

ولكن الذي يظهر من كلام من يتكلم بها أنه يريد أن يستبدلها عن كون الله ـ تعالى ـ في السماء، وهي بهذا المعنى باطلة كما سبق.

فليحذر المؤمن من إنكار ما دل عليه كتاب الله وسنة رسوله، وأجمع عليه السلف إلى عبارات مجملة غامضة تحتمل من المعاني الحق والباطل، وليلتزم سبيل السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، حتى يدخل في قول الله ـ تعالى ـ: **﴿والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار خالدين فيها أبدًا ذلك الفوز العظيم﴾**[1].

جعلنا الله وإياكم منهم، ووهب لنا جميعًا منه رحمة، إنه هو الوهاب.

٥٥ سئل فضيلة الشيخ: عن قول بعض الناس إذا سئل «أين الله»؟ قال: «الله في كل مكان». أو «موجود». فهل هذه الإجابة صحيحة على إطلاقها؟

فأجاب بقوله: هذه إجابة باطلة لا على إطلاقها ولا تقييدها فإذا

(١) سورة التوبة، الآية «١٠٠».

سئل أين الله؟ فليقل: «في السماء»، كما أجابت بذلك المرأة التي سألها النبي، صلى الله عليه وسلم، «أين الله؟» قالت: في السماء.

وأما من قال: «موجود» فقط. فهذا حيدة عن الجواب ومراوغة منه.

وأما من قال: «إن الله في كل مكان». وأراد بذاته فهذا كفر لأنه تكذيب لما دلت عليه النصوص، بل الأدلة السمعية، والعقلية، والفطرية من أن الله ـ تعالى ـ عليّ على كل شيء وأنه فوق السماوات مستوٍ على عرشه.

٥٦ سئل الشيخ: عن توضيح ما جاء في كتاب «عقيدة أهل السنة والجماعة». من قول فضيلته «ومن كان هذا شأنه كان مع خلقه حقيقة، وإن كان فوقهم على عرشه حقيقة»؟

فأجاب بقوله: فقولنا: «ومن كان هذا شأنه كان مع خلقه حقيقة، وإن كان فوقهم على عرشه حقيقة». نريد بذلك أن هذه الآية كغيرها من آيات الصفات يراد بها حقيقة معناها مع تنزيه الله ـ تعالى ـ، عما لا يليق به من كونه مختلطًا بخلقه، بل هو ـ سبحانه ـ على عرشه بائن من خلقه.

وحقيقة المعية لا تستلزم الاختلاط، ولهذا تقول العرب: «ما زلنا نسير والقمر معنا»، مع أن القمر في السماء، ولا يفهم أحد من ذلك أن القمر في الأرض، فالرب ـ جل وعلا ـ أعظم وأجل فهو مع خلقه، وإن كان في السماء على عرشه لا يمكن أن يكون مختلطًا بخلقه، كما قرر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية في العقيدة الواسطية، حيث قال: «وكل هذا الكلام الذي ذكره الله ـ من أنه فوق العرش وأنه معنا ـ حق على حقيقته لا يحتاج إلى تحريف». وقال قبل ذلك: «وليس معنى قوله: ﴿وهو

معكم﴾. أنه مختلط بالخلق، فإن هذا لا توجبه اللغة، بل القمر آية من آيات الله من أصغر مخلوقاته، وهو موضوع في السماء وهو مع المسافر وغير المسافر أينما كان» ا. هـ. كلامه.

وبهذا التقرير علم أن الله ـ تعالى ـ مع خلقه حقًّا، وإن كان بذاته فوق عرشه ولا تناقض بين هذا وهذا.

وبه أيضًا بطل احتجاج أهل التأويل من الأشعرية وغيرهم على أهل السنة، حيث قالوا لأهل السنة: لِمَ تنكرون علينا التأويل فيما نؤوله من آيات الصفات وأحاديثها بصرفها عن حقيقتها، وأنتم تؤولون نصوص المعية وتصرفونها عن حقيقتها.

٥٧ سئل فضيلة الشيخ: عن تفسير استواء الله ـ عز وجل ـ على عرشه بأنه علوه ـ تعالى ـ على عرشه على ما يليق بجلاله؟

فأجاب بقوله: تفسير استواء الله ـ تعالى ـ على عرشه بأنه علوه ـ تعالى ـ على عرشه على ما يليق بجلاله هو تفسير السلف الصالح. قال ابن جرير إمام المفسرين في تفسيره «من معاني الاستواء: العلو والارتفاع كقول القائل: استوى فلان على سريره يعني علوه عليه». وقال في تفسير قوله ـ تعالى ـ: ﴿**الرحمن على العرش استوى**﴾ «يقول جل ذكره: الرحمن على عرشه ارتفع وعلا». ا. هـ. ولم ينقل عن السلف ما يخالفه.

ووجهه: أن الاستواء في اللغة يستعمل على وجوه:

الأول: أن يكون مطلقًا غير مقيد فيكون معناه الكمال كقوله ـ تعالى ـ: ﴿**ولما بلغ أشده واستوى**﴾.

الثـاني: أن يكون مقرونًا بالواو فيكون بمعنى التساوي كقولهم: استوى الماء والعتبة.

الثـالث: أن يكـون مقـرونـًا بإلى فيكـون بمعنى القصـد كقوله ـ تعالى ـ: ﴿**ثم استوى إلى السماء**﴾.

الرابع: أن يكون مقرونًا بعلى فيكون بمعنى العلو والارتفاع كقوله ـ تعالى ـ: ﴿**الرحمن على العرش استوى**﴾.

وذهب بعض السلف إلى أن الاستواء المقرون بإلى كالمقرون بعلى فيكون معناه الارتفاع والعلو. كما ذهب بعضهم إلى أن الاستواء المقرون بعلى بمعنى الصعود والاستقرار إذا كان مقرونًا بعلى.

وأما تفسيره بالجلوس فقد نقل ابن القيم في الصواعق **١٣٠٣/٤** عن خارجة بن مصعب في قوله ـ تعالى ـ: ﴿**الرحمن على العرش استوى**﴾ قوله: «وهل يكون الاستواء إلا الجلوس». ا.هـ. وقد ورد ذكر الجلوس في حديث أخرجه الإمام أحمد عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ مرفوعًا. والله أعلم.

٥٨ سئل فضيلته: عن قول من يقول: إن الله مستو على عرشه بطريقة رمزية كما بُيِّن كثير من أشياء الجنة للبشر في لغتهم كي يفهموا ويدركوا معانيها؟

فأجاب ـ حفظه الله تعالى ـ بقوله: لو تأمل المتكلم الكلام وأعطاه حقه من التأمل لعلم أن القرآن المبين ليس فيه شيء تكون معانيه رمزية، فإن الرموز مخالفة لبيان القرآن الكريم، بعيدة عن دلالاته كيف وقد قال الله عنـه: ﴿**ونـزلنـا عليـك الكتـاب تبيـانًا لكل شيء وهدى**﴾. وقال

ـ تعـالى ـ: ﴿كتـاب فصلت آياته قرآنًا عربيًّا لقوم يعلمون﴾. وقال في وصفه: ﴿حم والكتاب المبين إنا جعلناه قرآنًا عربيًّا لعلكم تعقلون﴾. وقال: ﴿إن هو إلا ذكر وقرآن مبين﴾. فكيف يكون هذا القرآن العظيم الذي نزل تبيانًا لكل شيء، وفصلت آياته، ووصفه من أنزله بأنه مبين، وأنه جعله قرآنًا عربيًّا من أجل عقله وفهمه أقول كيف يكون ما هذا شأنه ووصفه رموزًا في أعظم المطالب وهي صفات الله ـ عز وجل ـ؟!!

إذا كنا نمنع منعًا باتًّا الدلالات الرمزية في الأحكام التكليفية التي متعلقهـا أعمال العباد التي قد يسوغ الاجتهاد في بعضها حسبما تقتضيه الشريعة، فكيف نسوغ لأنفسنا أن نعمل بالدلالات الرمزية في الأخبار المحضة التي لا مجال للرأي فيها بوجه من الوجوه، لا سيما ما يتعلق بأسماء الله وصفاته؟

إننـا لو سوغنا ذلك لأنفسنا لتلاعب الناس في كلام الله، وكلام رسوله وصار كل واحد من الناس، أو كل طائفة من الناس تدعي أن هذه الآية أو هذا الحديث رمز لكذا وكذا، فتبطل الشريعة بهذا المعيار عقيدة ومنهجًا.

ولا أدري هل يمكن لقدم مؤمن أن تثبت في الدنيا، أو إذا لاقى ربه يوم القيامة على دعوى أن في كلام الله ـ تعالى ـ ما دلالته رمزية وقد أخبر الله ـ تعالى ـ عنه أنه جعله قرآنًا عربيًّا لنعقله ونفهمه على مقتضى اللسان العربي الذي نزل به؟

إذن يجب علينا أن نفهم كلام الله ـ تعالى ـ على مقتضى اللسان العربي وقد علم من ذلك اللسان العربي أن الاستواء إذا تعدى بـ (على) كان معنـاه العلو والارتفاع، لكن يجب أن نفهم فيما يتعلق باستواء الله

ـ تعالى ـ على عرشه أمرين :

أحدهما: أن استواءه على عرشه ليس كاستواء الإنسان على الفلك والأنعام والسرر لقوله ـ تعالى ـ: ﴿**ليس كمثله شيء**﴾ ولأنه لا يمكن أن تكون صفات الخالق كصفات خلقه لتباين ما بين الخالق والمخلوق.

ثانيهما: أنا لا نعلم كيفية استوائه لقوله ـ تعالى ـ: ﴿**ولا يحيطون به علمًا**﴾ ولأن الله ـ تعالى ـ أخبرنا عن استوائه ولم يخبرنا عن كيفيته، والغائب المخبر عنه لا تعلم كيفيته إلا بمشاهدته، أو مشاهدة نظيره، أو الخبر الصادق عنه. ولهذا لما سئل مالك إمام دار الهجرة عن قوله ـ تعالى ـ: ﴿**الرحمن على العرش استوى**﴾ قال: «الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة». فبين ـ رحمه الله ـ أن الاستواء معلوم حيث نفى جهله وهو العلو والارتفاع. وأن الكيف لا يدرك بالعقل وإنما يدرك بالسمع، ولم يرد به فيبقى مجهولاً، وأن الإيمان بالاستواء واجب على حسب مراد الله ـ تعالى ـ سواء فهمنا كيفيته أم لم نفهمها، وأن السؤال عنه أي عن الكيف بدعة؛ لأنه من سمات أهل البدع، ولأنه لم يسبق السؤال عنه من الصحابة الذين هم أحرص الناس على سلامة العقيدة وتصحيحها وفهم كلام الله ورسوله.

وهذا هو القول الحق الصحيح في استواء الله ـ تعالى ـ على عرشه وفي بقية صفاته أن تجري على ظاهر الخطاب المفهوم بمقتضى اللسان العربي لكن بدون تكييف ولا تمثيل.

فإن قال قائل: إذا فسرتم استواء الله على عرشه بعلوه عليه وارتفاعه لزمكم أن تقولوا إنه مستو على كل شيء كما أنه عال على كل شيء.

فالجواب على ذلك أن هذا ليس بلازم لنا، لأن الاستواء على الشيء

أخص من مطلق العلو عليه، فهو علو خاص بما يكون عليه الاستواء ولهذا فسره بعض السلف بالاستقرار.

وقوله: «كما بين كثير من أشياء الجنة للبشر في لغتهم كي يفهموا ويدركوا معانيها». فهذا حق، ولكن هل يقول أحد إن قوله ـ تعالى ـ: ﴿**فيهما فاكهة ونخل ورمان**﴾ لا يدل على أن في الجنتين فاكهة ونخلاً، ورمانًا، وإنما يدل على أن فيهما شيئًا رمز إليه بفاكهة، ونخل، ورمان. أو يقول إن في الجنتين فاكهة، ونخلاً، ورمانًا على وجه الحقيقة ولكن لا تماثل ما في الدنيا من النخل، والرمان، والفاكهة.

فإن قال بالأول لم يكن للتعبير بالفاكهة، والنخل، والرمان فائدة أصلاً إذ الرمز إلى المراد بهذه الثلاثة أو غيرها سواء.

وإن قال بالثاني فهو حق لأن في الجنة فاكهة، ونخلاً، ورمانًا، لكن لا يماثل ما في الدنيا لقوله ـ تعالى ـ في الحديث القدسي: «**أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر**».

وهكذا نقول في استواء الله على عرشه إنه حق على ما تقتضيه اللغة العربية لكن لا يماثل استواء المخلوقين لما سبق من انتفاء التماثل بينهما سمعًا وعقلاً.

٥٩ سئل فضيلة الشيخ: قلتم ـ حفظكم الله ـ في استواء الله على عرشه «إنه علو خاص على العرش يليق بجلال الله ـ تعالى ـ وعظمته» فنأمل التكرم من فضيلتكم بإيضاح ذلك؟

فأجاب بقوله: قولنا في استواء الله ـ تعالى ـ على عرشه «إنه علو خاص على العرش يليق بجلال الله ـ تعالى ـ وعظمته» نريد به أنه علو

يختص به العرش وليس هو العلو العام الشامل لجميع المخلوقات، ولهذا لا يصح أن نقول استوى على المخلوقات، أو على السماء، أو على الأرض مع أنه عال على ذلك، وإنما نقول هو عال على جميع المخلوقات عال على السماء، عال على الأرض ونحو ذلك، وأما العرش فنقول: إن الله ـ تعالى ـ عال على عرشه ومستو على عرشه، فالاستواء أخص من مطلق العلو. ولهذا كان استواء الله ـ تعالى ـ على عرشه من صفاته الفعلية المتعلقة بمشيئته بخلاف علوه فإنه من صفاته الذاتية التي لا ينفك عنها.

وقد صرح بمثل ما قلنا شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى ـ في شرح حديث النزول ص **٥٢٢** مج **٥** مجموع الفتاوى جمع ابن قاسم: «فإن قيل: فإذا كان إنما استوى على العرش بعد أن خلق السموات والأرض في ستة أيام فقبل ذلك لم يكن على العرش؟ قيل الاستواء علو خاص فكل مستو على شيء عال عليه، وليس كل عال على شيء مستويًا عليه، ولهذا لا يقال لكل ما كان عاليًا على غيره إنه مستو عليه واستوى عليه، ولكن كل ما قيل فيه استوى على غيره فإنه عال عليه». ا.هـ. المقصود منه وتمامه فيه.

وأما قولنا: «يليق بجلاله وعظمته» فالمراد به أن استواءه على عرشه كسائر صفاته يليق بجلاله وعظمته، ولا يماثل استواء المخلوقين، فهو عائد إلى الكيفية التي عليها هذا الاستواء، لأن الصفات تابعة للموصوف، فكما أن لله ـ تعالى ـ ذاتًا لا تماثل الذوات، فإن صفاته لا تماثل الصفات ﴿**ليس كمثله شيء وهو السميع البصير**﴾ ليس كمثله شيء في ذاته ولا صفاته. ولهذا قال الإمام مالك ـ رحمه الله ـ في الاستواء حين سئل كيف استوى؟ قال: «الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب،

والسؤال عنه بدعة». وهذا ميزان لجميع الصفات فإنها ثابتة لله ـ تعالى ـ كما أثبتها لنفسه على الوجه اللائق به من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل.

وبهذا تبين فائدة القول بأن الاستواء على العرش علو خاص على العرش مختص به، لأن العلو العام ثابت لله ـ عز وجل ـ قبل خلق السموات والأرض، وحين خلقهما، وبعد خلقهما؛ لأنه من صفاته الذاتية اللازمة كالسمع، والبصر، والقدرة، والقوة ونحو ذلك بخلاف الاستواء.

٦٠ وسئل: عن صحة حديث «لو دليتم بحبل إلى الأرض السابعة لوقع على الله»؟ وما معناه؟

فأجاب بقوله: هذا الحديث اختلف العلماء في تصحيحه، والذين قالوا إنه صحيح يقولون إن معنى الحديث لو أدليتم بحبل لوقع على الله ـ عز وجل ـ لأن الله ـ تعالى ـ محيط بكل شيء، فكل شيء هو في قبضة الله ـ سبحانه وتعالى ـ وكل شيء فإنه لا يغيب عن الله ـ تعالى ـ، حتى إن السموات السبع والأرضين السبع في كف الرحمن ـ عز وجل ـ كخردلة في يد أحدنا يقول الله ـ تعالى ـ في القرآن الكريم: ﴿**وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعًا قبضته يوم القيامة والسمٰوات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون**﴾[1]. ولا يمكن بأي حال من الأحوال أن يكون دالاً على أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ في كل مكان، أو على أن الله ـ تعالى ـ في أسفل الأرض السابعة فإن هذا ممتنع شرعًا، وعقلاً، وفطرة؛ لأن علو الله ـ سبحانه وتعالى ـ قد دل عليه كتاب الله، وسنة رسوله، صلى الله عليه

(١) سورة الزمر، الآية «٦٧».

وسلم، والإجماع، والعقل، والفطرة.

فمن الكتاب: قولـه ـ تعالى ـ: ﴿**وهو القاهر فوق عباده**﴾[1].
وقوله: ﴿**سبح اسم ربك الأعلى**﴾[2]. والآيات في هذا كثيرة جدًّا في كتاب الله فكل آية تدل على صعود الشيء إلى الله، أو رفع الشيء إلى الله، أو نزول الشيء من الله فإنها تدل على علو الله ـ عز وجل ـ.

وأما السنة: فإنها متواترة على علو الله ـ عز وجل ـ والسنة دلت على علو الله ـ عز وجـل ـ من قول الـرسـول، صلى الله عليه وسلم، وفعله وإقراره. قال النبي، صلى الله عليه وسلم: «**ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء**». فهذا قول منه، صلى الله عليه وسلم، يدل على علو الله ـ عز وجل ـ وخطب النبي، صلى الله عليه وسلم، في أمته يوم عرفة فقال لهم: «**ألا هل بلغت**»؟ قالـوا: نعم. فرفـع إصبعه إلى السماء يقول: «**اللهم اشهد**». فهذا فعل منه، صلى الله عليه وسلم، يدل على علو الله ـ عز وجـل ـ وإقـراره حين سأل الجـارية «**أين الله**» قالت: في السماء. قال: «**اعتقها فإنها مؤمنة**».

وأما الإجماع: فقد أجمع الصحابة والتابعون لهم بإحسان من أئمة هذه الأمة وعلمائها على أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ فوق كل شيء، ولم ينقل عنهم حرف واحد أن الله ليس في السماء، أو أنه مختلط بالخلق أو أنه لا داخل العالم ولا خارجه، ولا متصل، ولا منفصل، ولا مباين، ولا محاذي، بل النصوص عنهم كلها متفقة على أن الله ـ تعالى ـ في العلو وفوق كل شيء.

---

(١) سورة الأنعام، الآية «٦١».

(٢) سورة الأعلى، الآية «١».

أما العقل: فقد دل على علو الله بأن نقول هل العلو صفة كمال أو السفل؟ الجواب بالعلو والله ـ عز وجل ـ قد قال في كتابه: **﴿ولله المثل الأعلى﴾**(١) فكل وصف أكمل فهو لله ـ عز وجل ـ وإذا كان العقل يدل على أن العلو كمال وجب أن يثبت العلو لله ـ عز وجل ـ وتقرير ذلك أن يقال إن الله ـ عز وجل ـ إما أن يكون في الأعلى، أو في الأسفل، أو في المحاذي ففي الأسفل مستحيل لنقصه، وفي المحاذي مستحيل أيضًا لنقصه، لأنه يلزم أن يكون مساويًا للمخلوق، فلم يبق إلا العلو فالله عال فوق كل شيء.

أما الفطرة: فإن كل إنسان مفطور على أن الله ـ تعالى ـ في السماء تجد الإنسان يقول يا الله ويتجه إلى السماء فما يجد في قلبه ضرورة إلا إلى العلو. إذن فنحن نقول: إن الله ـ تعالى ـ فوق كل شيء، وإذا كان فوق كل شيء فإنه لا يمكن أن يكون المراد بهذا الحديث «**لو دليتم بحبل إلى الأرض السابعة لوقع على الله**» أن الله في الأرض.

فإن قيل: هل قوله ـ تعالى ـ: **﴿وهو الذي في السماء إلـه وفي الأرض إلـه وهو الحكيم العليم﴾**(٢) يقتضي أن الله في الأرض كما هو في السماء؟

فالجواب: لا لأن الله ـ تعالى ـ يخبر عن الألوهية، ولا يخبر عن مكانه أنه في السماء والأرض، لكن يخبر أنه إلـه في السماء وإلـه في الأرض، كما تقول فلان أمير في مكة وأمير في المدينة، فالمعنى أن إمارته ثابتة في مكة وفي المدينة وإن كان هو قطعًا في أحد البلدين وليس فيهما جميعًا. فهذه الآية

---

(١) سورة النحل، الآية «٦٠».

(٢) سورة الزخرف، الآية «٨٤».

تدل على أن ألوهية الله ثابتة في الأرض وفي السماء، وإن كان هو ـ سبحانه وتعالى ـ في السماء.

٦١ سئل فضيلة الشيخ: عن المعية في قوله: ﴿وهو معكم أينما كنتم﴾؟ هل هي معية ذاتية أو معية علم وإحاطة؟

فأجاب بقوله: نحن نعلم أن الله فوق كل شيء، وأنه استوى على العرش فإذا سمعنا قوله ـ سبحانه ـ: **﴿وهو معكم أينما كنتم﴾** فلا يمكن أن يفهم أحد أنه معنا على الأرض، لا يتصور ذلك عاقل فضلاً عن مؤمن ولكنه معنا سبحانه وهو فوق العرش فوق سماواته.

ولا يستغرب هذا فإن المخلوقات وهي لا تنسب للخالق تكون في السماء ونقول إنها معنا. فيقول شيخ الإسلام: تقول العرب ما زلنا نسير والقمر معنا. ومع ذلك فالقمر مكانه في السماء. فالله مع خلقه، ولكنه في السماء، ومن زعم بأنه مع خلقه في الأرض كما تقول الجهمية فأرى أنه كافر يجب أن يتوب إلى الله، ويقدر ربه حق قدره، ويعظمه حق تعظيمه، وأن يعلم أنه ـ سبحانه ـ وسع كرسيه السماوات والأرض فكيف تكون الأرض محلاً له.

وقد جاء في الحديث: «**ما السموات السبع والأرضون السبع في الكرسي إلا كحلقة ألقيت في فلاة من الأرض**». والحلقة الصغيرة. مع أن العرش مخلوق والكرسي مخلوق، فما بالك بالخالق ـ سبحانه ـ. فكيف يقال إن الأرض تسع الله ـ سبحانه ـ أو أنه في الأرض، ومن مخلوقاته سبحانه ما وسع السموات والأرض، ولا يقول عن رب العزة مثل هذه المقولات إلا من لا يقدر الله حق قدره، ولم يعظمه حق تعظيمه. بل الرب ـ عز وجل ـ فوق كل شيء مستو على عرشه وهو سبحانه بكل شيء عليم.

٦٢ سئل فضيلة الشيخ: هل سبق أحدٌ شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم في أن المعية حقيقية تليق بالله ينزه فيها الباري عن أن يكون مختلطًا بالخلق أو حالاً في أمكنتهم؟ وعن الحديث القدسي: «وما يزال عبدي يتقرَّب إليَّ بالنوافل. . .»؟ وعن قول ابن القيم في الصواعق - مختصرها - «فهو قريب من المحسنين بذاته ورحمته» هل هو صحيح وهل سبقه أحد في ذلك؟

فأجاب فضيله بقوله: لا أعلمُ أحدًا صرح بذلك، لكن الذي يظهر أن الكلام فيها كغيرها من الصفات، تفهم على حقيقتها مع تنزيه الله - تعالى - عما لا يليق به، كما يفهم الاستواء والنزول وغيرهما، ولهذا لم يتكلم الصحابة فيما أعلم بلفظ الذات في الاستواء والنزول، أي لم يقولوا استوى على العرش بذاته، أو ينزل إلى السماء الدنيا بذاته، لأن ذلك مفهوم من اللفظ، فإن الفعل أضيف إلى الله - تعالى -، إما إلى الاسم الظاهر، أو الضمير، فإذا أضيف إليه كان الأصل أن يراد به ذات الله - عز وجل - لكن لما حدث تحريف معنى الاستواء والنزول احتاجوا إلى توكيد الحقيقة بذكر الذات، وكذلك لما حدث القول بالحلول وشبه القائلون به بآيات المعية بيّن السلف بطلان تلبيسهم، وأنه لا يُراد بها أنه معهم بذاته مختلطًا بهم، كما فهم أولئك الحلولية، وأن المراد بها بيان إحاطته بالخلق علمًا، وذكروا العلم لأنه أعمّ الصفات متعلّقًا، ولأنها جاءت في سياقه.

والمهم أن هذه المسألة كغيرها من مسائل الصفات تجري على ظاهرها على ما يليق بالله - عز وجل - وما ورد عن السلف فإنه داخل في

معناها، لأنه من لوازمه، واقتصروا عليه خوف المحذور، وإلا فلا يخفى أن حقيقة المعية أوسع من العلم وأبلغ، ولظهور هذه المسألة وأنها لم تخرج عن نظائرها لم يكن فيها كلام عن الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ اللهم إلا ما ذكر عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره عنه، قال: «هو على العرش، وعلمه معهم»، ثم اشتهر ذلك بين السلف حين انتشر تفسير الجهمية لها بالحلول.

وأما سؤالكم عن الحديث القدسي: «**وما يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمعُ به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه**». فأنت ترى أن الله ـ تعالى ـ ذكر في الحديث عبدًا ومعبودًا، ومتقربًا ومتقربًا إليه، ومحبًّا ومحبوبًا، وسائلًا ومسئولًا، ومعطيًا ومعطى، ومستعيذًا، ومستعاذًا به، ومعيذًا ومعاذًا، فالحديث يدل على اثنين متباينين، كل واحد منهما غير الآخر، فإذا كان كذلك لم يكن ظاهر قوله «كنت سمعه وبصره ويده ورجله» أن الخالق يكون جزءًا من المخلوق، أو وصفًا فيه، تعالى الله عن ذلك، وإنما ظاهره وحقيقته أن الله ـ تعالى ـ يسدد هذا العبد في سمعه، وبصره، وبطشه، ومشيه، فيكون سمعه لله ـ تعالى ـ إخلاصًا، وبه استعانة، وفيه شرعًا، واتباعًا، وهكذا بصره، وبطشه ومشيه.

وأما سؤالكم عن قول ابن القيم في الصواعق (مختصرها)، فهو قريب من المحسنين بذاته، ورحمته، فهل يصح؟ وهل سبقه أحد في ذلك؟

فإن ابن القيم ـ رحمه الله تعالى ـ قاله أخذًا بظاهر قوله ـ تعالى ـ: ﴿**وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان**

فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون﴾[1]. فهذه الضمائر: **﴿عبادي﴾**، **﴿عني﴾**، **﴿فإني﴾**، **﴿قريب﴾**، **﴿أجيب﴾**، **﴿دعان﴾**، **﴿لي﴾**، **﴿بي﴾**، كلها تعود إلى الله ـ عز وجل ـ فكما أنه نفسه المعبود المسئول عنه المجيب لدعوة الداعي الواجب الإيمان به فهو القريب كذلك، ولا يلزم من ذلك الحلول، لأن الله ـ تعالى ـ ليس كمثله شيء في جميع صفاته، فهو قريب في علوه.

وقد سبقه إلى مثل ذلك شيخه شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى ـ حيث قال في شرح النزول ص ٥٠٨ جـ ٥ من مجموع الفتاوى: «ولهذا لما ذكر الله سبحانه قربه من داعيه وعابديه قال: **﴿وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان﴾**. فهنا هو نفسه سبحانه القريب الذي يجيب دعوة الداع». إلى ن قال ص ٥١٠ «وأما قرب الرب قربًا يقوم به بفعله القائم بنفسه فهذا تنفيه الكُلاّبية، ومن يمنع قيام الأفعال الاختيارية بذاته، وأما السلف وأئمة الحديث والسنة فلا يمنعون ذلك، وكذلك كثير من أهل الكلام» ا. هـ.

٦٣ سئل فضيلة الشيخ: عن إثبات العينين لله ـ تعالى ـ، ودليل ذلك؟

فأجاب بقوله: الجواب على ذلك يتحرَّر في مقامين:

المقام الأول: أن لله ـ تعالى ـ عينين، فهذا هو المعروف عن أهل السنة والجماعة، ولم يصرح أحد منهم بخلافه فيما أعلم. وقد نقل ذلك عنهم أبو الحسن الأشعري في كتابه: «اختلاف المصلين ومقالات

(١) سورة البقرة، الآية «١٨٦».

الإسلاميين». قال: مقالة أهل السنة وأصحاب الحديث فذكر أشياء ثم قال: «وأن له عينين بلا كيف كما قال: ﴿تجري بأعيننا﴾[1]». نقله عنه شيخ الإسلام ابن تيمية في الفتوى الحموية ص ٥/٩٠ من مجموع الفتاوى لابن قاسم، ونقل عنه أيضًا مثله في ص ٩٢ عن كتابه: «اختلاف أهل القبلة في العرش». ونقل عنه أيضًا مثله في ص ٩٤ عن كتابه: «الإبانة في أصول الديانة». وذكر له في هذا الكتاب ترجمة باب بلفظ: «باب الكلام في الوجه، والعينين، والبصر، واليدين». ونقل شيخ الإسلام في هذه الفتوى ص ٩٩ عن الباقلاني في كتابه: «الإبانة». قوله: صفات ذاته التي لم يزل ولا يزال متصفًا بها هي الحياة والعلم، إلى أن قال: «والعينان واليدان».

ونقل ابن القيم ص ١٨٨، ١١٩، ١٢٠ في كتابه: «اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية» عن أبي الحسن الأشعري وعن الباقلاني في كتابيه: «الإبانة والتمهيد» مثل ما نقل عنه شيخ الإسلام، ونقل قبل ذلك في ص ١١٤ عن الأشعري في كتابه: «الإبانة» أنه ذكر ما خالفت به المعتزلة كتاب الله ـ تعالى ـ وسنة رسوله، صلى الله عليه وسلم، وإجماع الصحابة إلى أن قال: «وأنكروا أن يكون لله عينان مع قوله ـ تعالى ـ: ﴿وتجري بأعيننا﴾».

وقال الحافظ ابن خزيمة في: «كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب» ص ٣٠ بيان النبي، صلى الله عليه وسلم، الذي جعله الله مبينًا عنه في قوله ـ عز وجل ـ: ﴿وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم﴾[2].

---

(١) سورة القمر، الآية «١٤».

(٢) سورة النحل، الآية «٤٤».

فبين النبي، صلى الله عليه وسلم، أن لله عينين، فكان بيانه موافقًا لبيان محكم التنزيل، ثم ذكر الأدلة، ثم قال في ص ٣٥: «نحن نقول: لربنا الخالق عينان يبصر بهما ما تحت الثرى».

وقال في ص ٥٥، ٥٦: «فتدبروا يا أولي الألباب ما نقوله في هذا الباب في ذكر اليدين ليجري قولنا في ذكر الوجه والعينين تستيقنوا بهداية الله إياكم، وشرحه ـ جل وعلا ـ صدوركم للإيمان بما قصه الله ـ عز وجل ـ في محكم تنزيله، وبينه على لسان نبيه، صلى الله عليه وسلم، من صفات خالقنا ـ عز وجل ـ وتعلموا بتوفيق الله إياكم أن الحق والصواب والعدل في هذا الجنس مذهبًا مذهب أهل الآثار ومتبعي السنن، وتقفوا على جهل من يسميهم مشبهة» ا. هـ.

فتبين بما نقلناه أن مقالة أهل السنة والحديث أن لله ـ تعالى ـ عينين تليقـان بجلاله وعظمته لا تكيفان، ولا تشبهان أعين المخلوقين، لقوله ـ تعالى ـ: ﴿**ليس كمثله شيء وهو السميع البصير**﴾[1]. روى عثمان بن سعيد الدارمي ص ٤٧ من رده على المريسي بسنده عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قرأ رسول الله، صلى الله عليه وسلم: ﴿**إن الله كان سميعًا بصيراً**﴾[2]. فوضع أصبعه الدعاء على عينيه وإبهامه على أذنيه.

المقام الثاني: في ذكر الأدلة على إثبات العينين:

قال البخاري ـ رحمه الله تعالى ـ باب قول الله ـ تعالى ـ: ﴿**ولتصنع**

(١) سورة الشورى، الآية «١١».

(٢) سورة النساء، الآية «٥٨».

على عيني﴾[1]. وقوله ـ جل ذكره ـ: ﴿تجري بأعيننا﴾[2] ثم ساق بسنده حديث عبدالله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال ذكر الدجال عند النبي، صلى الله عليه وسلم، فقال: **«إنه لا يخفى عليكم أن الله ليس بأعور ـ وأشار بيده إلى عينه ـ وإن المسيح الدجال أعور العين اليمنى كأن عينه عنبة طافية»**.

وقد استدل بحديث الدجال على أن لله ـ تعالى ـ عينين عثمان بن سعيد الدارمي في كتابه: «الرد على بشر المريسي» الذي أثنى عليه شيخ الإسلام ابن تيمية. وقال: «إن فيهما من تقرير التوحيد والأسماء والصفات بالعقل والنقل ما ليس في غيرهما» يعني هذا الكتاب وكتابه الثاني: «الرد على الجهمية» قال الدارمي في الكتاب المذكور: (ص ٤٣ ط أنصار السنة المحمدية)، بعد أن ساق آيتي صفة العينين: ثم ذكر رسول الله، صلى الله عليه وسلم، الدجال فقال: إنه أعور، وإن ربكم ليس بأعور، قال: والعور عند الناس ضد البصر، والأعور عندهم ضد البصير بالعينين. وقال في ص ٤٨ ففي تأويل قول رسول الله، صلى الله عليه وسلم، إن الله ليس بأعور بيان أنه بصير ذو عينين خلاف الأعور.

واستدل به أيضًا الحافظ ابن خزيمة في كتاب التوحيد كما في ص ٣١ وما بعدها.

ووجه الاستدلال به ظاهر جدًّا فإن النبي، صلى الله عليه وسلم، أراد أن يبين لأمته شيئًا مما ينتفي به الاشتباه عليهم في شأن الدجال في أمر محسوس، يتبين لذوي التفكير العالمين بالطرق العقلية وغيرهم، بذكر أن

---

(١) سورة طه، الآية «٣٩».

(٢) سورة القمر، الآية «١٤».

الدجال أعور العين والرب ـ سبحانه ـ ليس بأعور، ولو كان لله ـ تعالى ـ أكثر من عينين لكان البيان به أولى لظهوره وزيادة الثناء به على الله ـ تعالى ـ، فإنَّ العين صفة كمال فلو كان لله أكثر من اثنتين كان الثناء بذلك على الله أبلغ.

وتقرير ذلك أن يقال: ما زاد على العينين فإما أن يكون كمالاً في حق الله ـ تعالى ـ أو نقصًا، فإن كان نقصًا فهو ممتنع على الله ـ تعالى ـ لامتناع صفات النقص في حقه، وإن كان كمالاً فكيف يهمله النبي، صلى الله عليه وسلم، مع كونه أبلغ في الثناء على الله تعالى!! فلما لم يذكره النبي، صلى الله عليه وسلم، علم أنه ليس بثابت لله ـ عز وجل ـ وهذا هو المطلوب.

فإن قيل: ترك ذكره من أجل بيان نقص الدجال بكونه أعور.

قلنا: يمكن أن يذكر مع بيان نقص الدجال فيجمع بين الأمرين حتى لا يفوت ذكر كمال صفة الله ـ عز وجل ـ.

واعلم أن النبي، صلى الله عليه وسلم، ذكر هذه العلامة الحسية ليبين نقص الدجال وأنه ليس بصالح لأن يكون ربًّا، ولظهورها لجميع الناس لكونها علامة حسية بخلاف العلامات العقلية، فإنها قد تحتاج إلى مقدمات تخفى على كثير من الناس، لا سيما عند قوة الفتنة، واشتداد المحنة، كما في هذه الفتنة فتنة الدجال، وكان هذا من حسن تعليمه، صلى الله عليه وسلم، حيث يعدل في بيانه إلى ما هو أظهر وأجلى مع وجود علامات أخرى.

وقد ذكر ابن خزيمة ـ رحمه الله ـ في «كتاب التوحيد» ص ٣١ حديثًا ساقه في ضمن الأدلة على أن النبي، صلى الله عليه وسلم، بيَّن أن لله ـ تعالى ـ عينين، فساقه بسنده إلى أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أنه يقرأ قوله

ـ تعالى ـ: **﴿إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها﴾**[1]. إلى قوله: **﴿سميعًا بصيراً﴾**. فيضع إبهامه على أذنه، والتي تليها على عينه. ويقول هكذا سمعت رسول الله، صلى الله عليه وسلم، يقرؤها ويضع أصبعيه.

وقد سبقت رواية الدارمي له بلفظ التثنية، وذكر الحافظ ابن حجر في الفتح (ص **١٣/٣٧٣** ط خطيب) أن البيهقي ذكر له شاهدًا من حديث عقبة بن عامر ـ رضي الله عنه ـ سمعت رسول الله، صلى الله عليه وسلم، يقول على المنبر: «**إن ربنا سميع بصير وأشار إلى عينيه**» وسنده حسن ا. هـ.

وقد ذكر صاحب مختصر الصواعق (ص **٣٥٩** ط الإمام)، قبيل المثال السادس حديثًا عن أبي هريرة عن النبي، صلى الله عليه وسلم: «**إن العبد إذا قام إلى الصلاة فإنه بين عيني الرحمن**». الحديث لكنه لم يعزه فلينظر في صحته.

وبهذا تبين وجوب اعتقاد أن لله ـ تعالى ـ عينين، لأنه مقتضى النص وهو المنقول عن أهل السنة والحديث.

فإن قيل ما تصنعون بقوله ـ تعالى ـ: **﴿أن اصنع الفلك بأعيننا ووحينا﴾**[2]. وقوله: **﴿تجري بأعيننا﴾**[3] حيث ذكر الله ـ تعالى ـ العين بلفظ الجمع؟

قلنا: نتلقاها بالقبول والتسليم، ونقول إن كان أقل الجمع اثنين ـ كما قيل به إما مطلقًا أو مع الدليل ـ فلا إشكال لأن الجمع هنا قد دل

---

(١) سورة النساء، الآية «٥٨».

(٢) سورة المؤمنون، الآية «٢٧».

(٣) سورة القمر، الآية «١٤».

الدليل على أن المراد به اثنتان فيكون المراد به ذلك، وإن كان أقل الجمع ثلاثة فإننا نقول جمع العين هنا كجمع اليد في قوله ـ تعالى ـ: ﴿**أولم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعامًا**﴾[1]. يراد به التعظيم والمطابقة بين المضاف والمضاف إليه، وهو ـ نا ـ المفيد للتعظيم دون حقيقة العدد، وحينئذٍ لا يصادم التثنية.

فإن قيل: فما تصنعون بقوله ـ تعالى ـ يخاطب موسى: ﴿**ولتصنع على عيني**﴾[2]. حيث جاءت بالإفراد؟

قلنا: لا مصادمة بينها وبين التثنية، لأن المفرد المضاف لا يمنع التعدد فيما كان متعددًا، ألا ترى إلى قوله ـ تعالى ـ: ﴿**وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها**﴾[3]. وقوله ـ تعالى ـ: ﴿**واذكروا نعمة الله عليكم**﴾[4]. فإن النعمة اسم مفرد، ومع ذلك فأفرادها لا تحصى.

وبهذا تبين ائتلاف النصوص واتفاقها وتلاؤمها، وأنها ـ ولله الحمد ـ كلها حق، وجاءت بالحق، لكنها تحتاج في بعض الأحيان إلى تأمل وتفكير، بقصد حسن، وأداة تامة، بحيث يكون عند العبد صدق نية بطلب الحق واستعداد تام لقبوله، وعلم بمدلولات الألفاظ، ومصادر الشرع وموارده، قال الله ـ تعالى ـ: ﴿**أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافًا كثيرًا**﴾[5]. فحث على تدبر القرآن الكريم وأشار إلى أنه بتدبره

---

(١) سورة يس، الآية «٧١».

(٢) سورة طـه، الآية «٣٩».

(٣) سورة النحل، الآية «١٨».

(٤) سورة البقرة، الآية «٢٣١».

(٥) سورة النساء، الآية «٨٢».

يزول عن العبد ما يجد في قلبه من الشبهات، حتى يتبين له أن القرآن حق يصدق بعضه بعضًا. والله المستعان.

٦٤ سئل فضيلة الشيخ: عما ذكره الرازي من أن ظاهر قوله - تعالى -: ﴿ولتصنع على عيني﴾. يقتضي أن يكون موسى مستقرًّا على تلك العين لاصقًا بها مستعليًا عليها. وأن قوله - تعالى -: ﴿واصنع الفلك بأعيننا﴾. يقتضي أن تكون آلة تلك الصنعة هي تلك العين؟

فأجاب بقوله: ما ذكره الرازي من أن ظاهر قوله - تعالى -: **﴿ولتصنع على عيني﴾**[1]. يقتضي أن يكون موسى مستقرًا على تلك العين لاصقًا بها مستعليًا عليها، وأن قوله - تعالى -: **﴿واصنع الفلك بأعيننا﴾**[2] يقتضي أن تكون آلة تلك الصنعة هي تلك العين.

أقول: إنَّ ادعاءه أن ذلك ظاهر الآيتين ادعاء باطل؛ لأن هذا المعنى الذي ادعى أنه ظاهر الكلام معنى باطل، لا يقوله عاقل، كما اعترف به هو، فإذا كان معنى باطلاً لا يقوله عاقل فكيف يسوّغ لمؤمن بل لعاقل أن يقول: إنَّ هذا ظاهر كلام الله تعالى؟!

إنَّ من جوَّز أن يكون هذا ظاهر كلام الله - عز وجل - فقد قدح في الله - عز وجل - وفي كلامه الكريم، حيث جعل مدلوله معنى باطلاً، لا يقوله العقلاء، وإذا تعذر أن يكون هذا المعنى الباطل ظاهر هذا الكلام تعين أن يكون ظاهره معنى آخر يليق بالله - تعالى -، وهو في الآية الأولى

(١) سورة طه، الآية «٣٩».

(٢) سورة هود، الآية «٣٧».

أن تربية موسى، صلى الله عليه وسلم، على عين الله ـ تعالى ـ، وينظر إليه بعينه، كما تقول جرى هذا الشيء على عيني، أي حصل وأنا أشاهده وأراه بعيني.

والمعنى في الآية الثانية أن صنع نوح، عليه الصلاة والسلام، السفينة كان بعين الله ـ تعالى ـ، أي مصحوبًا بعينه يراه الله ـ تعالى ـ بعينه، فيسدده ويصلح صنيعه، كما تقول: صنعت هذا بعيني، أي صنعته وأنا أرعاه بعيني، وإن كانت آلة الصنع اليد أو الآلة. وتقول كتبته بعيني، أي كتبته وأنا أنظر إليه بعيني وإن كانت الكتابة باليد أو بالآلة.

وهذا التعبير لهذا المعنى تعبير عربي مشهور، والقرآن الكريم نزل بلسان عربي مبين، فهو محمول على ما تقتضيه اللغة العربية، إلا أن يكون هناك حقيقة شرعية انتقل المعنى إليها كالصلاة والصيام ونحوها، فيحمل على الحقيقة الشرعية. وكتاب التأسيس الذي نقل السائل منه هذه الكلمات قد نقضه شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ فليت السائل يحصل على نسخة من نقضه.

[٦٥] سئل فضيلة الشيخ: عمن يقول: إن كون الدجال أعور لا يثبت أن الله ذو عينين وإنما يثبت أنه يرى كل شيء يمر؟

فأجاب ـ حفظه الله ـ بقوله: لو تأمل القائل حديث الدجال لرأى أنه يدل دلالة واضحة على أن الله ـ تعالى ـ له عينان اثنتان فقط، ففي صحيح البخاري عن عبدالله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ أن النبي، صلى الله عليه وسلم، قال في الدجال: «**أعور العين كأن عينه عنبة طافية**».

وفي صحيح مسلم أن النبي، صلى الله عليه وسلم، ذكر الدجال فقال: «**إن الله ليس بأعور ألا وإن المسيح الدجال أعور العين اليمنى كأن عينه عنبة طافية**».

ووجه الدلالة من الحديث أنه لو كان لله ـ تعالى ـ أكثر من عينين لكان الزائد كمالاً بلا شك، لأنه لا يمكن أن يتصف الله ـ تعالى ـ بما ليس بكمال، وهذا الكمال يحصل به التمييز فيقول: إن الله له أعين، فلو كان ثابتًا لكان ذكره هو الواجب؛ لأنه أبلغ في وصف الرب بالكمال مع التمييز.

وقد نقل أبو الحسن الأشعري وغيره أن هذا هو ما عليه أهل السنة، أعني إثبات أن الله ـ تعالى ـ له عينان فقط، وإنما جمعت في قوله ـ تعالى ـ: ﴿**تجري بأعيننا**﴾ لأنها أضيفت إلى اسم جمع فكان جمعها أولى من أجل التناسب بين المتضايفين كما جمعت اليد في قوله ـ تعالى ـ: ﴿**أولم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعامًا**﴾ من أجل التناسب بين المتضايفين.

قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ في الصواعق ١/٢٥٤: «إن دعوى الجهمي أن ظاهر القرآن يدل على أن لله ـ تعالى ـ أيديًا كثيرة على جنب واحد وأعينًا كثيرة على وجه واحد عَضْنٌ للقرآن، ونتنقص له وذم، ولا يدل ظاهر القرآن ولا باطنه على ذلك بوجه ما، ولا فهمه من له عقل». إلى أن قال: «فهذا الأشعري والناس قبله وبعده ومعه لم يفهموا من الأعين أعينًا كثيرة على وجه، ولا أيديًا كثيرة على شق واحد، حتى جاء هذا الجهمي فَعضن القرآن وادعى أن هذا ظاهره وإنما قصد هذا وأمثاله التشنيع على من بدعه وضلله من أهل السنة والحديث». ا. هـ.

٦٦ سئل فضيلة الشيخ: ما الأمور التي يجب تعليقها بالمشيئة والأمور التي لا ينبغي تعليقها بالمشيئة؟

فأجـاب بقوله: كل شيء مستقبل فإن الأفضل أن تعلقه بالمشيئة لقول الله ـ تعالى ـ: ﴿**ولا تقولن لشيء إني فاعلٌ ذلك غدًا إلا أن يشاء الله**﴾. أما الشيء الماضي فلا يعلق بالمشيئة إلا إذا قصد بذلك التعليل.

فمثلاً لو قال لك شخص دخل شهر رمضان هذا العام ليلة الأحد إن شاء. فلا يحتاج أن نقول إن شاء الله لأنه مضى وعلم. ولو قال لك قائل لبست ثوبي إن شاءالله وهو لابسه فلا يحسن أن يعلق بالمشيئة لأنه شيء مضى وانتهى إلا إذا قصد التعليل أي قصد أن اللبس كان بمشيئة الله. فهذا لا بأس به.

فلو قال قائل حين صلى صليت إن شاءالله إن قصد فعل الصلاة فإن الاستثناء هنا لا ينبغي؛ لأنه صلى وإن قصد إن شاء الله الصلاة المقبولة فهنا يصح أن يقول إن شاء الله، لأنه لا يعلم أقبلت أم لم تقبل.

٦٧ وسئل فضيلة الشيخ ـ حفظه الله تعالى ورعاه ـ: عن أقسام الإرادة؟

فأجاب بقوله: الإرادة تنقسم إلى قسمين:

القسم الأول: إرادة كونية.

القسم الثاني: إرادة شرعية.

فما كان بمعنى المشيئة فهو إرادة كونية، وما كان بمعنى المحبة فهو إرادة شرعية، مثال الإرادة الشرعية قوله ـ تعالى ـ: ﴿**والله يُريد أن يتوب عليكم**﴾[1] لأن ﴿**يريد**﴾ هنا بمعنى يحب ولا تكون بمعنى المشيئة لأنه لو كان المعنى: «والله يشاء أن يتوب عليكم»، لتاب على جميع العباد وهذا

---

(١) سورة النساء، الآية «٢٧».

أمر لم يكن فإن أكثر بني آدم من الكفار، إذن ﴿يريد أن يتوب عليكم﴾ يعني يحب أن يتوب عليكم، ولا يلزم من محبة الله للشيء أن يقع لأن الحكمة الإلـٰهية البالغة قد تقتضي عدم وقوعه.

ومثال الإرادة الكونية قوله ـ تعالى ـ: ﴿إن كان الله يريد أن يغويكم﴾[1] لأن الله لا يحب أن يغوي العباد، إذن لا يصح أن يكون المعنى إن كان الله يحب أن يغويكم، بل المعنى إن كان الله يشاء أن يغويكم.

ولكن بقي لنا أن نقول: ما الفرق بين الإرادة الكونية والشرعية من حيث وقوع المراد؟

فنقول: الكونية لابد فيها من وقوع المراد إذا أراد الله شيئًا كونًا فلابد أن يقع ﴿إنما أمره إذا أراد شيئًا أن يقول له كن فيكون﴾[2].

أما الإرادة الشرعية فقد يقع المراد وقد لا يقع قد يريد الله ـ عز وجل ـ هذا الشيء شرعًا ويحبه ولكن لا يقع لأن المحبوب قد يقع وقد لا يقع.

فإذا قال قائل: هل الله يريد المعاصي؟

فنقول: يريدها كونًا لا شرعًا؛ لأن الإرادة الشرعية بمعنى المحبة والله لا يحب المعاصي، ولكن يريدها كونًا أي مشيئة فكل ما في السمـٰوات والأرض فهو بمشيئة الله.

٦٨ سئل فضيلة الشيخ: عن الإلحاد في أسماء الله ـ تعالى ـ وأنواعه؟

(١) سورة هود، الآية «٣٤».

(٢) سورة يس، الآية «٨٢».

فأجاب قائلاً: الإلحاد في اللغة: هو الميل، ومنه قول الله ـ تعالى ـ: ﴿**لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين**﴾(١). ومنه اللحد في القبر فإنه سمي لحدًا لميله إلى جانب منه، ولا يعرف الإلحاد إلا بمعرفة الاستقامة؛ لأنه كما قيل: بضدها تتبين الأشياء. فالاستقامة في باب أسماء الله وصفاته أن نجري هذه الأسماء والصفات على حقيقتها اللائقة بالله ـ عز وجل ـ من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل، على القاعدة التي يمشي عليها أهل السنة والجماعة في هذا الباب، فإذا عرفنا الاستقامة في هذا الباب فإن خلاف الاستقامة هو الإلحاد، وقد ذكر أهل العلم للإلحاد في أسماء الله ـ تعالى ـ أنواعًا يجمعها أن نقول: هو الميل بها عما يجب اعتقاده فيها. وهو على أنواع:

النوع الأول: إنكار شيء من الأسماء، أو ما دلت عليه من الصفات، ومثاله: من ينكر أن اسم الرحمن من أسماء الله ـ تعالى ـ كما فعل أهل الجاهلية، أو يثبت الأسماء، ولكن ينكر ما تضمنته من الصفات كما يقول بعض المتبدعة: أن الله ـ تعالى ـ رحيم بلا رحمة، وسميع بلا سمع.

النوع الثاني: أن يسمى الله ـ سبحانه وتعالى ـ بما لم يسم به نفسه.

ووجه كونه إلحادًا أن أسماء الله ـ سبحانه وتعالى ـ توقيفية، فلا يحل لأحد أن يسمي الله ـ تعالى ـ باسم لم يسم به نفسه؛ لأن هذا من القول على الله بلا علم ومن العدوان في حق الله ـ عز وجل ـ وذلك كما صنع الفلاسفة فسموا الإله بالعلة الفاعلة، وكما صنع النصارى فسموا الله ـ تعالى ـ باسم الأب ونحو ذلك.

النوع الثالث: أن يعتقد أن هذه الأسماء دالة على أوصاف

---

(١) سورة النحل، الآية «١٠٣».

المخلوقين، فيجعلها دالة على التمثيل.

ووجه كونه إلحادًا: أن من اعتقد أن أسماء الله ـ سبحانه وتعالى ـ دالة على تمثيل الله بخلقه فقد أخرجها عن مدلولها ومال بها عن الاستقامة وجعل كلام الله وكلام رسوله، صلى الله عليه وسلم، دالاًّ على الكفر، لأن تمثيل الله بخلقه كفر لكونه تكذيبًا لقوله ـ تعالى ـ: ﴿**ليس كمثله شيء وهو السميع البصير**﴾[1]. ولقوله: ﴿**هل تعلم له سميًّا**﴾[2]. قال نعيم بن حماد الخزاعي شيخ البخاري ـ رحمهما الله ـ: «من شبه الله بخلقه فقد كفر، ومن جحد ما وصف الله به نفسه فقد كفر، وليس فيما وصف الله به نفسه تشبيه».

النوع الرابع: أن يشتق من أسماء الله ـ تعالى ـ أسماء للأصنام، كاشتقاق اللات من الآلهة، والعزى من العزيز، ومناة من المنان.

ووجه كونه إلحادًا: أن أسماء الله ـ تعالى ـ خاصة به، فلا يجوز أن تنقل المعاني الدالة عليها هذه الأسماء إلى أحد من المخلوقين ليعطى من العبادة مالا يستحقه إلا الله ـ عز وجل ـ. هذه أنواع الإلحاد في أسماء الله ـ تعالى ـ.

٦٩ وسئل فضيلة الشيخ: عن اسم الله ـ تعالى ـ الجبار؟

فأجاب بقوله: الجبار له ثلاث معان:

الأول: جبر القوة، فهو ـ سبحانه وتعالى ـ الجبار الذي يقهر الجبابرة ويغلبهم بجبروته وعظمته، فكل جبار وإن عظم فهو تحت قهر الله ـ عز

(١) سورة الشورى، الآية «١١».

(٢) سورة مريم، الآية «٦٥».

وجل - وجبروته وفي يده وقبضته.

الثاني: جبر الرحمة، فإنه سبحانه يجبر الضعيف بالغنى والقوة، ويجبر الكسير بالسلامة، ويجبر المنكسرة قلوبهم بإزالة كسرها، وإحلال الفرج والطمأنينة فيها، وما يحصل لهم من الثواب والعاقبة الحميدة إذا صبروا على ذلك من أجله.

الثالث: جبر العلو فإنه سبحانه فوق خلقه عال عليهم، وهو مع علوه عليهم قريب منهم يسمع أقوالهم، ويرى أفعالهم، ويعلم ما توسوس به نفوسهم. قال ابن القيم في النونية في معنى الجبار:

وكذلك الجبارُ من أوصافه ... والجبرُ في أوصافه قسمان
جبرُ الضعيفِ وكل قلب قد غدا ... ذا كسرة فالجبر منه دان
والثاني جبر القهر بالعزِّ الذي ... لا ينبغي لسواه من إنسان
وله مسمى ثالث وهو العلو ... فليس يدنو منه إنسان
من قولهم جبارة للنخلة الـ ... ـعليا التي فاقت لكل بنان

[٧٠] سئل فضيلة الشيخ: هل من أسماء الله - تعالى -: «الحي القيوم»؟

فأجاب بقوله: لا شك أن من أسماء الله الحسنى «الحي القيوم» بل ورد أنهما اسم الله الأعظم، لتضمنهما معاني أسماء الله وصفاته الذاتية والفعلية، وهما مذكوران في ثلاث آيات من القرآن الكريم في آية الكرسي: ﴿**الله لا إله إلا هو الحي القيوم**﴾(١). وفي أول سورة آل عمران: ﴿**الله لا**

(١) سورة البقرة، الآية «٢٥٥».

إلـه إلا هو الحي القيـوم﴾[1] . وفي سورة طه : ﴿وعنت الـوجوه للحي القيوم﴾[2] . وآية الكرسي أعظم آية في كتاب الله ، من قرأها في ليلة لم يزل عليه من الله حافظ ، ولا يقربه شيطان حتى يصبح .

71 **سئل فضيلة الشيخ : عما جاء في الترغيب والترهيب عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال : مر النبي ، صلى الله عليه وسلم ، بأبي عياش وهو يصلي ويقول : «اللهم إني أسألك بأن لك الحمد ، لا إلـه إلا أنت يا حنَّان ، يا منَّان ، يا بديع السمـوات والأرض . . . » . رواه الإمـام أحمـد ، واللفظ له ، ورواه أبو داود والنسائي وابن ماجه ، فهل الحنَّان من أسماء الله ـ تعالى ـ ؟**

فأجـاب فضيلتـه بقوله : لقد راجعت الأصول مسند أحمد ، وأبي داود ، والنسائي ، وابن ماجة ، فقد أورده الإمام أحمد في المسند في عدة مواضع من الجزء الثالث ، ص ١٢٠ ـ ١٥٨ ـ ٢٤٥ ـ ٢٦٥ ، وأورده أبو داود في الجزء الأول ـ باب الدعاء ـ ص ٣٤٣ ، وأورده النسائي في الجزء الثـالث ـ باب الدعاء بعد الذكر ـ ص ٤٤ ، وأورده ابن ماجه في الجزء الثاني ـ كتاب الدعاء ـ باب اسم الله الأعظم ص ١٢٦٨ ، وليس فيهن ذكر الحنان سوى طريق واحدة عند الإمام أحمد فيها الحنان دون المنان وهي التي في ص ١٥٨ ، وليست باللفظ المذكور في الترغيب ، واللفظ المذكور في

(١) سورة آل عمران ، الآية «٢» .

(٢) سورة طـه ، الآية «١١١» .

الـترغيب ليس فيه عنـد أحمد سوى ذكر المنان، وقد رأيت كلامًا لشيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ أنكر فيه أن يكون الحنان من أسماء الله ـ تعالى ـ، فإذا كانت الروايات أكثرها بعدم إثباته، فالذي أرى أن يتوقف فيه. والله أعلم.

[٧٢] سئل فضيلة الشيخ: هل من أسماء الله ـ عز وجل ـ «المنان»، «المنتقم»، «الهادي»، «المعين»؟

فأجاب بقوله: أما المنان فقد صح عن النبي، صلى الله عليه وسلم.

وأمـا المنتقم فليس من أسماء الله؛ لأن الله ـ تعالى ـ لم يذكر هذا الوصف لنفسه إلا مقيدًا، وكل وصف جاء مقيدًا فهو ليس من أسماء الله، لأن أسـماء الله كمال على الإطـلاق لا تحتـاج إلى تقييد، والله ـ سبحانه وتعـالى ـ إنـما ذكـر المنتقم في مقـابلة الإجرام فقال: ﴿**إنا من المجرمين منتقمون**﴾[1] وحينئذٍ لا يكون المنتقم من أسماء الله.

أما «الهادي» فبعض العلماء من أثبته من أسماء الله وبعضهم قال: بل هذا من أوصاف الله وليس اسمًا.

«والمعـين» كذلـك ليس من أسماء الله، ولكنه من صفاته فإنه هو الذي يعين من شاء من عباده.

ومن العلماء من قال: إنه من أسمائه لأنه دال على معنى حسن وليس فيه نقص بوجه من الوجوه.

والله ـ سبحانه وتعالى ـ يقول: ﴿**ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها**﴾.

(١) سورة السجدة، الآية «٢٢».

٧٣ سئل فضيلة الشيخ: هل الدهر من أسماء الله؟

فأجاب بقوله: الدهر ليس من أسماء الله - سبحانه وتعالى - ومن زعم ذلك فقد أخطأ وذلك لسببين:

السبب الأول: أن أسمائه - سبحانه وتعالى - حسنى، أي بالغة في الحسن أكمله، فلابد أن تشتمل على وصف ومعنى هو أحسن ما يكون من الأوصاف والمعاني في دلالة هذه الكلمة، ولهذا لا تجد في أسماء الله - تعالى - اسمًا جامدًا، والدهر اسم جامد لا يحمل معنى إلا أنه اسم للأوقات.

السبب الثاني: أن سياق الحديث يأبى ذلك؛ لأنه قال: «**أقلب الليل والنهار**» والليل والنهار هما الدهر فكيف يمكن أن يكون المقلَّب - بفتح اللام - هو المقلِّب - بكسر اللام -؟!

٧٤ سئل الشيخ - غفر الله له -: عن قول النبي، صلى الله عليه وسلم، في الحديث القدسي: قال الله - تعالى -: ((يؤذيني ابن آدم يسب الدهر وأنا الدهر، بيدي الأمر أقلب الليل والنهار))؟

فأجاب قائلاً: قوله في الحديث المشار إليه في السؤال: «يؤذيني ابن آدم» أي أنه سبحانه يتأذى بما ذكر في الحديث، لكن ليست الأذية التي أثبتها الله لنفسه كأذية المخلوق، بدليل قوله - تعالى -: ﴿**ليس كمثله شيء وهو السميع البصير**﴾[1] فقدم نفي المماثلة على الإثبات، لأجل أن يرد الإثبات على قلب خالٍ من توهم المماثلة، ويكون الإثبات حينئذٍ على

(١) سورة الشورى، الآية «١١».

الوجه اللائق به ـ تعالى ـ، وأنه لا يماثل في صفاته، كما لا يماثل في ذاته، وكل ما وصف الله به نفسه ليس فيه احتمال للتمثيل، إذ لو أجزت احتمال التمثيل في كلامه سبحانه وكلام رسوله، صلى الله عليه وسلم، في صفات الله، لأجزت احتمال الكفر في كلام الله سبحانه وكلام رسوله، صلى الله عليه وسلم؛ لأن تمثيل صفات الله ـ تعالى ـ بصفات المخلوقين كفر لأنه تكذيب لقوله ـ تعالى ـ: ﴿**ليس كمثله شيء وهو السميع البصير**﴾[1].

وقوله: ((**أنا الدهر**)) أي مدبر الدهر ومصرفه. كما قال الله ـ تعالى ـ: **وتلك الأيام نداولها بين الناس**﴾[2] كما قال في هذا الحديث: «**أقلب الليل والنهار**» والليل والنهار هما الدهر.

ولا يقال بأن الله نفسه هو الدهر، ومن قال ذلك فقد جعل المخلوق خالقًا، والمقلَّب مقلِّبًا.

فإن قيل أليس المجاز ممنوعًا في كلام الله وكلام رسوله، صلى الله عليه وسلم، وفي اللغة؟

أجيب: بلى، ولكن الكلمة حقيقة في معناها الذي دلَّ عليه السياق والقرائن، وهنا في الكلام محذوف تقديره «وأنا مقلب الدهر» لأنه فسره بقوله «أقلب الليل والنهار» ولأن العقل لا يمكن أن يجعل الخالق الفاعل هو المخلوق المفعول.

٧٥ سئل فضيلة الشيخ: كيف نجمع بين قول النبي، صلى الله عليه وسلم، «المقسطون على منابر من نور على يمين

(١) سورة الشورى، الآية «١١».

(٢) سورة آل عمران، الآية «١٤٠».

الرحمن وكلتا يديه يمين» وبين قوله، صلى الله عليه وسلم، «ثم يطوي الأرضين السبع ثم يأخذهن بشماله»؟

فأجاب بقوله: كلمة «**بشماله**» اختلف فيها الرواة: فمنهم من أثبتها، ومنهم من أنكرها وقال لا تصح عن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وأصل هذه التخطئة هو ما ثبت في صحيح مسلم أن الرسول، صلى الله عليه وسلم، قال: «**المقسطون على منابر من نور على يمين الرحمن وكلتا يديه يمين**». وهذا يقتضي أنه ليس هناك يد يمين ويد شمال. ولكن قد روى مسلم في صحيحه إثبات الشمال لله - تعالى - فإذا كانت محفوظة فهي عندي لا تنافي «**كلتا يديه يمين**» لأن المعنى أن اليد الأخرى ليست كيد الشمال بالنسبة للمخلوق ناقصة عن اليد اليمنى، فقال: «**كلتا يديه يمين**» أي ليس فيهما نقص. فلما كان الوهم ربما يذهب إلى أن إثبات الشمال يعني النقص في هذه اليد دون الأخرى قال: «**كلتا يديه يمين**» ويؤيده قوله: «**المقسطون على منابر من نور على يمين الرحمن**» فإن المقصود بيان فضلهم ومرتبتهم وأنهم على يمين الرحمن سبحانه.

وعلى كل فإن يديه سبحانه اثنتان بلا شك، وكل واحدة غير الأخرى وإذا وصفنا اليد الأخرى بالشمال فليس المراد أنها أنقص من اليد اليمنى بل كلتا يديه يمين.

والواجب علينا أن نقول: إن ثبت عن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، نؤمن بها، وإن لم تثبت فنقول كلتا يديه يمين.

٧٦ **سئل فضيلة الشيخ: ما معنى قول النبي، صلى الله عليه وسلم: «إن الله خلق آدم على صورته»؟**

فأجـاب فضيلته بقوله: هذا الحديث أعني قول النبي، صلى الله عليه وسلم: «**إن الله خلق آدم على صورتــه**». ثابت في الصحيح ومن المعلوم أنه لا يراد به ظاهره بإجماع المسلمين والعقلاء؛ لأن الله - عز وجل - وسع كرسيه السماوات والأرض، والسماوات والأرض كلها بالنسبة للكرسي - موضع القدمين - كحلقة ألقيت في فلاة من الأرض، وفضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على هذه الحلقة فما ظنك برب العالمين؟ لا أحد يحيط به وصفًا ولا تخيلاً، ومن هذا وصفه لا يمكن أن يكون على صورة آدم ستون ذراعًا لكن يحمل على أحد معنيين:

الأول: أن الله خلق آدم على صورة اختارها، وأضافها إلى نفسه - تعالى - تكريمًا وتشريفًا.

الثاني: أن المراد خلق آدم على صورته - تعالى - من حيث الجملة، ومجـرد كونـه على صورته لا يقتضي المماثلة والدليل قوله، صلى الله عليه وسلم: «**إن أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر، ثم الذين يلونهم على أضوء كوكب في السماء**» ولا يلزم أن تكون هذه الزمرة مماثلة للقمر؛ لأن القمر أكبر من أهل الجنة بكثير، فإنهم يدخلون الجنة طولهم ستون ذراعًا، فليسوا مثل القمر.

٧٧ سئـل فضيلة الشيـخ: عما أضافه الله - تعالى - إلى نفسه مثل وجه الله، ويد الله ونحو ذلك؟

فأجاب قائلاً: أقسام ما أضافه الله إلى نفسه ثلاثة:

القسم الأول: العـين القائمة بنفسها، فإضافتها من باب إضافة المخلوق إلى خالقـه، وهـذه الإضافة قد تكون على سبيل العموم كقوله

ـ تعالى ـ: ﴿إن أرضي واسعة﴾[1]. وقد تكون على سبيل الخصوص لشرفيته كقوله ـ تعالى ـ: ﴿وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود﴾[2]. وقوله: ﴿ناقة الله وسقياها﴾[3]. وهذا القسم مخلوق.

القسم الثاني: العين التي يقوم بها غيرها مثل قوله ـ تعالى ـ: ﴿وروح منه﴾[4]. فإضافة هذه الروح إلى الله من باب إضافة المخلوق إلى خالقه تشريفًا فهي روح من الأرواح التي خلقها الله، وليست جزءًا من الله، إذ أن هذه الروح حلت في عيسى، عليه السلام، وهو عين منفصلة عن الله وهذا القسم مخلوق.

القسم الثالث: أن يكون وصفًا محضًا يكون فيه المضاف صفة الله وهذا القسم غير مخلوق؛ لأن جميع صفات الله غير مخلوقة، ومثاله قدرة الله وعزة الله وهو في القرآن كثير.

٧٨ وسئل: عن حكم إضافة الحوادث إلى صفة من صفات الله؟.

فأجاب بقوله: إضافة الحوادث إلى صفة من صفات الله بمعنى أنه من مقتضى هذه الصفة لا بأس به، مثل أن نقول اقتضت حكمة الله أن يعذب الظالم، أو أوجب القضاء والقدر أن يشقى فلان أو يسعد فلان ويدل لذلك قول النبي، صلى الله عليه وسلم: «**لو سبق القضاء والقدر**

(١) سورة العنكبوت، الآية «٥٦».
(٢) سورة الحج، الآية «٢٦».
(٣) سورة الشمس، الآية «١٣».
(٤) سورة النساء، الآية «١٧».

شيء لسبقته العين».

أما إذا أضيفت الحوادث إلى صفة من صفات الله وكأن الصفة هي التي فعلت دون الموصوف فلا يجوز؛ لأن المؤثر هو الله ـ تعالى ـ وهو الخالق المدبر لجميع الأمور.

79 سئل فضيلة الشيخ: هل أهل السنة يؤولون اليد في قوله ـ تعالى ـ: ﴿إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم﴾(1)؟

فأجاب بقوله: ينبغي أن نعلم أن التأويل عند أهل السنة ليس مذمومًا كله، بل المذموم منه ما لم يدل عليه دليل، وما دل عليه الدليل يسمى تفسيرًا، سواء كان الدليل متصلاً بالنص، أو منفصلاً عنه، فصرف الدليل عن ظاهره ليس مذمومًا على الإطلاق.

ومثال التأويل بالدليل المتصل ما جاء في الحديث الثابت في صحيح مسلم في قوله ـ تعالى ـ في الحديث القدسي: ((**عبدي جعت فلم تطعمني، ومرضت فلم تعدني**)) فظاهر هذا الحديث أن الله نفسه هو الذي جاع وهو الذي مرض. وهذا غير مراد قطعًا، ففسر هذا الحديث بنفس الحديث: ((**فقال: أما علمت أن عبدي فلانًا جاع فلم تطعمه، وعبدي فلانًا مرض فلم تعده**)). فالذي صرف ظاهر اللفظ الأول إلى هذا المعنى هو الحديث القدسي نفسه، فلا يقال إن صرف ظاهر اللفظ الأول إلى هذا المعنى الثاني تأويل مذموم.

(1) سورة الفتح، الآية «10».

وقـال ـ تعـالى ـ: ﴿فـإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم﴾[1]. ظاهر اللفظ أنك إذا بدأت القراءة لم تستعذ. لكن قد دل الدليل المنفصل على أن معنى: ﴿إذا قرأت﴾ أي إذا أردت أن تقرأ. لكن عبر عن الإرادة بالفعـل ليبـين أن المراد بذلك الإرادة المقترنة بالفعل لا الإرادة السابقة، ولو أراد التعبير بالفعل لكان الإنسان إذا أراد في الصباح أن يقرأ في المساء قلنا له استعذ بالله من الشيطان الرجيم لأنك ستقرأ في آخر الليل، لكن لما عبر بالفعل عن الإرادة دل على أن الإرادة هي الإرادة التي يقترن بها الفعل.

فإذا فهمنا هذه القاعدة وهي أن التأويل الذي قام الدليل عليه ليس مذمومًا عرفنا الجواب عن الآية التي ساقها السائل.

فهل الصحابة في صلح الحديبية كانوا يبايعون الله؟ هم في الحقيقة كانوا يبايعون النبي، صلى الله عليه وسلم، مباشرة وذلك في قوله سبحانه: ﴿يبايعونك﴾ لكن لما كان الرسول مبلغًا عن الله سبحانه صارت مبايعة الرسول كمبايعة الله، وصار الذي يبايعه كأنما يبايع الله.

وقوله ـ تعالى ـ: ﴿يد الله فوق أيديهم﴾ المعلوم أن يد الله حقيقة ليست فوق أيديهم، وأن التي فوق أيديهم عند المبايعة هي يد الرسول، صلى الله عليه وسلم، لكن الرسول كان مبلغًا عن الله.

ويجوز أن نقول: ﴿يد الله فوق أيديهم﴾ على سبيل العلو المطلق، فالله ـ سبحانه ـ بذاته فوق كل شيء. والله أعلم.

---

(1) سورة النحل، الآية «٩٨».

٨٠ **سئل فضيلة الشيخ: هل يوصف الله بالمكر؟ وهل يسمى به؟**

فأجاب بقوله: لا يوصف الله ـ تعالى ـ بالمكر إلا مقيدًا فلا يوصف الله ـ تعالى ـ به وصفًا مطلقًا، قال الله ـ تعالى ـ: ﴿**أفأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون**﴾(١).

ففي هذه الآية دليل على أن لله مكرًا، والمكر هو التوصل إلى إيقاع الخصم من حيث لا يشعر. ومنه جاء في الحديث الذي أخرجه البخاري «**الحرب خدعة**».

فإن قيل: كيف يوصف الله بالمكر مع أن ظاهره أنه مذموم؟

قيل: إن المكر في محله محمود يدل على قوة الماكر، وأنه غالب على خصمه، ولذلك لا يوصف الله به على الإطلاق، فلا يجوز أن تقول: «إن الله ماكر» وإنما تذكر هذه الصفة في مقام يكون مدحًا مثل قوله ـ تعالى ـ: ﴿**ويمكرون ويمكر الله**﴾(٢). وقوله: ﴿**ومكروا مكرًا ومكرنا مكرًا وهم لا يشعرون**﴾(٣) ومثل قوله ـ تعالى ـ: ﴿**أفأمنوا مكر الله**﴾(٤). ولا تنفى عنه هذه الصفة على سبيل الإطلاق، بل إنها في المقام التي تكون مدحًا يوصف بها، وفي المقام التي لا تكون مدحًا لا يوصف بها.

وكذلك لا يسمى الله به فلا يقال إن من أسماء الله الماكر، والمكر من الصفات الفعلية لأنها تتعلق بمشيئة الله سبحانه.

---

(١) سورة الأعراف، الآية «٩٩».
(٢) سورة الأنفال، الآية «٣٠».
(٣) سورة النمل، الآية «٥٠».
(٤) سورة الأعراف، الآية «٩٩».

81 **وسئل - رعاه الله -: هل يوصف الله بالخيانة؟ والخداع كما قال الله - تعالى -: ﴿يخادعون الله وهو خادعهم﴾؟**

فأجاب بقوله: أما الخيانة فلا يوصف الله بها أبدًا لأنها ذم بكل حال إذ أنها مكر في موضع الائتمان وهو مذموم قال الله - تعالى -: ﴿**وإن يريدوا خيانتك فقد خانوا الله من قبل فأمكن منهم**﴾[1] ولم يقل فخانهم.

وأما الخداع فهو كالمكر يوصف الله - تعالى - به حين يكون مدحًا ولا يوصف به على سبيل الإطلاق قال الله - تعالى -: ﴿**إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم**﴾[2].

82 **سئل فضيلة الشيخ: عما جاء في كتاب شرح العقيدة الواسطية من أن صفة (الحي) مسبوقة بالعدم؟**

فأجاب بقوله: حياة الله - عز وجل - حياة كاملة، لم تسبق بعدم، ولا يلحقها زوال، وشرح العقيدة الواسطية الذي قرأ فيه هذا السائل أن حياة الله - عز وجل - تسبق بعدم خطأ بلا شك، وهذا خطأ مطبعي فيما يظهر، لأنه إذا قيل حياة كاملة فالحياة الكاملة لا تسبق بعدم، فحياة الله - عز وجل - حياة كاملة متضمنة لجميع الصفات الكاملة فلم تسبق بعدم، ولا يلحقها زوال.

83 **سئل الشيخ: هل يوصف الله - تعالى - بالنسيان؟**

---

(1) سورة الأنفال، الآية «71».

(2) سورة النساء، الآية «142».

فأجاب - حفظه الله تعالى - بقوله: للنسيان معنيان:

أحدهما: الذهول عن شيء معلوم مثل قوله - تعالى -: ﴿**ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا**﴾[1]. ومثل قوله - تعالى -: ﴿**ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزمًا**﴾[2]. على أحد القولين، ومثل قوله، صلى الله عليه وسلم: «**إنما أنا بشر مثلكم أنسى كما تنسون فإذا نسيت فذكِّروني**». وقوله، صلى الله عليه وسلم: «**من نام عن صلاة أو نسيها فليصلها إذا ذكرها**». وهذا المعنى للنسيان منتف عن الله - عز وجل - بالدليلين السمعي، والعقلي.

أما السمعي: فقوله - تعالى -: ﴿**يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم**﴾[3]. وقوله عن موسى: ﴿**قال علمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى**﴾[4]. فقوله: ﴿**يعلم ما بين أيديهم**﴾. أي مستقبلهم يدلّ على انتفاء الجهل عن الله - تعالى -، وقوله: ﴿**وما خلفهم**﴾. أي ماضيهم يدل على انتفاء النسيان عنه. والآية الثانية دلالتها على ذلك ظاهرة.

وأما العقلي: فإن النسيان نقص، والله - تعالى - منزه عن النقص، موصوف بالكمال، كما قال الله - تعالى -: ﴿**ولله المثل الأعلى وهو العزيز الحكيم**﴾[5]. وعلى هذا فلا يجوز وصف الله بالنسيان بهذا المعنى على كل حال.

---

(١) سورة البقرة، الآية «٢٨٦».

(٢) سورة طـه، الآية «١١٥».

(٣) سورة طـه، الآية «١١٠».

(٤) سورة طـه، الآية «٥٢».

(٥) سورة النحل، الآية «٦٠».

والمعنى الثاني للنسيان: الترك عن علم وعمد، مثل قوله ـ تعالى ـ: ﴿**فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء**﴾[1]. الآية، ومثل قوله ـ تعالى ـ: ﴿**ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزمًا**﴾[2]. على أحد القولين. ومثل قوله، صلى الله عليه وسلم، في أقسام أهل الخيل: «**ورجل ربطها تغنيًا وتعففًا، ولم ينس حق الله في رقابها وظهورها فهي له كذلك ستر**». وهذا المعنى من النسيان ثابت لله ـ تعالى ـ ـ عز وجل ـ قال الله ـ تعالى ـ: ﴿**فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا إنا نسيناكم**﴾[3]. وقال ـ تعالى ـ في المنافقين: ﴿**نسوا الله فنسيهم إن المنافقين هم الفاسقون**﴾[4]. وفي صحيح مسلم في كتاب الزهد والرقائق عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قالوا: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فذكر الحديث، وفيه «**أن الله ـ تعالى ـ يلقى العبد فيقول أفظننت أنك ملاقي؟ فيقول: لا. فيقول: فإني أنساك كما نسيتني**».

وتركه سبحانه للشيء صفة من صفاته الفعلية الواقعة بمشيئته التابعة لحكمته، قال الله ـ تعالى ـ: ﴿**وتركهم في ظلمات لا يبصرون**﴾[5]. وقال ـ تعالى ـ: ﴿**وتركنا بعضهم يومئذٍ يموج في بعض**﴾[6]. وقال: ﴿**ولقد تركنا منها آية بينة**﴾[7]. والنصوص في ثبوت

---

(١) سورة الأنعام، الآية «٤٤».

(٢) سورة طه، الآية «١١٥».

(٣) سورة السجدة، الآية «١٤».

(٤) سورة التوبة، الآية «٦٧».

(٥) سورة البقرة، الآية «١٧».

(٦) سورة الكهف، الآية «٩٩».

(٧) سورة العنكبوت، الآية «٣٥».

الترك وغيره من أفعاله المتعلقة بمشيئته كثيرة، معلومة، وهي دالة على كمال قدرته وسلطانه. وقيام هذه الأفعال به سبحانه لا يماثل قيامها بالمخلوقين، وإن شاركه في أصل المعنى، كما هو معلوم عند أهل السنة.

٨٤ وسئل الشيخ: هل نفهم من حديث «إن الله لا يمل حتى تملوا» ـ المتفق عليه ـ أن الله يوصف بالملل؟

فأجاب قائلاً: من المعلوم أن القاعدة عند أهل السنة والجماعة أننا نصف الله ـ تبارك وتعالى ـ بما وصف به نفسه من غير تمثيل، ولا تكييف. فإذا كان هذا الحديث يدل على أن لله مللاً فإن ملل الله ليس كمثل مللنا نحن بل هو ملل ليس فيه شيء من النقص، أما ملل الإنسان فإن فيه أشياء من النقص لأنه يتعب نفسيًا وجسميًا مما نزل به لعدم قوة تحمله، وأما ملل الله إن كان هذا الحديث يدل عليه فإنه ملل يليق به ـ عز وجل ـ ولا يتضمن نقصًا بوجه من الوجوه.

٨٥ سئل فضيلة الشيخ: هل نثبت صفة الملل لله عز وجل؟

فأجاب بقوله: جاء في الحديث عن النبي، عليه الصلاة والسلام قوله: **«فإن الله لا يمل حتى تملوا»** فمن العلماء من قال إن هذا دليل على إثبات الملل لله، لكن ملل الله ليس كملل المخلوق، إذ إن ملل المخلوق نقص، لأنه يدل على سأمه وضجره من هذا الشيء، أما ملل الله فهو كمال وليس فيه نقص، ويجري هذا كسائر الصفات التي نثبتها لله على وجه الكمال وإن كانت في حق المخلوق ليست كمالاً.

ومن العلماء من يقول إن قوله: «**لا يمل حتى تملوا**» يراد به بيان أنه مهما عملت من عمل فإن الله يجازيك عليه فاعمل ما بدا لك فإن الله لا يمل من ثوابك حتى تمل من العمل، وعلى هذا فيكون المراد بالملل لازم الملل.

ومنهم من قال إن هذا الحديث لا يدل على صفة الملل لله إطلاقًا لأن قول القائل لا أقوم حتى تقوم لا يستلزم قيام الثاني وهذا أيضًا «**لا يمل حتى تملوا**» لا يستلزم ثبوت الملل لله ـ عز وجل ـ.

وعلى كل حال يجب علينا أن نعتقد أن الله ـ تعالى ـ منزه عن كل صفة نقص من الملل وغيره وإذا ثبت أن هذا الحديث دليل على الملل فالمراد به ملل ليس كملل المخلوق.

٨٦ وسئل فضيلة الشيخ ـ رعاه الله تعالى ـ: عن أنواع التعطيل؟

فأجاب بقوله: التعطيل نوعان:

الأول: تعطيل تكذيب وجحد، وهذا كفر. ومثاله رجل قال إن الله لم يستو على العرش. فهذا جحود وتكذيب؛ لأن الله ـ تعالى ـ يقول: ﴿**الرحمن على العرش استوى**﴾[1]. ومن كذب خبر الله فهو كافر.

الثاني: تعطيل تأويل، وهذا هو معترك الخلاف بين العلماء هل يحكم على من عطل تأويلاً بالكفر أولا؟ ومثاله رجل أثبت أن الله على العرش استوى، لكن قال أقول إن معناه استولى فهذا تعطيل تأويل، وهذا

---

(١) سورة طه، الآية «٥».

قد لا يكفر به الإنسان، ولهذا لا نكفر من فسر الاستواء بالاستيلاء.

وهذا النوع في الحقيقة فيه تفصيل: فأحيانًا يكون الإنسان مبتدعًا غير كافر، وأحيانًا يكون مبتدعًا كافرًا حسب ما تقتضيه النصوص الشرعية في ذلك.

٨٧ **سئل فضيلة الشيخ: عن حكم إنكار شيء من أسماء الله ـ تعالى ـ أو صفاته؟**

فأجاب ـ حفظه الله ـ بقوله: الإنكار نوعان:

النوع الأول: إنكار تكذيب، وهذا كفر بلا شك، فلو أن أحدًا أنكر اسمًا من أسماء الله، أو صفة من صفاته الثابتة في الكتاب والسنة، مثل أن يقول ليس لله يد، فهو كافر بإجماع المسلمين؛ لأن تكذيب خبر الله ورسوله كفر مخرج عن الملة.

النوع الثاني: إنكار تأويل، وهو أن لا يجحدها، ولكن يؤلها وهذا نوعان:

الأول: أن يكون لهذا التأويل مسوغ في اللغة العربية فهذا لا يوجب الكفر.

الثاني: أن لا يكون له مسوغ في اللغة العربية فهذا موجب للكفر، لأنه إذا لم يكن له مسوغ صار تكذيبًا، مثل أن يقول ليس لله يد حقيقة، ولا بمعنى النعمة، أو القوة، فهذا كافر، لأنه نفاها نفيًا مطلقًا فهو مكذب حقيقة، ولو قال في قوله ـ تعالى ـ: ﴿**بل يداه مبسوطتان**﴾[1] المراد بيديه السماوات

(١) سورة المائدة، الآية «٦٤».

والأرض فهو كافر؛ لأنه لا يصح في اللغة العربية، ولا هو مقتضى الحقيقة الشرعية فهو منكر مكذب.

لكن إن قال المراد باليد النعمة أو القوة فلا يكفر لأن اليد في اللغة تطلق بمعنى النعمة قال الشاعر:

وكم لظلام الليل عندك من يدٍ   تحدث أن المانوية تكذب

من «يد» أي: من نعمة، لأن المانوية يقولون: إن الظلمة لا تحدث الخير وإنما تحدث الشر.

٨٨ سئل فضيلة الشيخ: عن حكم من يعتقد أن صفات الخالق مثل صفات المخلوق؟

فأجاب بقوله: الذي يعتقد أن صفات الخالق مثل صفات المخلوق ضال، ذلك أن صفات الخالق لا تماثل صفات المخلوقين بنص القرآن الكريم قال الله ـ تعالى ـ: ﴿**ليس كمثله شيء وهو السميع البصير**﴾[1] ولا يلزم من تماثل الشيئين في الاسم أو الصفة أن يتماثلا في الحقيقة هذه قاعدة معلومة.

أليس للآدمي وجه. وللبعير وجه؟ اتفقا في الاسم لكن لم يتفقا في الحقيقة. وللجمل يد، وللذرة يد، فهل اليدان متماثلتان؟

الجواب لا. إذن لماذا لا تقول لله ـ عز وجل ـ وجه ولا يماثل أوجه المخلوقين، ولله يد ولا تماثل أيدي المخلوقين؟! قال الله ـ تعالى ـ: ﴿**وما قدروا الله حق قدره والأرضُ جميعًا قبضتُه يوم القيامة والسماوات مطوياتٌ**

(١) سورة الشورى، الآية «١١».

بيمينه﴾(١) وقال: ﴿يوم نطوي السماء كطيِّ السجل للكتب﴾(٢) هل هناك يد من أيدي المخلوقين تكون كهذه اليد؟ لا. إذن يجب أن نعلم أن الخالق لا يماثل المخلوق، لا في ذاته، ولا في صفاته ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾(٣) ولذلك لا يجوز أبدًا أن تتخيل كيفية صفة من صفات الله، أو أن تظن أن صفات الله كمثل صفات المخلوق.

٨٩ وسئل فضيلته: عن الحكمة من إيجاد الكرام الكاتبين مع أن الله يعلم كل شيء؟

فأجاب فضيلته بقوله: نقول في مثل هذه الأمور إننا قد ندرك حكمتها وقد لا ندرك فإن كثيرًا من الأشياء لا نعلم حكمتها كما قال الله - تعالى -: ﴿ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً﴾(٤) فإن هذه المخلوقات لو سألنا سائل ما الحكمة أن الله جعل الإبل على هذا الوجه، وجعل الخيل على هذا الوجه، وجعل الحمير على هذا الوجه، وجعل الآدمي على هذا الوجه، وما أشبه ذلك. لو سألنا عن الحكمة في هذه الأمور ما علمناها، ولو سئلنا ما الحكمة في أن الله - عز وجل - جعل صلاة الظهر أربعًا، وصلاة العصر أربعًا، والمغرب ثلاثًا، وصلاة العشاء أربعًا وما أشبه ذلك ما استطعنا أن نعلم الحكمة في ذلك، وبهذا علمنا أن كثيرًا من الأمور الكونية، وكثيرًا من الأمور الشرعية تخفى

(١) سورة الزمر، الآية «٦٧».
(٢) سورة الأنبياء، الآية «١٠٤».
(٣) سورة الشورى، الآية «١١».
(٤) سورة الإسراء، الآية «٨٥».

علينا حكمتها وإذا كان كذلك فإنا نقول إن التماسنا للحكمة في بعض الأشياء المخلوقة أو المشروعة، إن من الله علينا بالوصول إليها فذاك زيادة فضل وخير وعلم، وإن لم نصل إليها فإن ذلك لا ينقصنا شيئًا.

ثم نعود إلى جواب السؤال وهو ما الحكمة في أن الله ـ عز وجل ـ وكل بنا كرامًا كاتبين يعلمون ما نفعل؟

فالحكمة من ذلك بيان أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ نظم الأشياء وقدرها، وأحكمها إحكامًا متقنًا، حتى إنه ـ سبحانه وتعالى ـ جعل على أفعال بني آدم وأقوالهم كرامًا كاتبين موكلين بهم يكتبون ما يفعلون، مع أنه ـ سبحانه وتعالى ـ عالم بما يفعلون قبل أن يفعلوه ولكن كل هذا من أجل بيان كمال عناية الله ـ عز وجل ـ بالإنسان وكمال حفظه ـ تبارك وتعالى ـ وأن هذا الكون منظم أحسن نظام ومحكم أحسن إحكام. والله عليم حكيم.

٩٠ وسئل: أيهما أولى التعبير بالتمثيل أم التعبير بالتشبيه؟

فأجاب قائلاً: التعبير بالتمثيل خير من التعبير بالتشبيه لوجوه ثلاثة:

الوجه الأول: أن نفي التمثيل هو الذي ورد في القرآن الكريم، ولم يرد في القرآن نفي التشبيه، واللفظ الذي هو التعبير القرآني خير من اللفظ الذي هو التعبير الإنساني قال الله ـ تعالى ـ: ﴿**ليس كمثله شيء**﴾[1].

الوجه الثاني: أن التشبيه لا يصح نفيه على الإطلاق لأنه ما من شيئين إلا وبينهما قدر مشترك اتفقا فيه وإن اختلفا في الحقيقة، فلله وجود

(١) سورة الشورى، الآية «١١».

وللإنسان وجود، ولله حياة وللإنسان حياة، وهذا الاشتراك في أصل المعنى - الحياة - نوع من التشابه، لكن الحقيقة أن صفات الخالق ليست كصفات المخلوق، فحياة الخالق ليست كحياة المخلوق، فحياة المخلوق ناقصة مسبوقة بعدم وملحوقة بفناء، وهي أيضًا ناقصة في حد ذاتها، يوم يكون طيبًا، ويوم يكون مريضًا، ويوم يكون متكدرًا، ويوم يكون مسرورًا، وهي أيضًا حياة ناقصة في جميع الصفات، البصر ناقص، السمع ناقص، العلم ناقص، القوة ناقصة، بخلاف حياة الخالق - جل وعلا - فإنها كاملة من كل وجه.

الوجه الثالث: أن بعض أهل التعطيل يسمون المثبتين للصفات مشبهة فإذا قلت من غير تشبيه فهم هؤلاء أن المراد من غير إثبات صفة ولذلك نقول إن التعبير بقولنا من غير تمثيل أولى من التعبير بالتشبيه.

٩١ سئل فضيلة الشيخ عن: الفرق بين التشبيه والتمثيل في الأسماء والصفات؟

فأجاب بقوله: التشبيه والتمثيل في الأسماء والصفات بينهما فرق؛ ولهذا ينبغي أن نقول «من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل»، بدل قول «من غير تأويل، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تشبيه».

فالتعبير بالتمثيل أولى لأمور:

أولاً: أنه الموافق للفظ القرآن في قوله - تعالى -: ﴿**ليس كمثله شيء**﴾[1]. ﴿**فلا تضربوا لله الأمثال**﴾[2] ولم يقل ليس كشبهه شيء، ولا

(١) سورة الشورى، الآية «١١».
(٢) سورة النحل، الآية «٧٤».

قال فلا تضربوا لله الأشباه.

ثانيًا: أن التشبيه صار وصفًا يختلف الناس في فهمه فعند بعض الناس إثبات الصفات يسمى تشبيهًا، ويمسون من أثبت صفة لله مشبهًا، فتجد ذلك عند المعتزلة كما يقول الزمخشري في تفسيره الكشاف: وقالت المشبهة، ويقصد أهل السنة والجماعة.

ثالثًا: أن نفي التشبيه على الإطلاق بين صفات الخالق وصفات المخلوق لا يصح؛ لأنه ما من صفتين ثابتتين إلا وبينهما اشتراك في أصل المعنى وهذا الاشتراك نوع من المشابهة: فالعلم مثلاً؛ للإنسان علم، وللرب سبحانه علم، فاشتركا في أصل المعنى، لكن لا يستويان. أما التمثيل فيصح أن تنفي نفيًا مطلقًا.

وأيضًا فلا يقال من غير تأويل بل من غير تحريف؛ لأن التأويل في أسماء الله وصفاته ليس منفيًا على كل حال، بل ما دل عليه الدليل فهو تأويل ثابت وهو بمعنى التفسير، وإنما المنفي هو التحريف وهو صرف اللفظ عن ظاهره بغير دليل، كما صنع أهل التعطيل الذين اختلفوا فيما نفوا وأثبتوا من أسماء الله وصفاته، فمنهم من أثبت الأسماء وبعض الصفات ونفى أكثر الصفات، ومنهم من أثبت الأسماء ونفى الصفات كلها، ومنهم من نفى الأسماء والصفات كلها، ومنهم من نفى كل إثبات وكل نفي، فقال: لا تصف الله بإثبات ولا نفي.

وأهل السنة بريئون من هذا ويثبتون لله ـ تعالى ـ كل ما أثبته لنفسه من الأسماء والصفات.

وكذلك فقد جاء النص بذم التحريف في قوله: ﴿**يحرفون الكلم**

عن مواضعه﴾[1] ولم يقل يؤولون، والتزام الألفاظ الشرعية التي جاء بها الكتاب والسنة أولى من إحداث ألفاظ أخرى؛ لأن ما جاء في الشرع أسد وأقوى.

٩٢ سئل فضيلة الشيخ: عن صفة الهرولة؟

فأجاب بقوله: صفة الهرولة ثابتة لله - تعالى - كما في الحديث الصحيح الذي رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة عن النبي، صلى الله عليه وسلم، قال: «**يقول الله - تعالى - أنا عند ظن عبدي بي**» فذكر الحديث وفيه: «**وإن أتاني يمشي أتيته هرولة**»، وهذه الهرولة صفة من صفات أفعاله التي يجب علينا الإيمان بها من غير تكييف ولا تمثيل؛ لأنه أخبر بها عن نفسه وهو أعلم بنفسه فوجب علينا قبولها بدون تكييف، لأن التكييف قول على الله بغير علم وهو حرام، وبدون تمثيل لأن الله يقول: ﴿**ليس كمثله شيء وهو السميع البصير**﴾.

---

(١) سورة المائدة، الآية «١٣».

رسالـــــة

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمـد الصـالح العثيمين إلى أخيه المكرم الشيخ . . . . . حفظه الله تعالى، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وبعد: ففي هذا اليوم وصل إليَّ كتابكم، وقد فهمت ما فيه وقد تضمن ملاحظة فضيلتكم على كلامي فيما يتعلق بالحديث القدسي الذي رواه النبي، صلى الله عليه وسلم، عن ربه ـ تبارك وتعالى ـ أنه قال: «**من تقرب مني شبراً تقربت منه ذراعًا، ومن تقرب مني ذراعًا تقربت منه باعًا، ومن أتاني يمشي أتيته هرولة**». وكان في إثبات الهرولة لله ـ تعالى ـ إشكال عندكم.

فيا محبّ: تعلم أن هذا الحديث أخبر الله ـ تعالى ـ به عن نفسه، ونقله عنـه أمينـه على وحيه ورسوله إلى عباده، ومبلغ رسالته على الوجه الأتم، ونقله عن هذا الرسول أمناء أمته من الصحابة، والتابعين، وأئمة الأمة من أهل الحديث والفقه، وتلقته الأمة بالقبول.

وتعلم يا محبّ: أن الله ـ تبارك وتعالى ـ أعلم بنفسه وبغيره: ﴿**والله يعلم وأنتم لا تعلمون**﴾(١)، ﴿**قل أأنتم أعلم أم الله**﴾(٢).

وتعلم يا محب: أن الله ـ تعالى ـ لم يطلع خلقه على ما علمه إياهم من أسمائـه، وصفاته، وأفعاله، وأحكامه، إلا ليبين لهم الحق حتى لا

---

(١) سورة البقرة، الآية «٢١٦».

(٢) سورة البقرة، الآية «١٤٠».

يضلّوا: ﴿يبين الله لكم أن تضلوا والله بكل شيء عليم﴾[1].

وتعلم يا محبّ: أنه لا أحد أحسن من الله حديثًا، ولا أصدق منه قيلاً، وأن كلامه ـ جل وعلا ـ في أعلى غاية الفصاحة والبيان.

وقد قال ـ سبحانه ـ عن نفسه: **«من أتاني يمشي أتيته هرولة»**. فلا تستوحش يا أخي من شيء أثبته الله ـ تعالى ـ لنفسه بعد أن علمت ما سبق، واعلم أنك إذا نفيت أن الله ـ تعالى ـ يأتي هرولة، فسيكون مضمون هذا النفي صحة أن يقال: إن الله لا يأتي هرولة. وفي هذا ما فيه.

ومن المعلوم أن السلف يؤمنون بأن الله ـ تعالى ـ يأتي إتيانًا حقيقيًّا للفصل بين عباده يوم القيامة على الوجه اللائق به، كما دل على ذلك كتاب الله ـ تعالى ـ، وليس في هذا الحديث القدسي إلا أن إتيانه يكون هرولة لمن أتاه يمشي فمن أثبت إتيان الله ـ تعالى ـ، حقيقة لم يشكل عليه أن يكون شيء من هذا الإتيان بصفة الهرولة على الوجه اللائق به. وأي مانع يمنع من أن نؤمن بأن الله ـ تعالى ـ يأتي هرولة، وقد أخبر الله ـ تعالى ـ به عن نفسه، وهو ـ سبحانه وتعالى ـ يفعل ما يشاء، وليس كمثله شيء، وهو السميع البصير.

وليس في إتيان الله ـ تعالى ـ هرولة على الوجه اللائق به بدون تكييف ولا تمثيل شيء من النقص، حتى يقال: إنه ليس ظاهر الكلام بل هو فعل من أفعاله يفعله كيف يشاء، ولهذا لم يأت في كلام الله ـ تعالى ـ عنه، ولا في كلام رسول الله، صلى الله عليه وسلم، ما يصرفه عن ذلك كما أتى في الحديث القدسي: **«إن الله ـ تعالى ـ يقول يوم القيامة يابن آدم**

(1) سورة النساء، الآية «١٧٦».

مرضت فلم تعدني». الحديث.

وأما قول فضيلتكم: «لم أجد عن الصحابة والتابعين ذكر لإثبات هذه الصفة» أي الهرولة فإن فضيلتكم لا يخفى عليه أن هذه الصفة جاء إثباتها لله ـ تعالى ـ، فيما أخبر الله به نفسه عن نفسه، «**أتيته هرولة**»، وفيما نقله عنه أمينه على وحيه ورسوله إلى من أرسله إليهم من خلقه، وفيما رواه الصحابة عن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وفيما رواه التابعون عن الصحابة، وفيما رواه أئمة الأمة بعدهم إلى عصرنا هذا، كلهم يقولون عن الله: «**أتيته هرولة**».

فقد ذكرت في كلام الله في الحديث القدسي، وفي كلام رسوله، وفي كلام الصحابة، وفي كلام التابعين، وفي كلام الأئمة بعدهم رواية ودراية نقلاً وقبولاً، ولله الحمد.

ولا يخفى على فضيلتكم القاعدة العامة عند السلف من أن نصوص الصفات تجري على ظاهرها اللائق بالله ـ تعالى ـ بلا كيف؛ كما اشتهر عنهم قولهم: «أمروها كما جاءت بلا كيف» وهذه القاعدة تجري على كل فرد من أفراد النصوص، وإن لم ينصوا عليه بعينه، ولا يمكننا أن نخرج عنها نصًّا واحدًا إلا بدليل عن السلف أنفسهم، ولو قلنا: إنه لابد أن ينصوا على كل نص بعينه لم يكن لهذه القاعدة فائدة. ومن ذلك هذا الحديث الذي نحن بصدد الكلام عليه، فإن ظاهره ثبوت إتيان الله ـ تعالى ـ هرولة، وهذا الظاهر ليس ممتنعًا على الله ـ عز وجل ـ لأنه لا يتضمن نقصًا فيكون داخلاً في القاعدة المذكورة، فيثبت لله ـ تعالى ـ حقيقة، ويصان عن الأوهام الباطلة من التمثيل والتكييف.

ولا يخفى على فضيلتكم أن هذا الحديث ليس فيه شيء من

المشاكلة؛ فإن الإشكال عندكم فيما ظهر لي ليس في مجرد الإتيان، ولكن في إثبات الهرولة. والهرولة إنما ذكرت في الحديث في إتيان الله ـ تعالى ـ فقط. أما في إتيان المخلوق، فقال: «**من أتاني يمشي**» والفرق بين مطلق المشي والهرولة ظاهر، وحينئذٍ فلا مشاكلة.

ثم إن المشاكلة عند من قال بها تكون في أحد الطرفين حقيقة، وفي الثاني غير حقيقة، لكن ذكرت بلفظه للتشاكل.

ثمّ إنّ فتح باب المشاكلة ينفتح به إشكالات، ألا ترى أن الذاهبين لذلك أنكروا من أجله صفات يثبتها السلف أهل السنة:

فقالوا: إن الاستهزاء الذي أخبر الله عنه نفسه في قوله: ﴿**الله يستهزىء بهم**﴾[1] من المشاكلة.

وقالوا: إن الخداع الذي أخبر الله به عن نفسه في قوله: ﴿**وهو خادعهم**﴾[2] من المشاكلة.

وقالوا: إن المكر الذي أخبر الله به عن نفسه في قوله: ﴿**ويمكر الله**﴾[3] من المشاكلة.

وقالوا: إن الكيد الذي أخبر الله به عن نفسه في قوله: ﴿**وأكيد كيدًا**﴾[4] من المشاكلة.

وقالوا: إن الرضى الذي أخبر الله به عن نفسه في قوله: ﴿**رضي الله**

---

(١) سورة البقرة، الآية «١١٥».

(٢) سورة النساء، الآية «١٤٢».

(٣) سورة الأنفال، الآية «٣٠».

(٤) سورة الطارق، الآية «١٦».

عنهم﴾[1] من المشاكلة.

إلى غير هذا مما ذكروه ونفوا من أجله حقيقة ما وصف الله به نفسه من ذلك.

ولعل فضيلتكم يرجع إلى ما كتبته عن القول الثاني في تفسير الحديث، والذي ذهب إليه بعض الناس، فإن العلة فيه عندي غير المشاكلة، لأني أرى أن التعليل بالمشاكلة تعليل ينفتح به مالا يمكن دفعه، كما أنه ـ عند التأمل ـ لا مشاكلة في الحديث لما بينته آنفًا.

وأما ما تفضل به فضيلته من ملاحظة على قولي: «إن الحديث خرّج مخرج المثال فيكون المعنى من أتاني يمشي في عبادة تفتقر إلى المشي» من وجهين:

أحدهما: أن لفظ (مَنْ) من صيغ العموم.

الثاني: أنه تفسير وتأويل لا ينضبط.

فلا يخفى على فضيلتكم أن لفظ (مَنْ) وغيرها من الأسماء الموصلة أو الشرطية، عام في أفراد ما تدلّ عليه الصلة أو فعل الشرط فقط، فإذا قلت من أخبرني بقدوم فلان فله كذا، كان عامًّا في جميع أفراد من يخبرك بقدومه، لكنه لا يتناول من أخبرك بقدوم غيره، أو من أخبرك عنه بشيء غير القدوم، فقوله تعالى في الحديث القدسي: **«من أتاني يمشي»** عام في جميع أفراد من أتاه يمشي، لكنه لا يتناول سواهم ممن تقرب إليه بغير الإتيان مشيًا. فإذا قلنا معنى الحديث: «من أتاني يمشي في عبادة تستلزم المشي». لم نكن أخرجنا لفظ (مَنْ) عن العموم حيث جعلناها شاملة لكل فرد من أفراد من أتى الله يمشي، وإتيان الله تعالى مشيًا إنما يكون في عبادة

(١) سورة المائدة، الآية «١٩».

تفتقر إلى المشي، ليتحقق أنه أتى الله تعالى مشيًا.

وبعد هذا يتبين أن ما قلته في التفسير منضبط غير مشكل، وأنه أبعد عن أن يلزمنا الخصوم من أهل التأويل بموافقتهم أو مداهنتهم فيما أولوه من صفات الله - عز وجل - حيث أبقي الحديث على حقيقته اللائقة بالله تعالى، من غير تكييف ولا تمثيل.

وإن الإنسان ليجد في نفسه الخوف من أن يلقى الله - عز وجل - وهو يقول: «إن الله تعالى لا يأتي هرولة» بعد أن أثبت الله ذلك لنفسه، وسبحان من قال عن نفسه: ﴿**ويفعل الله ما يشاء**﴾[1].

ولقد تأملت هذه المسألة، وكلما هممت أن أقول بما ذهب إليه بعض الناس في هذا الحديث، وجدتني خائفًا أن أقول في كلام الله - عز وجل - ما لا أعلم، وأن بقائي على ما يدلّ عليه ظاهر الحديث مع تنزيه الله - عز وجل - عمّا لا يليق به من مماثلة الخلق، ومع الكف عن تكييف صفاته أسلم في عقيدتي، وأبعد لي عن التكلف ولا يكلف الله نفسًا إلا وسعها.

وإني لأشكر فضيلتكم على ما أتحفتموني به من كلام شيخ الإسلام في نقضه كلام الرازي، فنعم التحفة، ونعم من أتحف بها أصلاً ونقلاً.

ولا يخفى على فضيلتكم ما لشيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى - من التحقيق في المنقول والمعقول، مما جعل كلامه - رحمه الله تعالى - له الأثر في النفوس والقبول تغمده الله برحمته وجزاه عن الإسلام والمسلمين خيرًا.

لكن لا يخفى على فضيلتكم أن جُلّ كلامه الذي نقلتم إنما هو في

---

(١) سورة إبراهيم، الآية «٢٧».

مسألة التقرب، لأنه هو الذي ذكر بلفظ المساحة، ومع ذلك فقد أورده الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ بذلك الترديد حيث قال:

«إما أن يكون ظاهر اللفظ في تقرب العبد إلى ربه هو تقرب بالمساحة المذكورة أو لا يكون، فإن كان ذلك هو ظاهر اللفظ، فإما أن يكون ممكنًا أو لا يكون، فإن كان ممكنًا فالآخر أيضًا ممكن، ولا يكون في ذلك مخالفة للظاهر، وإن لم يكن ممكنًا فمن أظهر الأشياء للإنسان علمه بنفسه، وسعيه، فيكون قد ظهر للمخاطب معنى قربه بنفسه، وقد علم أن قرب ربه إليه من جنس ذلك، فيكون الآخر أيضًا ظاهرًا في الخطاب. فلا يكون ظاهر الخطاب هو المعنى الممتنع بل ظاهره هو المعنى الحق، ومن المعلوم أنه ليس ظاهر الخطاب أن العبد يتقرب إلى الله تعالى، بحركة بدنه شبرًا وذراعًا ومشيًا وهرولة. لكن قد يقال عدم ظهور هذا هو للقرينة الحسية العقلية، وهو أن العبد يعلم أن تقرّبه ليس على هذا الوجه، وذلك لا يمنع أن يكون ظاهر اللفظ متروكًا. فيقال هذه القرينة الحسية الظاهرة لكل أحد هي أبلغ من القرينة اللفظية، فيكون بمعنى الخطاب ما ظهر بها لا ما ظهر بدونها» ا. هـ. المقصود منه.

فأنت ترى ـ حفظك الله ـ أن الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ جعل الأمر متردّدًا بين أن يكون التقرب بالمساحة ظاهر اللفظ أو لا يكون. وأنه إن كان ظاهر اللفظ فإما أن يكون ممكنًا أو لا يكون. وأنه إن كان ممكنًا فالآخر أيضًا ممكن، وإن لم يكن ممكنًا فالآخر من جنس ذلك، ولا يمكن أن يكون غير الممكن ظاهر الخطاب لامتناعه، يعني أننا إذا قلنا: إن تقرب العبد إلى ربه بالمساحة (الشبر والذراع) غير ممكن، صار تقرب الله تعالى بالذراع والباع غير ممكن، وإذا كان غير ممكن امتنع أن يكون هو ظاهر الخطاب

لأنه لا يمكن أن يكون ظاهر كلام الله تعالى أمرًا مستحيلاً.

وأما قوله ـ رحمه الله تعالى ـ: «ومن المعلوم أنه ليس ظاهر الخطاب أن العبد يتقرب إلى الله تعالى بحركة بدنه شبرًا وذراعًا ومشيًا وهرولة». فإنه قد يقال ما الذي يمنع ذلك فإن العبد يتقرب إلى ربه بحركة قلبه وحركة بدنه، ولهذا يقال: القلوب جوالة، فقلب يحوم حول العرش، وقلب يتجول حول الحش. وحركة القلب وشعور العبد بقربه من ربه بقلبه أمر معلوم، وكذلك حركة البدن التي يتقرب العبد بها إلى ربه بكون الحركة نفسها عبادة، أو يتوصل بها إلى عبادة أمر معلوم، ألا ترى إلى قوله تعالى في شأن موسى ﴿**وناديناه من جانب الطور الأيمن وقربناه نجيًّا**﴾[1]. قال ابن كثير ـ رحمه الله ـ: «كلمه الله تعالى وناداه، وقرّبه فناجاه».

ولا يخفى على فضيلتكم ما رواه الإمام أحمد وابن حبان والحاكم من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن النبي، صلى الله عليه وسلم، قال: «**إن الله يباهي بأهل عرفات أهل السماء، فيقول لهم انظروا إلى عبادي جاءوني شعثًا غبرًا**». وما رواه أحمد ومسلم من حديث عائشة ـ رضي الله عنها ـ أن النبي، صلى الله عليه وسلم، قال: «**ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبدًا من النار من يوم عرفة، وإنه ليدنو ثم يباهي بهم الملائكة، فيقول: ما أراد هؤلاء**». ودنوه ـ جل وعلا ـ كما يعلم فضيلتكم لا ينافي علوه تعالى، قال شيخ الإسلام في الفتاوى: (جمع ابن قاسم)(٥/٤٦): «وأصل هذا أن قربه ـ سبحانه ـ ودنوه من بعض مخلوقاته لا يستلزم أن تخلو ذاته من فوق العرش، بل هو فوق العرش، ويقرب من خلقه كيف يشاء،

---

(١) سورة مريم، الآية «٥٢».

كما قال ذلك من قاله من السلف، وهذا كقربه إلى موسى لما كلّمه من الشجرة». إلى أن قال ٤٦٤ : «وإذا كان المنادي هو الله رب العالمين، وقد ناداه من موضع معين وقرّبه إليه دل ذلك على ما قاله السلف من قربه ودنوه من موسى، عليه السلام، مع أن هذا قرب مما دون السماء». إلى أن قال ٤٦٥ : «وقربه من العباد بتقربهم إليه مما يقربه جميع من يقول: إنه فوق العرش، سواء قالوا مع ذلك: إنه تقوم به الأفعال الاختيارية أم لم يقولوا. وأما من ينكر ذلك فمنهم من يفسر قرب العباد بكونهم يقاربونه ويشابهونه من بعض الوجوه، فيكونون قريبين منه، وهذا تفسير أبي حامد والمتفلسفة، ومنهم من يفسر قربهم بطاعته، ويفسر قربه بإثابته، وهذا تفسير جمهور الجهمية، فإنهم ليس عندهم قرب ولا تقريب أصلاً. ومما يدخل في معاني القرب ـ وليس في الطوائف من ينكره ـ قرب المعروف والمعبود إلى قلوب العارفين العابدين، فإن كل من أحب شيئًا فإنه لابد أن يعرفه، ويقرب من قلبه، والذي يبغضه يبعد من قلبه». إلى أن قال ٤٦٦ : «والذين يثبتون تقريبه العباد إلى ذاته هو القول المعروف للسلف والأئمة، وهو قول الأشعري وغيره من الكلابية، فإنهم يُثبتون قرب العباد إلى ذاته». إلى أن قال: «وأما دنوه نفسه وتقربه من بعض عباده فهذا يثبته من يثبت قيام الأفعال الاختيارية بنفسه ومجيئه يوم القيامة، ونزوله، واستوائه على العرش، وهذا مذهب أئمة السلف، وأئمة الإسلام المشهورين، وأهل الحديث والنقل عنهم بذلك متواتر، وأول من أنكر هذا في الإسلام الجهمية، ومن وافقهم من المعتزلة».

وفي ص ٦/٣١ : «لكن عموم المسلمين وسلف الأمة وأهل السنة من جميع الطوائف تقر بذلك، فيكون العبد متقربًا بحركة روحه وبدنه إلى

ربه، مع إثباتهم أيضًا التقرب منها إلى الأماكن المشرفة، وإثباتهم أيضًا تحول روحه وبدنه من حال إلى حال.

فالأول: مثل معراج النبي، صلى الله عليه وسلم، وعروج روح العبد إلى ربه، وقربه منه في السجود وغير ذلك.

والثاني: مثل الحج إلى بيته وقصده في المساجد.

والثالث: مثل ذكره له، ودعائه، ومحبته، وعبادته وهو في بيته، لكن في هذين يقرّون أيضًا بقرب الروح أيضًا إلى الله نفسه فيجمعون بين الأنواع كلها».

قال في ص ٦/١٣: «وإذا كان قرب عباده منه نفسه وقربه منهم ليس ممتنعًا عند الجماهير من السلف وأتباعهم من أهل الحديث والفقهاء والصوفية وأهل الكلام لم يجب أن يتأول كل نص فيه ذكر قربه، من جهة امتناع القرب عليه، ولا يلزم من جواز القرب عليه أن يكون كل موضع ذكر فيه قربه يراد به قربه بنفسه، بل يبقى هذا من الأمور الجائزة، وينظر في النص الوارد فإن دل على هذا حمل عليه، وإن دل على هذا حمل عليه، وهذا كما تقدم في لفظ الإتيان والمجيء» ا. هـ.

ففي هذا الكلام من تقرير تقرب العبد إلى ربه بحركة روحه وبدنه، وأن قرب العباد منه نفسه وقربه منهم ليس ممتنعًا عند الجماهير من السلف وأتباعهم، ما يخالف ما ذكره في نقضه على الرازي، وعليه فيكون للشيخ - رحمه الله تعالى - في هذا قولان، ولكن أيهما أقرب أن يكون أرجح عنده؟

قد يقال: إن الثاني أقرب أن يكون أرجح لأن فيه زيادة، ولأنه ساقه جازمًا به، بخلاف الأول فإنه كان فيه ترديد. والله أعلم.

وخلاصة القول: أن إبقاء النص على ظاهره أولى وأسلم فيما أراه، ولـو ذهب ذاهب إلى تأويله لظهـور القـرينة عنده في ذلك لوسعه الأمر لاحتـماله. والله تعالى رقيب على قول كل قائل وقلبه، فنسأل الله تعالى الهداية والتوفيق، لما يحب ويرضى إنه جواد كريم. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

فصــــل

قال فضيلة الشيخ غفر الله له ولوالديه، ولجميع المسلمين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله. وبعد فقد اطلعت على تعليق كتبه مختصر تفسير المنار الشيخ القاضي محمد أحمد كنعان ص ٣٧٨ ـ ٣٨٩ جـ ٢ تضمن مسائل ثلاثًا يجب التنبيه عليها:

الأولى: قوله: «فالإمام مالك وغيره من السلف نفوا الكيف أصلاً معلومًا ومجهولاً، لأنهما في النتيجة سواء من حيث نسبة الكيف إلى الله تعالى، والكيف عليه تعالى محال».

وهذا القول غير صحيح، فإن السلف لا ينفون الكيف مطلقًا، لأن نفي الكيف مطلقًا نفي للوجود، إذ ما من موجود إلا وله كيفية، لكنها قد تكون معلومة، وقد تكون مجهولة، وكيفية ذات الله ـ تعالى ـ وصفاته مجهولة لنا، ولا يحل لنا أن نكيف شيئًا من ذلك، لأننا إن قيدنا هذه الكيفية بما نشاهده فهذا هو التمثيل الممتنع في حق الله ـ تعالى ـ فإن الله تعالى ليس كمثله شيء في ذاته ولا في صفاته. وإن لم نقيد الكيفية بما نشاهده وإنما تصورنا كيفية معينة لا نظير لها فيما نشاهد كان ذلك قولاً على الله تعالى بغير علم، وهو حرام، لقوله تعالى: **﴿قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغي بغير الحق وأن تشركوا بالله مالم ينزل به سلطانًا وأن تقولوا على الله مالا تعلمون﴾**(١). وعلى هذا فنثبت كيفية لا نعلمها ولا يحل

(١) سورة الأعراف، الآية «٣٣».

لنا أن نتصورها بشيء معين، سواء قيدناها بمماثل نشاهده أم لا.

وأما قوله: «إن الإمام مالك لا يقول: والكيف مجهول». فالجزم بأنه لا يقول بذلك جزم بما لا علم فيه. وأما كون هذا غير الوارد عنه فصحيح فإن الوارد بالسند عنه قوله: «الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة». كما رواه البيهقي وأبو الشيخ الأصبهاني، وقوله: رحمه الله: «غير معقول» أي أنا لا ندركه بعقولنا، فإذا لم ندركه بعقولنا ولم يرد به السمع، فقد انتفى عنه الدليلان العقلي والسمعي، فوجب الكفّ عنه، وتعذرت الإجابة، قال شيخ الإسلام ابن تيمية في الفتوى الحموية: «فقول ربيعة ومالك: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب» موافق لقول الباقين: «أمروها كما جاءت بلا كيف» فإنما نفوا علم الكيفية ولم ينفوا حقيقة الصفة» ا.هـ. فتأمل قول الشيخ: «فإنما نفوا علم الكيفية». ولم يقل نفوا الكيفية يتبين لك أن السلف يثبتون الكيفية لكنها مجهولة لنا، ويدل لذلك أن الإمام مالكًا وشيخه ـ رحمهما الله ـ لم يقولا: الكيف مستحيل أو غير ممكن ولو كان هذا هو الحق الذي يجب لله لبينه السلف ـ رحمهم الله ـ.

والحاصل: أن نفي الكيفية عن الاستواء مطلقًا هو تعطيل محض لهذه الصفة، لأننا إذا أثبتنا الاستواء حقيقة لزم أن يكون له كيفية، وهكذا يقال في بقية الصفات.

المسألة الثانية قوله: «ولا يجوز أن يفهم من الاستواء معنى لا يليق بالله، مثل الاستقرار، أو الجلوس، أو القعود».

وهذا القول غير صحيح على إطلاقه، فإن قوله: «لا يجوز أن يفهم من الاستواء معنى لا يليق بالله»، صحيح فإن كل ما وصف الله تعالى به

نفسه من الاستواء وغيره لا يجوز أن نفهم منه معنى لا يليق بالله، ولكن ما هو المرجع والميزان فيما يليق بالله تعالى وما لا يليق؟

إن قلت المرجع إلى ذلك العقول لزم من ذلك محذوران عظيمان:

أحدهما: أن يكون المرجع فيما يجب لله تعالى من صفات الكمال وما ينزه من صفات النقص هو العقل، ومن المعلوم قصور العقول عن إدراك ما يجب لله تعالى إثباتًا أو نفيًا على سبيل التفصيل. قال الله تعالى: ﴿**ولا يحيطون به علمًا**﴾[1]. فإذا علم قصور العقول عن ذلك فكيف يمكن أن تكون ميزانًا لما لا يمكن أن تدركه؟!

الثاني: أن عقول هؤلاء الذين زعموا أن المرجع في ذلك العقول كانت مضطربة متناقضة يوجب بعضها ما يرى الآخر امتناعه، فكيف تكون هذه العقول المضطربة أدلة وبراهين في إثبات ما يثبت لله ـ تعالى ـ ونفي ما ينفى عنه؟!

وأما تمثيله لما لا يليق بالله بتفسير الاستواء على العرش بالاستقرار عليه والجلوس والقعود فغير صحيح، فأما تفسير استواء الله ـ تعالى ـ على عرشه باستقراره عليه فهو مشهور عن السلف، نقله ابن القيم في النونية وغيره. وأما الجلوس والقعود فقد ذكره بعضهم، لكن في نفسي منه شيء. والله أعلم.

المسألة الثالثة قوله: «أو المكان» يعني أنه لا يليق بالله ـ عز وجل ـ.

وهذا أيضًا غير صحيح على إطلاقه، فإنه إن أراد بنفي المكان المكان المحيط بالله ـ عز وجل ـ فهذا النفي صحيح، فإن الله ـ تعالى ـ لا يحيط به شيء من مخلوقاته، وهو أعظم وأجل من أن يحيط به شيء، كيف

(١) سورة طه، الآية «١١٠».

﴿والأرض جميعًا قبضته يوم القيامة والسمٰوات مطويات بيمينه﴾[1].

وإن أراد بنفي المكان نفي أن يكون الله تعالى في العلو فهذا النفي غير صحيح، بل هو باطل بدلالة الكتاب، والسنة، وإجماع السلف، والعقل والفطرة، وقد ثبت عن النبي، صلى الله عليه وسلم، أنه قال للجارية: «**أين الله؟**». قالت: في السماء. قال لمالكها: «**أعتقها فإنها مؤمنة**». وكل من دعا الله ـ عز وجل ـ فإنه لا ينصرف قلبه إلا إلى العلو، هذه هي الفطرة التي فطر الله الخلق عليها لا ينصرف عنها إلا من اجتالته الشياطين، لا تجد أحدًا يدعو الله ـ عز وجل ـ وهو سليم الفطرة ثم ينصرف قلبه يمينًا أو شمالاً، أو إلى أسفل، أو لا ينصرف إلى جهة، بل لا ينصرف قلبه إلا إلى فوق.

٩٣ سئل فضيلة الشيخ: عن حكم سب الدهر؟

فأجاب قائلاً: سب الدهر ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: أن يقصد الخبر المحض دون اللوم، فهذا جائز مثل أن يقول تعبنا من شدة حر هذا اليوم، أو برده، وما أشبه ذلك؛ لأن الأعمال بالنيات، واللفظ صالح لمجرد الخبر.

القسم الثاني: أن يسب الدهر على أنه هو الفاعل، كأن يقصد بسبه الدهر أن الدهر هو الذي يقلب الأمور إلى الخير أو الشر، فهذا شرك أكبر؛ لأنه اعتقد أن مع الله خالقاً حيث نسب الحوادث إلى غير الله.

القسم الثالث: أن يسب الدهر وهو يعتقد أن الفاعل هو الله ولكن

---

(١) سورة الزمر، الآية «٦٧».

يسبه لأنه محل هذه الأمور المكروهة فهذا محرم؛ لأنه مناف للصبر الواجب وليس بكفر؛ لأنه ما سب الله مباشرة، ولو سب الله مباشرة لكان كافراً.

[٩٤] سئل فضيلة الشيخ: كيف نجمع بين قوله، صلى الله عليه وسلم، فيما يرويه عن ربه - عزّ وجلّ - «يؤذيني ابن آدم يسب الدهر..» الحديث، وبين قول الرسول، صلى الله عليه وسلم: «الدنيا ملعونة ملعون ما فيها..» الحديث؟.

فأجاب قائلاً: حديث «الدنيا ملعونة ملعون مافيها» لا أدري عن صحته، والذي أظن أنه ضعيف، ولكن على تقدير صحته فليس هذا من باب السب، إنما هو من باب الخبر وأنه لا خير فيها إلا عالم ومتعلم، أو ذكر الله وما والاه، وأما سب الدهر فهو عيبه ولومه والتسخط مما وقع فيه، وإضافة هذا الشيء إلى الدهر مع أن الأمر كله بيد الله - عزّ وجلّ - كما جاء في الحديث نفسه: **«وأنا الدهر بيدي الأمر أقلب الليل والنهار»**.

[٩٥] سئل فضيلة الشيخ: عن هذه العبارات: «هذا زمان أقشر»، أو «الزمن غدار»، أو «ياخيبة الزمن الذي رأيتك فيه»؟.

فأجاب بقوله: هذه العبارات التي ذُكرت في السؤال تقع على وجهين:

الوجه الأول: أن تكون سبًّا وقدحًا في الزّمن فهذا حرام، ولا يجوز، لأن ماحصل في الزمن فهو من الله - عزّ وجلّ - فمن سبّه فقد سبّ الله،

ولهذا قال الله ـ تعالى ـ في الحديث القدسي: «**يؤذني ابن آدم يسب الدهر وأنا الدهر. بيدي الأمر أقلّب الليل والنهار**».

والوجه الثاني: أن يقولها على سبيل الإخبار فهذا لا بأس به، ومنه قوله ـ تعالى ـ عن لوط، عليه الصلاة والسلام: ﴿**وقال هذا يوم عصيب**﴾[1]. أي شديد وكل الناس يقولون: هذا يوم شديد. وهذا يوم فيه كذا وكذا من الأمور، وليس فيه شيء.

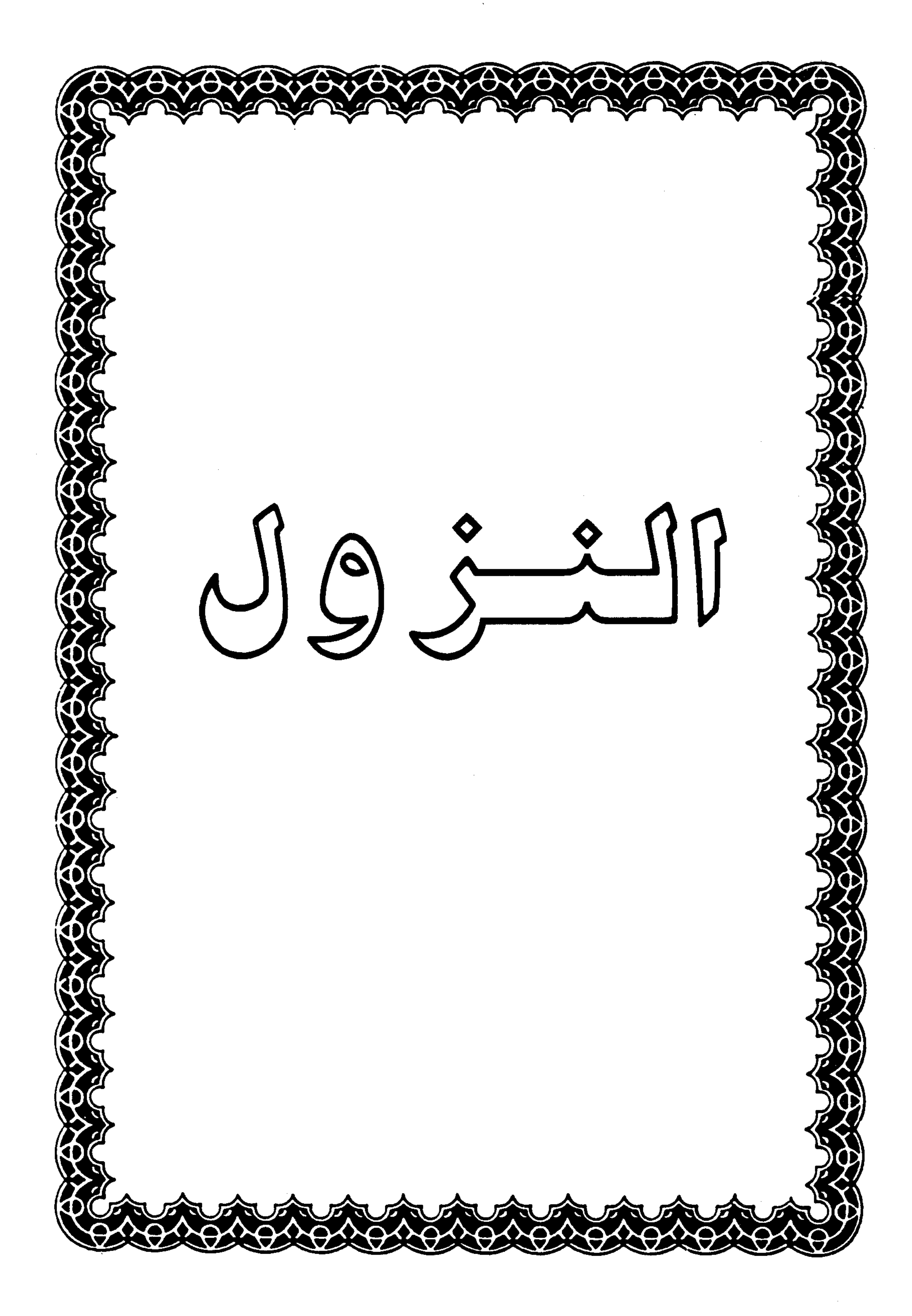
وأما قول: «هذا الزمن غدار» فهذا سبّ لأن الغدر صفة ذمّ ولا يجوز.

وقول: «ياخيبة اليوم الذي رأيتك فيه» إذا قصد ياخيبتي أنا. فهذا لا بأس فيه، وليس سبًّا للدهر، وإن قصد الزمن أو اليوم فهذا سب فلا يجوز.

---

(١) سورة هود، الآية «٧٧».





النزول



٩٦ **سئل فضيلة الشيخ: عن حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، قال: «يتنزل ربنا ـ تبارك وتعالى ـ كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول: من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه من يستغفرني فأغفر له». رواه البخاري؟**

فأجاب بقوله: هذا الحديث حديث عظيم ذكر بعض أهل العلم أنه بلغ حد التواتر عن النبي، صلى الله عليه وسلم، ولا شك أنه حديث مستفيض مشهور، وقد شرحه شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ بكتاب مستقل، لما فيه من الفوائد العظيمة، ففيه ثبوت النزول لله ـ سبحانه وتعالى ـ لقوله: «**يتنزل ربنا**» والنزول من صفات الله الفعلية، لأنه فعل وهذا النزول نزول الله نفسه حقيقة؛ لأن الرسول، صلى الله عليه وسلم، أضافه إلى الله، ونحن نعلم أن الرسول، صلى الله عليه وسلم، أعلم الناس بالله، ونعلم كذلك أن الرسول، صلى الله عليه وسلم، أفصح الخلق، ونعلم كذلك أنه، صلى الله عليه وسلم، أصدق الخلق فيما يخبر به، فليس في كلامه شيء من الكذب، ولا يمكن أن يتقول على الله ـ تعالى ـ شيئًا لا في أسمائه، ولا في صفاته، ولا في أفعاله، ولا في أحكامه، قال الله ـ تعالى ـ: ﴿**ولو تقوّل علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين**﴾[1]. ونعلم كذلك أن رسول الله، صلى الله عليه

(١) سورة الحاقة، الآية «٤٦».

وسلم، أنصح الخلق، وأنه، صلى الله عليه وسلم، لا يساويه أحد من الخلق في النصيحة للخلق، ونعلم كذلك أنه، صلى الله عليه وسلم، لا يريد من العباد إلا أن يهتدوا، وهذا من تمام نصحه أنه لا يريد منهم أن يضلوا، فهو عليه الصلاة والسلام، أعلم الخلق بالله، وأنصح الخلق للخلق، وأفصح الخلق فيما ينطق به، وكذلك لا يريد إلا الهداية للخلق، فإذا قال: «**ينزل ربنا**» فإن أي إنسان يقول خلاف ظاهر هذا اللفظ قد اتهم النبي، صلى الله عليه وسلم، إما بأنه غير عالم، فمثلاً إذا قال: المراد ينزل أمره. **نقول**: أنت أعلم بالله من رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فالرسول يقول: «**ينزل ربنا**» وأنت تقول ينزل أمره أأنت أعلم أم رسول الله؟! أو أنه اتهمه بأنه لا يريد النصح للخلق حيث عمّى عليهم فخاطبهم بما يريد خلافه، ولا شك أن الإنسان الذي يخاطب الناس بما يريد خلافه غير ناصح لهم، أو نقول أنت الآن اتهمت الرسول، صلى الله عليه وسلم، بأنه غير فصيح بل هو عيي يريد شيئًا ولكن لا ينطق به، يريد ينزل أمر ربنا ولكن يقول ينزل ربنا لأنه لا يفرق بين هذا وهذا، فكلامك هذا لا يخلو من وصمة الرسول، صلى الله عليه وسلم، فعليك أن تتقي الله، وأن تؤمن بما قال الرسول، صلى الله عليه وسلم، من أن الله ـ تعالى ـ نفسه ينزل حقيقة.

٩٧ وسئل فضيلته: هل يستلزم نزول الله ـ عزّ وجلّ ـ أن يخلو العرش منه أو لا؟.

فأجاب بقوله: نقول أصل هذا السؤال تنطع، وإيراده غير مشكور عليه مورده، لأننا نسأل هل أنت أحرص من الصحابة على فهم صفات الله؟ إن قال: نعم فقد كذب. وإن قال: لا. قلنا فليسعك ما وسعهم،

فهم ما سألوا الرسول، صلى الله عليه وسلم، وقالوا: يا رسول الله إذا نزل هل يخلو منه العرش؟ وما لك ولهذا السؤال، قل ينزل واسكت. يخلو منه العرش أو ما يخلو، هذا ليس إليك أنت مأمور بأن تصدق الخبر ولا سيما ما يتعلق بذات الله وصفاته، لأنه أمر فوق العقول فإذًا نقول هذا السؤال تنطع أصلاً لا يرد وكل إنسان يريد الأدب كما تأدب الصحابة مع رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فإنه لا يورده، فإذا قدر أن شخصًا ابتلي بأن وجد العلماء بحثوا في هذا واختلفوا فيه، فمنهم من يقول يخلو، ومنهم من يقول لا يخلو، ومنهم من توقف، فالسبيل الأقوم في هذا هو التوقف، ثم القول بأنه لا يخلو منه العرش، وأضعف الأقوال القول بأنه يخلو منه العرش، فالتوقف أسلمها وليس هذا مما يجب علينا القول به؛ لأن الرسول، صلى الله عليه وسلم، لم يبينه والصحابة لم يستفسروا عنه، ولو كان هذا مما يجب علينا أن نعتقده لبينه الله ورسوله بأي طريق، ونحن نعلم أنه أحيانًا يبين الرسول، عليه الصلاة والسلام، الحق من عنده، وأحيانًا يتوقف فينزل الوحي، وأحيانًا يأتي أعرابي فيسأل عن شيء، وأحيانًا يسأل الصحابة أنفسهم عن الشيء كل هذا لم يرد في هذا الحديث فإذًا لو توقفنا وقلنا الله أعلم فليس علينا سبيل لأن هذا هو الواقع.

٩٨ وسئل هل إذا نزل تقله السماء؟

فأجاب بقوله: هذا لا يكون، لأنك لو قلت إن السماء تقله لزم أنه يكون محتاجًا إليها، كما تكون أنت محتاجًا إلى السقف إذا أقلك، ومعلوم أن الله غني عن كل شيء، وأن كل شيء محتاج إلى الله، فإذًا نجزم بأن السماء لا تقله، لأنها لو أقلته لكان محتاجًا إليها وهذا مستحيل على الله - عزّ وجلّ -.

٩٩ وسئل: هل السماء الثانية فما فوقها تكون فوقه إذا نزل إلى السماء الدنيا؟

فأجاب بقوله: لا، ونجزم بهذا لأننا لو قلنا بإمكان ذلك لبطلت صفة العلو، وصفة العلو لازمة لله، وهي صفة ذاتية لا تنتفي عن الله ولا يمكن أن يكون شيء فوقه. حينئذ يبقى الإنسان منبهتًا كيف ينزل إلى السماء الدنيا ولا تقله ولا تكون السموات الأخرى فوقه هل يمكن هذا؟!

الجـواب: إذا كنت منبهتًا من هذا فإنما تنبهت إذا قست صفات الخالق بصفات المخلوق، صحيح أن المخلوق إذا نزل إلى المصباح صار السطح فوقه وصار سطح المصباح يقله، لكن الخالق لا يمكن أن يقاس بخلقه، فلا تقل كيف؟ ولم؟

فإذًا هذان السؤالان: هل السماء تقله؟

الجـواب: لا لأنـك إن فرضت هذا لزم أن يكون الله محتاجًا إلى السماء والله ـ تعالى ـ غني عن كل شيء، وكل شيء محتاج إليه.

والسؤال الثاني: هل تكون السموات فوقه ما عدا السماء الدنيا؟

الجواب: لا. لأنك لو فرضت ذلك لزم انتفاء صفة العلو لله مع أن العلو من صفات الله الذاتية التي لا ينفك عنها.

فالسؤال هذا من أصله بدعة كما قال مالك للذي سأله عن الاستواء كيف استوى؟ قال: «السؤال عنه بدعة» يعني لأنه ما سأل الصحابة عنه، فأنت الآن ابتـدعت في دين الله حيث سألت عن أمر ديني ما سأل عنه الصحابة وهم أفضل منك، وأحرص منك على العلم بصفات الله، لكن مع ذلك لو قال: أنا يساورني القلق أخشى أن أعتقد بصفات الله ما لا يجوز، فبينوا لي وأنقذوني، فحينئذ نبين له لأن الإنسان قد يبتلى بمثل هذه

الأمور ويأتيه الشيطان ويوسوس له، ويقول كيف؟ وكيف؟ حتى يؤدي به إلى أحد محذورين: إما التمثيل، وإما التعطيل، فإذا جاءنا يسأل ويقول: أنقذوني ما زال هذا يتردد في خاطري ما يكفيني أن تقولوا بدعة كيف أذهب ما في خاطري وقلبي. نقول نبين لك.

١٠٠ وسئل هل الذي ينزل هو الله - عز وجل - أو لا؟

فأجاب بقوله: ذكرنا فيما سبق أن الذي ينزل هو الله نفسه، هكذا قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وهو أعلم الخلق به، وأنصحهم، وأفصحهم مقالاً، وأصدقهم فيما يقول فهو أعلم، وأنصح، وأفصح، وأصدق، وكل هذه الصفات الأربع موجودة في كلامه عليه الصلاة والسلام، فوالله ما كذب في قوله: «**ينزل ربنا**» ولا غش الأمة ولا نطق بعيّ ولا نطق عن جهل ﴿**وما ينطق عن الهوى**﴾[1] بل هو الصادق المصدوق، صلى الله عليه وسلم يقول: «**ينزل ربنا عز وجل**». لكن قال بعض الناس إن الذي ينزل أمر الله، وقال آخرون الذي ينزل رحمة الله، وقال آخرون الذي ينزل ملك من ملائكة الله، سبحان الله هل الرسول، صلى الله عليه وسلم، ما يعرف أن يعبر هذا التعبير لا يعرف أن يقول: تنزل رحمة الله، أو ينزل أمر الله، أو ينزل ملك من ملائكة الله؟ الجواب: يعرف أن يعبر ولو كان المراد ينزل أمره، أو رحمته، أو ملكه، لكان الرسول، عليه الصلاة والسلام، ملبسًا على الأمة حين قال: «**ينزل ربنا**» ولم يكن مبينًا للأمة بل ملبسًا عليهم؛ لأن الذي يقول لك: «ينزل ربنا» وهو يريد ينزل أمره هل وضح لك وبين أو غشك ولبّس عليك؟ الجواب: غشك ولبس عليك فإذا

(١) سورة النجم، الآية «٣».

الذي ينزل هو الرب ـ عز وجل ـ.

وهذا التحريف ولا نقول هذا التأويل فالقول بأن مثل هذا التحريف تأويل تلطيف للمسألة، وكل تأويل لا يدل عليه دليل فهو تحريف، نقول هذا التحريف لا شك أنه باطل فإذا قلنا إن الذي ينزل أمر الله في ثلث الليل فمقتضاه:

أولاً: أنه في غير ثلث الليل لا ينزل أمر الله، وأمر الله نازل في كل لحظة ﴿**يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه**﴾[1].

ثانيًا: أمر الله ما ينتهي بالسماء الدنيا قال ـ تعالى ـ: ﴿**يدبر الأمر من السماء إلى الأرض**﴾. وليس إلى السماء الدنيا فقط، فبطل هذا التحريف من جهة أن الأمر لا يختص بهذا الجزء من الليل، وأن الأمر لا ينتهي إلى السماء بل ينزل إلى الأرض.

ورحمة الله أيضًا نفس الشيء نقول رحمة الله ـ عز وجل ـ تنزل كل لحظة ولو فقدت رحمة الله من العالم لحظة لهلك فكل لحظة تنزل الرحمة وتنزل إلى الأرض، إذًا ما الفائدة لنا بنزول الرحمة إلى السماء فقط، إذا لم تصلنا الرحمة فلا فائدة لنا منها، فبطل تفسيره بالرحمة بل ما يترتب على تفسيره بالأمر أو بالرحمة من اللوازم الفاسدة أعظم مما يتوهمة من صرف اللفظ إلى الأمر أو الرحمة من المفاسد في تفسيره بنزول الله نفسه.

ثالثًا: هل يمكن للأمر أو الرحمة أن تقول من يدعوني فأستجيب له إلخ؟

الجواب: لا يمكن أن تقول رحمة الله من يدعوني، ولا يمكن أن يقول أمر الله من يدعوني، فالذي يقول هو الله ـ عز وجل ـ كذلك إذا قيل

---

(١) سورة السجدة، الآية «٥».

إن الذي ينزل ملك من ملائكته نقول الملك إذا نزل إلى السماء الدنيا لا يمكن أن يقول من يدعوني. أبدًا لو قال الملك من يدعوني صار من دعاة الشرك لأن الذي يجيب الداعي إذا دعاه هو الله ـ عز وجل ـ فلا يمكن للملك أن يقول هكذا، حتى لو فرض أن الله أمره أن يقول لقال من يدعو الله فيستجيب له، ولا يمكن لملك من الملائكة وهم لا يعصون الله أن يقول من يدعوني فأستجيب له، وبهذا بطل تحريف هذا الحديث إلى هذا المعنى أن يكون النازل ملكًا.

وتحريف نصوص الصفات من القرآن والسنة يجري فيها هذا المجرى، يعني أن كل التحريفات إذا تأملتها وجدت أنه يترتب عليها من المفاسد أضعاف ما يترتب على المفاسد التي توهموها لو أجروا اللفظ على ظاهره، ولهذا نجد الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ سلموا من هذا فلا يوجد عنهم حرف واحد في تحريف نصوص الصفات، لأنه ليس فيها إشكال عندهم يجرونها على ظاهرها، كما يجرون آيات الأحكام على ظاهرها، والغريب أن هؤلاء الذين يحرفون في نصوص الصفات وهم لا يستطيعون أن يعقلوها لو حرف أحد من نصوص الأحكام ـ مع أن الأحكام مربوطة بالمصالح والمصالح للعقول فيها مدخل ـ لو حرف أحد في نصوص الأحكام لأقاموا عليه الدنيا، وقالوا ما يمكن أن تخرج اللفظ عن ظاهره، مع أن الأحكام مربوطة بالمصالح والمصالح للعقل فيها مجال، لكن صفات الله غير مربوطة بهذا، صفات الله طريقها الخبر المجرد يعني ما فيه تلقٍّ في صفات الله نفيًا، أو إثباتًا إلا من الكتاب والسنة، ومع ذلك نجد من يلعب بنصوص الكتاب والسنة فيما يتعلق بصفات الله ويحرفها حينما يرى أن العقل يقتضي ذلك، مع أن العقل الذي يدعى أنه يقتضي ذلك، عقل

من؟ عقل زيد أو عمرو أو بكر. . كل واحد منهم له عقل يقول هذا هو الحق ولهذا تجدهم يتناقضون، بل إن الواحد منهم ينقض كلامه بعضه بعضًا، يؤلف كتابًا فينقض به ما في الكتاب الأول وهكذا.

حجج تهافت كالزجاج تخالها حقًّا وكل كاسر مكسور

فهم يتناقضون لأنهم على غير برهان وعلى غير أساس، فلهذا نقول الطريق السليم، والمنهج الحكيم هو: ما درج عليه السلف من إجراء هذه النصوص على ظاهرها.

فإذا قال قائل: ظاهرها التمثيل.

قلنا له: أخطأت ليس ظاهرها التمثيل، وكيف يكون ظاهرها التمثيل وهي مضافة إلى الله ـ تعالى ـ والله لا يماثله أحد في ذاته فكذلك في صفاته. فمثلاً قوله ـ تعالى ـ: ﴿**ويبقى وجه ربك**﴾[1] إذا قال أنا لا أثبت الوجه حقيقة لأن ظاهره التمثيل، نقول أخطأت ليس ظاهره التمثيل لأن الله ـ تعالى ـ لم يذكر وجهًا مطلقًا حتى يحمل على المعهود، وإنما ذكر وجهًا مضافًا إلى ذاته ﴿**ويبقى وجه ربك**﴾ فإذا كان مضافًا إلى ذاته وأنت تؤمن بأن ذاته لا تماثل ذوات المخلوقين وجب أن يكون وجهه لا يماثل أوجه المخلوقين. والله أكبر عليك لو قيل يد الفيل ما فهمت إنها كيد الهرة لأنها أضيفت إلى الفيل وليست يدًا مطلقة حتى تقول تشترك مع غيرها فلا يمكن أن تفهم من قول القائل: يد فيل أنه كقول القائل يد هر، أبدًا فكيف تفهم إذا قيل يد الله بأنها كيد زيد أو عمرو؟! أبدًا ما يمكن أن تفهم هذا، فكل من قال إن ظاهر نصوص الصفات التمثيل فإنه كاذب سواء تعمد الكذب أم لم يتعمده، لأنه حتى الذي يقول عن تأويل خاطىء

---

(١) سورة الرحمن، الآية «٢٧».

يسمى كاذبًا أليس الرسول، عليه الصلاة والسلام قد قال لأبي السنابل لما أخبر بأن أبا السنابل قال لسبيعة الأسلمية لن تنكحي حتى يمضي عليك أربعة أشهر وعشر، قال الرسول، عليه الصلاة والسلام: «**كذب أبو السنابل**». مع أنه ما تعمد الكذب لكنه قال قولاً خاطئًا فنحن نقول هذا كاذب سواء تعمد أم لم يتعمد فليس في نصوص الصفات ـ ولله الحمد ـ ما يقتضي التمثيل لا عقلاً ولا سمعًا ثم إن لدينا آية من كتاب الله ـ عز وجل ـ تمحو كل ما ادعى أن فيه تمثيلاً وهي قوله: ﴿**ليس كمثله شيء**﴾[1]. فأنت إذا جاءك نص إثبات فاقرنه بنص هذا النفي ولا تؤمن ببعض الكتاب وتكفر ببعض بل اقرنه به. فمثلاً قوله ـ تعالى ـ: ﴿**ويبقى وجه ربك**﴾[2] نقول وليس كمثل وجه الله شيء لأن الله يقول: ﴿**ليس كمثله شيء**﴾[3] وعلى هذا فقس، والأمر ولله الحمد ظاهر جدًا ولولا كثرة الناس الذين سلكوا هذا المسلك أعني مسلك التأويل في قولهم والتحريف فيما نرى، لولا كثرتهم لكان الأمر غير مشكل على أحد إطلاقًا؛ لأنه واضح ليس فيه إشكال، فلهذا نقول يجب علينا أن نؤمن بأن الله ـ عز وجل ـ ينزل إلى السماء الدنيا هو نفسه، كما نؤمن بأنه هو نفسه الذي خلق السموات وأضاف الخلق إليه، وينزل إلى السماء هو، لأن الإضافة في «ينزل» كالإضافة في «خلق، ويخلق»، ولا فرق فالنازل هو الله، والخالق هو الله، والرازق هو الله، والباسط هو الله، وهكذا، ولا فرق بينهما، والإنسان المؤمن الذي يتقي الله ـ عز وجل ـ لا يمكن أن يحرف ما أضافه الله إلى

(١) سورة الشورى، الآية «١١».

(٢) سورة الرحمن، الآية «٢٧».

(٣) سورة الشورى، الآية «١١».

نفسه ويضيفه إلى أمر آخر وإذا أداه اجتهاده إلى ذلك فإنه يكون معذورًا لا مشكـورًا؛ لأن هناك فرقًا بين السعي المشكور وهو ما وافق الحق، وبين العمل المعذور وهو ما خالف الحق لكن نعرف من صاحبه النصح إلا أنه التبس عليه الحق، فإن في هؤلاء المؤولة الذين نرى أن عملهم تحريف فيهم من يعلم منه النصيحة لله، ولكتابه، ولرسوله، وللمسلمين، لكن التبس عليهم الحق فضلوا الطريق في هذه المسألة.

وفي قوله: «**فيقول من يدعوني فأستجيب له**» في هذا إثبات القول لله وأنه بحرف وصوت لأن أصل القول لابد أن يكون بصوت ولو كان قولاً بالنفس لقيده الله كما قال ـ تعالى ـ: ﴿**ويقولون في أنفسهم لولا يعذبنا الله**﴾[1] فإذا أطلق القـول فلابد أن يكون بصوت، ثم إن كان من بعد سُمي نداء، وإن كان من قرب سُمي نجاء.

فإذا قال قائل نحن لا نسمع هذا القول؟

فنقـول: أخـبرنـا به من قولـه عنـدنا أشد يقينًا مما لو سمعنا وهو الـرسول، عليه الصلاة والسلام، نعلم علم اليقين بأن الله يقول بخبر أصدق الخلق، صلى الله عليه وسلم، ونحن لو سمعنا قولاً، لظننا أنه وجبة شيء سقط، أو خفيف أشجار من رياح فنتوهم فيما نسمع لكن ما قاله رسول الله، صلى الله عليه وسلم، لا نتوهم فيه فيكون خبر الرسول، عليه الصلاة والسلام، عندنا بمنزلة ما سمعنا بآذاننا، بل أشد يقينًا، إذ صح عنه، وهذا الحديث قد صح عنه فهو متواتر أو هو مشهور مستفيض عند أهـل السنة والحديث فلذلك نقول إن الله يقول هذا فينبغي لك وأنت تتهجد لله في هذا الزمن من الليل أن تشعر بأن الله ينادي يقول من يدعوني

---

(١) سورة المجادلة، الآية «٨».

فأستجيب له، فتدعو الله - تعالى - وأنت موقن بهذا والدعاء أن تقول: «يا رب» فهذا دعاء.

وقوله: «**من يسألني**» أي من يطلب مني شيئًا مثل أن تقول: (يا رب أسألك الجنة) فهذا سؤال، واجتمع في قول القائل يا رب أسألك الجنة الدعاء والسؤال.

وقوله: «**من يستغفرني فأغفر له**» أي من يطلب مني المغفرة مثل أن تقول يا رب اغفر لي فهذا استغفار، وإذا قال القائل: «اللهم إني أسألك الجنة» فقوله: «اللهم» دعاء لأن أصلها يا الله. وقوله «أسألك الجنة» هذا سؤال فيكون فيه سؤال ودعاء وفي حديث أبي بكر الذي علمه إياه النبي، صلى الله عليه وسلم: «**اللهم إني ظلمت نفسي ظلمًا كثيراً ولا يغفر الذنوب إلا أنت فاغفر لي مغفرة من عندك، وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم**». فهذا متضمن لثلاثة، الدعاء في قوله «اللهم»، والاستغفار في قوله «فاغفر لي»، وفي قوله «وارحمني» دعاء بالرحمة.

قوله: «**من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له**» «من» هنا اسم استفهام، والمراد به التشويق، وليس المراد به الاستخبار؛ لأن الله - عز وجل - يعلم، لكن المراد به التشويق يشوق - سبحانه وتعالى - عباده أن يسألوه، وأن يدعوه، وأن يستغفروه وفي هذا غاية الكرم والجود من الله - سبحانه وتعالى - أنه هو الذي يشوق عباده إلى سؤاله، ودعائه، ومغفرته كقوله: ﴿**يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم**﴾[1]. أنظر إلى هذا الخطاب الرفيق الشيق

(١) سورة الصف، الآية «١٠».

ففيه التشويق والرفق ﴿**هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم**﴾[1] ولم يقل «يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله» ما قال هكذا وإن كان قالها في آيات أخرى لكن في هذه الآية ما قال هكذا لأن المقام يقتضي ذلك فالسورة كلها سورة جهاد من أولها إلى آخرها ﴿**فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين**﴾[2]. المهم أن في هذا الحديث وأمثاله من كرم الله ـ عز وجل ـ ما هو ظاهر لمن تأمله، وأهم شيء فيما تكلمنا عليه مسألة الصفات فأنا أكرر أن تلتزموا فيها ما التزمه السلف، وأن لا تحيدوا يمينًا ولا شمالاً، ولا تسألوا عما لم يسأله السلف، فإن هذا من التنطع والتكلف والابتداع في دين الله، وإني أقول لكم إن الإنسان كلما تعمق في هذه الأمور فأخشى أن ينقص في قلبه من إجلال الله وعظمته بقدر ما حصل من هذا التعمق في البحث في هذه الأمور واسأل العامي، العامي إذا ذكرت الله عنده اقشعر جلده وإذا ذكرت نزوله إلى السماء الدنيا اقشعر جلده لكن أولئك الذين يتعمقون في الصفات ويحاولون أن يسألوا حتى عن الأظافر ـ نسأل الله لنا ولهم الهداية ـ هؤلاء إذا ذكر عندهم حديث النزول بدأوا يوردون على أنفسهم أو على غيرهم كيف تكون الحال وثلث الليل يتنقل على الكرة الأرضية؟ وكيف تكون الحال حين نزوله بالنسبة للعلو وبالنسبة للعرش؟ ونحو ذلك من الأسئلة التي تشطح بهم عن تعظيم الله ـ عز وجل ـ. وهؤلاء بلا شك سينقص من إجلال الله ـ عز وجل ـ في قلوبهم بقدر ما حاولوا من التعمق في هذه الأمور، وليس إجلالنا لله ـ عز وجل ـ كإجلال الصحابة ولا قريبًا منه، وليس حرصنا على العلم بصفات الله كحرص

(١) سورة الصف، الآية «١٠».

(٢) سورة الصف، الآية «١٤».

الصحابة وهم ما سألوا هذه الأسئلة ولذلك وأنا أنصحكم لله وأرجو منكم ألا تتعمقوا في هذه الأمور فتسألوا عن أشياء لم يسأل عنها الصحابة. خذوا ما جاء في كتاب الله وسنة رسوله، صلى الله عليه وسلم، واتركوا ما عدا ذلك لئلا يوقعكم الشيطان في أمر تعجزون عن التخلص منه قد يوقعكم في التمثيل ويلزمكم إلزامًا بأن تعتقدوا ذلك؛ لأن الإنسان الذي يتعمق إلى هذا الحد يُخشى عليه، خذوا ما جاء في الكتاب وصحيح السنة واحمدوا الله على العافية واسلكوا سبيل السابقين والله أعلم.

١٠١ سئل الشيخ: كيف نجمع بين حديث أبي هريرة في النزول، وبين الواقع إذا الليل عندنا مثلاً نهار في أمريكا؟

فأجاب بقوله: سؤالكم عن الحديث الصحيح الذي رواه الشيخان وغيرهما من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - أن النبي، صلى الله عليه وسلم، قال: «**ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر يقول من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له**»، هذا لفظ البخاري في باب الدعاء والصلاة من آخر الليل. فتسألون كيف يمكن الجمع بين هذا الحديث، وبين الواقع إذ الليل عندنا مثلاً نهار في أمريكا.

فجوابه: أنه لا إشكال في ذلك - بحمد الله تعالى - حتى يطلب الجمع، فإن هذا الحديث من صفات الله - تعالى - الفعلية، والواجب علينا نحو صفات الله - تعالى - سواء أكانت ذاتية كالوجه واليدين، أم معنوية كالحياة والعلم، أم فعلية كالاستواء على العرش والنزول إلى السماء الدنيا فالواجب علينا نحوها ما يلي:

١ ـ الإيمان بها على ما جاءت به النصوص من المعاني والحقائق اللائقة بالله ـ تعالى ـ.

٢ ـ الكف عن محاولة تكييفها تصورًا في الذهن، أو تعبيرًا في النطق، لأن ذلك من القول على الله ـ تعالى ـ بلا علم. وقد حرمه الله ـ تعالى ـ في قوله: ﴿**قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغي بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانًا وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون**﴾[1]. وفي قوله ـ تعالى ـ: ﴿**ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولاً**﴾[2]. ولأن الله ـ تعالى ـ أعظم وأجل من أن يدرك المخلوق كنه صفاته وكيفيها، ولأن الشيء لا يمكن إدراكه إلا بمشاهدته، أو مشاهدة نظيره، أو الخبر الصادق عنه، وكل ذلك منتف بالنسبة لكيفية صفات الله ـ تعالى ـ.

٣ ـ الكف عن تمثيلها بصفات المخلوقين سواء كان ذلك تصورًا في الذهن، أم تعبيرًا في النطق لقوله ـ تعالى ـ: ﴿**ليس كمثله شيء وهو السميع البصير**﴾[3].

فإذا علمت هذا الواجب نحو صفات الله ـ تعالى ـ، لم يبق إشكال في حديث النزول ولا غيره من صفات الله ـ تعالى ـ. وذلك أن النبي، صلى الله عليه وسلم، أخبر أمته أن الله ـ تعالى ـ ينزل إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر مخاطبًا بذلك جميع أمته في مشارق الأرض ومغاربها، وخبره هذا من علم الغيب الذي أظهره الله ـ تعالى ـ عليه، والذي أظهره

---

(١) سورة الأعراف، الآية «٣٣».

(٢) سورة الإسراء، الآية «٣٦».

(٣) سورة الشورى، الآية «١١».

عليه وهو الله ـ تعالى ـ عالم بتغير الزمن على الأرض وأن ثلث الليل عند قوم يكون نصف النهار عند آخرين مثلاً .

وإذا كان النبي ، صلى الله عليه وسلم ، يخاطب الأمة جميعًا بهذا الحديث الذي خصص فيه نزول الله ـ تبارك وتعالى ـ، بثلث الليل الآخر فإنه يكون عامًّا لجميع الأمة ، فمن كانوا في الثلث الآخر من الليل تحقق عندهم النزول الإلـٰهي ، وقلنا لهم هذا وقت نزول الله ـ تعالى ـ بالنسبة إليكم ، ومن لم يكونوا في هذا الوقت فليس ثم نزول الله ـ تعالى ـ بالنسبة إليهم ، والنبي ، صلى الله عليه وسلم ، حدد نزول الله ـ تعالى ـ إلى السماء الدنيا بوقتٍ خاص ، فمتى كان ذلك الوقت كان النزول ، ومتى انتهى انتهى النزول ، وليس في ذلك أي إشكال . وهذا وإن كان الذهن قد لا يتصوره بالنسبة إلى نزول المخلوق لكن نزول الله ـ تعالى ـ ليس كنزول خلقه حتى يُقاس به ويُجعل ما كان مستحيلاً بالنسبة إلى المخلوق مستحيلاً بالنسبة إلى الخالق ، فمثلاً : إذا طلع الفجر بالنسبة إلينا وابتدأ ثلث الليل بالنسبة إلى من كانوا غربًا قلنا إن وقت النزول الإلهي بالنسبة إلينا قد انتهى . وبالنسبة إلى أولئك قد ابتدأ ، وهذا في غاية الإمكان بالنسبة إلى صفات الله ـ تعالى ـ ، فإن الله ـ تعالى ـ : ﴿**ليس كمثله شيء وهو السميع البصير**﴾ .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ في شرح حديث النزول : «فالنزول الإلهي لكل قوم مقدار ثلث ليلهم ، فيختلف مقداره بمقادير الليل في الشمال والجنوب ، كما اختلف في المشرق والمغرب ، وأيضًا فإنه إذا كان ثلث الليل عند قوم فبعده بلحظة ثلث الليل عند ما يقاربهم من البلاد ، فيحصل النزول الإلهي الذي أخبر به الصادق المصدوق أيضًا عند

أولئك، إذا بقي ثلث ليلهم وهكذا إلى آخر العمارة» ا. هـ كلامه ـ رحمه الله ـ.

١٠٢ سئل الشيخ ـ أعلى الله درجته في المهديين ـ: من المعلوم أن الليل يدور على الكرة الأرضية والله ـ عز وجل ـ ينزل إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فمقتضى ذلك أن يكون كل الليل في السماء الدنيا فما الجواب عن ذلك؟

فأجاب بقوله: الواجب علينا أن نؤمن بما وصف الله وسمى به نفسه في كتابه وعلى لسان رسوله، صلى الله عليه وسلم، من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل، فالتحريف في النصوص، والتعطيل في المعتقد، والتكييف في الصفة، والتمثيل في الصفة أيضًا إلا أنه أخص من التكييف لأنه تكييف مقيد بمماثلة، فيجب أن تبرأ عقيدتنا من هذه المحاذير الأربعة. ويجب على الإنسان أن يمنع نفسه عن السؤال بـ «لم»؟ وكيف؟ فيما يتعلق بأسماء الله وصفاته، وكذا يمنع نفسه عن التفكير في الكيفية، وهذا الطريق إذا سلكه الإنسان استراح كثيرًا، وهذه حال السلف ـ رحمهم الله ـ ولهذا جاء رجل إلى مالك بن أنس ـ رحمه الله ـ قال: يا أبا عبدالله «الرحمن على العرش استوى» كيف استوى؟

فأطرق برأسه وعَلَتْه الرحضاء وقال: «الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وما أراك إلا مبتدعًا».

وهذا الذي يقول إن الله ينزل إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر كل ليلة فيلزم من هذا أن يكون كل الليل في السماء الدنيا؛ لأن

الليل يدور على جميع الأرض، فالثلث ينتقل من هذا المكان إلى المكان الآخر.

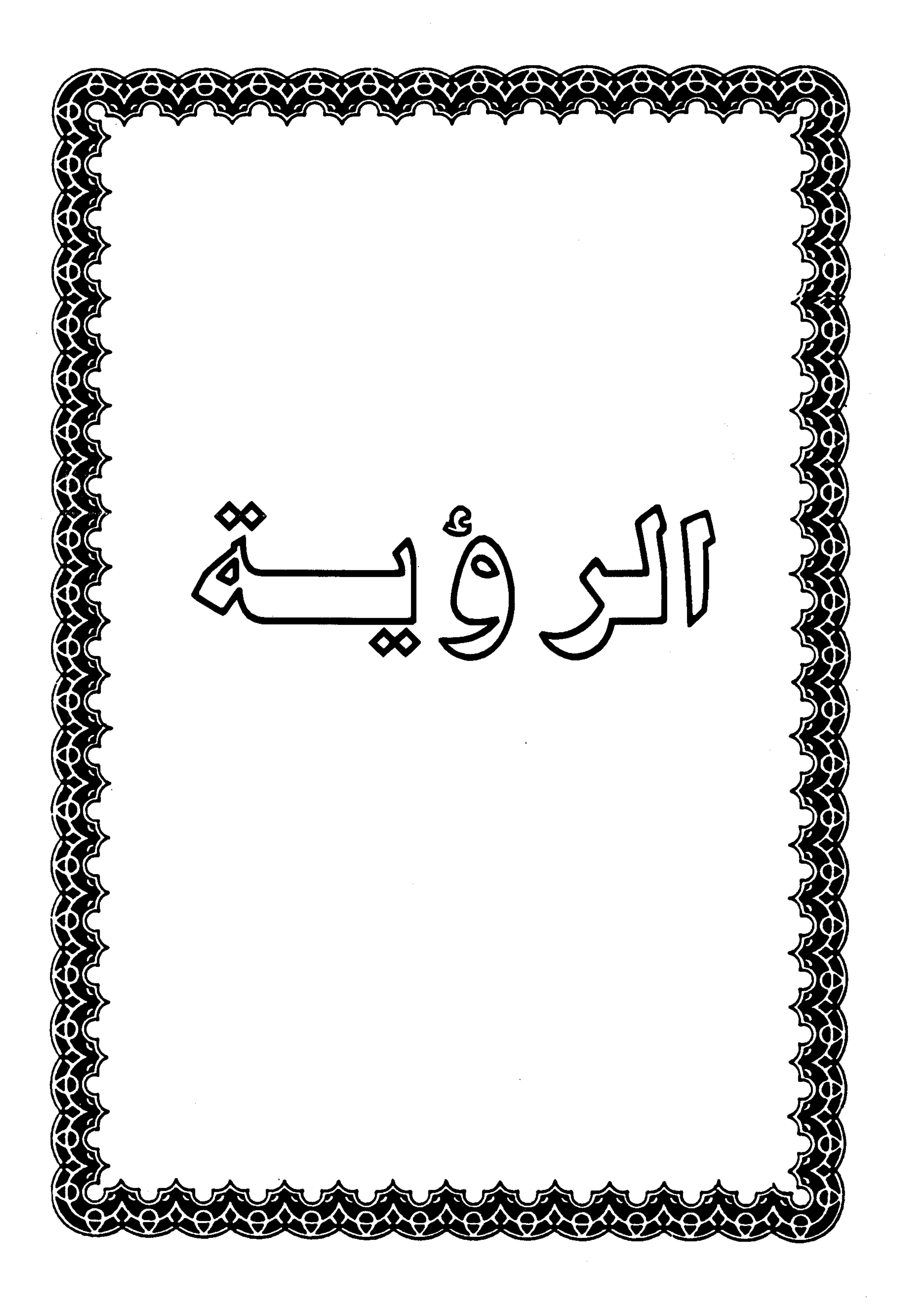
جوابنا عليه أن نقول: هذا سؤال لم يسأله الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ ولو كان هذا يرد على قلب المؤمن المستسلم لبينه الله ورسوله، صلى الله عليه وسلم، ونقول ما دام ثلث الليل الأخير في هذه الجهة باقيًا فالنزول فيها محقق، ومتى انتهى الليل انتفى النزول ونحن لا ندرك كيفية نزول الله ولا نحيط به علمًا ونعلم أنه ـ سبحانه ـ ليس كمثله شيء، وعلينا أن نستسلم وأن نقول سمعنا، وآمنا، واتبعنا، وأطعنا هذه وظيفتنا.

١٠٣ سئل الشيخ: عما جاء في صحيفة . . . من قول الكاتب: «إن نزول الله ـ تعالى ـ يكون في وقت لا يدريه إلا هو»؟

فأجاب بقوله: لقد وددت أن الكاتب لم يستعجل بكتابة مثل هذا الجواب، لأن المقام خطير حيث يتعلق بصفة من صفات الله ـ تعالى ـ، وهذه الجملة التي وقع عنها السؤال لعلها سهو أو سبقة قلم، فإن نزول الله ـ تعالى ـ في وقت معلوم، حدده وعينه رسول الله، صلى الله عليه وسلم، بثلث الليل، وهو واضح لا إشكال فيه، ولا يقع فيه إشكال إلا على من تصور أن نزول الله ـ تعالى ـ كنزول المخلوقين، أما من قدر الله ـ تعالى ـ حق قدره، وعلم أن النبي، صلى الله عليه وسلم، لا ينطق بمثل هذه الأمور الغيبية إلا بما أظهره الله عليه، وأنه صادق فيما أخبر به من ذلك، فإنه لن يشكل عليه هذا الحديث، فإنه يقول: نزول الله ـ تعالى ـ ليس كنزول غيره، فإنه يكون نازلاً إلى السماء الدنيا في ثلث الليل الآخر بالنسبة

لمن كانـوا في ذلـك الـوقت، وليس نازلاً بالنسبة لمن لم يكونوا فيه، هذا مقتضى الحديث، وليس فيه إشكال.

لذا أرجو أن يكون فيما كتبت كفاية، وأن يعيد الكاتب كتابة الجواب حسبما يتبين له من هذه الكتابة التي هي مقتضى الحديث وعين دلالته، لا أقول لمن تأمله لأنه بمنتهى الوضوح بدون تأمل والله الموفق.



الرؤيــة



[١٠٤] وسئل ـ حفظه الله تعالى ـ: عن مذهب السلف في رؤية الله ـ عز وجل ـ؟ وعمن يزعم «أن الله لا يُرى بالعين وأن الرؤية عبارة عن كمال اليقين»؟

فأجاب قائلاً: يقول الله ـ عز وجل ـ في القرآن الكريم حين ذكر القيامة: **﴿وجوه يومئذٍ ناضرة إلى ربها ناظرة﴾**[١]. فأضاف النظر إلى الوجوه والذي يمكن به النظر في الوجوه العين، ففي الآية دليل على أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ يُرى بالعين، ولكن رؤيتنا لله ـ عز وجل ـ لا تقتضي الإحاطة به لأن الله ـ تعالى ـ يقول: **﴿ولا يُحيطون به علمًا﴾**[٢]. فإذا كنا لا يمكن أن نحيط بالله علمًا ـ والإحاطة العلمية أوسع وأشمل من الإحاطة البصرية ـ دل ذلك على أنه لا يمكن أن نحيط به إحاطة بصرية ويدل لذلك قوله ـ تعالى ـ: **﴿لا تُدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار﴾**[٣]. فالأبصار وإن رأته لا يمكن أن تدركه، فالله ـ عز وجل ـ يرى بالعين رؤية حقيقية، ولكنه لا يدرك بهذه الرؤية؛ لأنه ـ عز وجل ـ أعظم من أن يحاط به، وهذا هو الذي ذهب إليه السلف ويرون أن أكمل نعيم ينعم به الإنسان أن ينظر إلى وجه الله ـ عز وجل ـ ولهذا كان من دعاء النبي، صلى الله عليه وسلم: «**أسألك لذة النظر إلى وجهك**». قال: «**لذة النظر**»، لأن لهذا النظر لذة عظيمة لا يدركها إلا من أدركها بنعمة من الله وفضل منه،

(١) سورة القيامة، الآيتان «٢٢ ـ ٢٣».
(٢) سورة طه، الآية «١١٠».
(٣) سورة الأنعام، الآية «١٠٣».

وأرجو الله ـ تعالى ـ أن يجعلني وإياكم منهم. هذه هي حقيقة الرؤية التي أجمع عليها السلف.

أما من زعم أن الله لا يُرى بالعين وأن الرؤية عبارة عن كمال اليقين فإن قوله هذا باطل مخالف للأدلة ويكذبه الواقع، لأن كمال اليقين موجود في الدنيا أيضًا قال النبي، صلى الله عليه وسلم، في تفسير الإحسان: «**الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك**». وعبادتك لله كأنك تراه هذا هو كمال اليقين، فدعوى أن النصوص الواردة في الرؤية تعني كمال اليقين؛ لأن المتيقن يقينًا كاملاً كالذي يشاهد بالعين دعوى باطلة وتحريف للنصوص، وليس بتأويل بل هو تحريف باطل يجب رده على من قال به، والله المستعان.

١٠٥ وسئل الشيخ: هل ثبت أن النبي، صلى الله عليه وسلم رأى الله ـ عز وجل ـ في اليقظة وفي المنام؟

فأجاب بقوله: رؤية الله ـ عز وجل ـ في اليقظة لم تثبت، حتى ما روي عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أن النبي، صلى الله عليه وسلم، رأى ربه بعينه. ولا يمكن لأحد أن يرى الله ـ تعالى ـ في الدنيا بعينه يقظة لأن موسى لما قال: ﴿**رب أرني أنظر إليك**﴾[1] قال الله له: ﴿**لن تراني ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني فلما تجلى ربه للجبل جعله دكًّا وخرَّ موسى صعقًا فلما أفاق قال سبحانك تبت إليك وأنا أوَّل المؤمنين**﴾[2].

---

(١) سورة الأعراف، الآية «١٤٣».

(٢) سورة الأعراف، الآية «١٤٣».

أما في المنام فقد ورد حديث في السنن صححه كثير من الحفاظ أن النبي، صلى الله عليه وسلم، رأى ربه في المنام، وقد شرح ابن رجب هذا الحديث في رسالة مختصرة، فأحيل السائل عليها.

١٠٦ سئل فضيلة الشيخ: عما جاء في شرح لمعة الاعتقاد من قول فضيلته: «رؤية الله في الدنيا مستحيلة». وقد ذكر الشنقيطي ـ رحمه الله ـ أن رؤية الله ـ عز وجل ـ بالأبصار جائزة عقلًا في الدنيا والآخرة، وأما شرعًا فهي جائزة وواقعة في الآخرة، وأما في الدنيا فممنوعة شرعًا. وما نقله النووي عن بعض أهل العلم من أن رؤية الله تعالى في الدنيا جائزة، فنرجو من فضيلتكم توضيح ذلك؟

فأجاب بقوله: ما ذكرته في شرح لمعة الاعتقاد لا ينافي ما ذكره الشيخ الشنقيطي وغيره من أن رؤية الله ـ تعالى ـ في الدنيا ممكنة، فإن قولي: «إنه مستحيل» أي بحسب خبر الله ـ عز وجل ـ بأنه لن يراه، إذ لا يمكن أن يتخلف مدلول خبره ـ تعالى ـ، وقد جاءت بمثل ذلك السنة، حيث قال النبي، صلى الله عليه وسلم، وهو يتحدث عن الدجال. «**واعلموا أنكم لن تروا ربكم حتى تموتوا**». أخرجه مسلم.

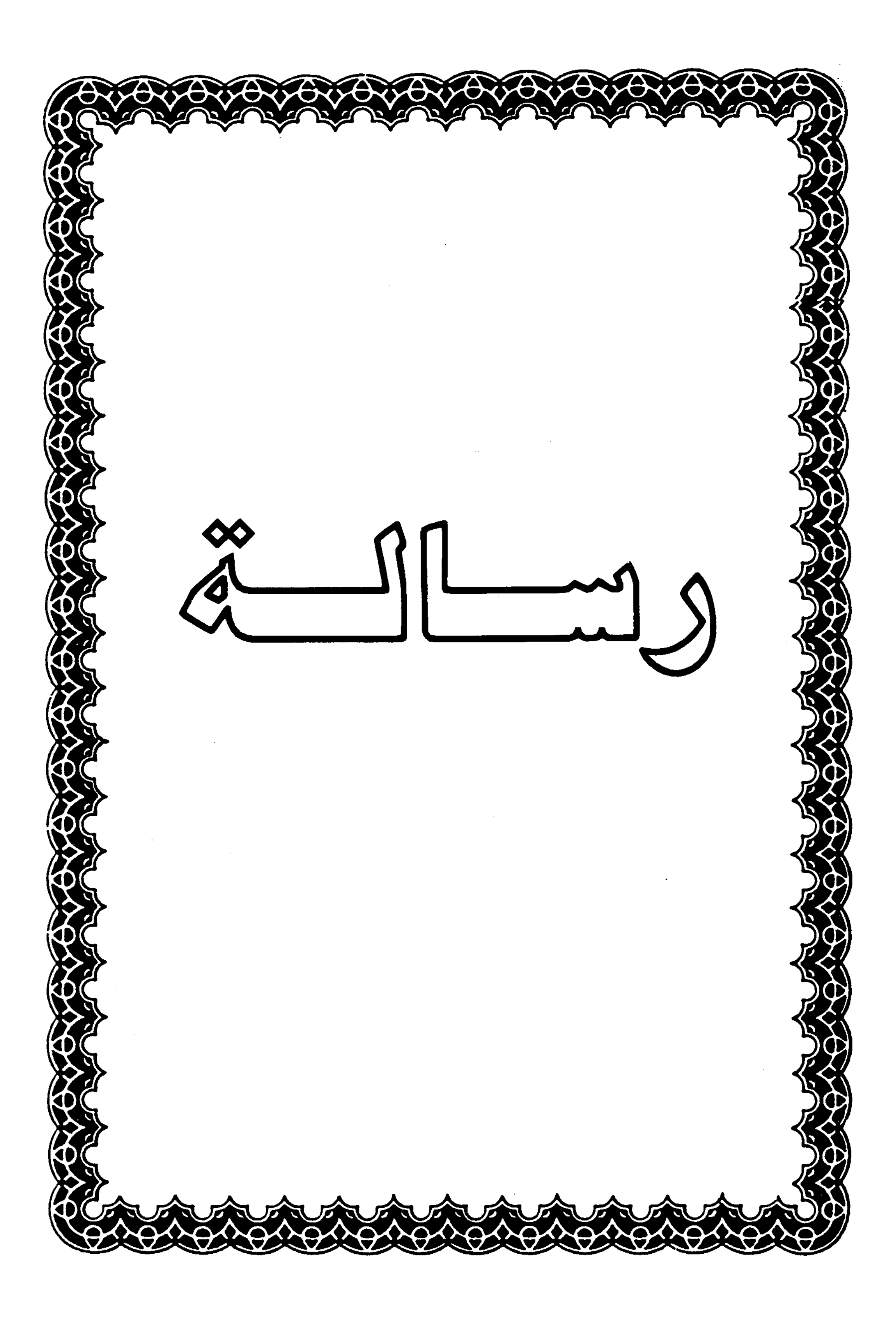
ثم اعلم أن المستحيل في حق الله ـ تعالى ـ نوعان:

أحدهما: مستحيل لكونه لا يليق بجلاله كالجهل والعجز ونحوهما، فهذا لا يمكن لمن عرف الله ـ تعالى ـ وقدره حق قدره أن يخطر بباله جوازه أو ينطق لسانه بسؤاله.

الثاني: مستحيل بالنسبة لغيره لكمال صفات الله ـ تعالى ـ، كرؤية

الإنسان ربه في الدنيا، فإن هذا مستحيل لكون البشر لا يطيق أن يرى الله - تعالى - في الدنيا لنقص حياة البشر حينئذ. ولذلك تكون الرؤية ممكنة يوم القيامة لأن حياة البشر حينذاك أكمل.

وعلى كل حال فقد دلت النصوص وإجماع السلف على أن الله - تعالى - لم يره أحد في الدنيا يقظة، وإن كان قد روي عن ابن عباس - رضي الله عنهما - ما ظاهره أن نبينا محمدًا، صلى الله عليه وسلم، رأى الله - تعالى -، فالله أعلم.



رســالــة



من محمد الصالح العثيمين إلى أخيه المكرم الشيخ : . . . . . - حفظه الله تعالى - وهدانا وإياه صراطه المستقيم، وجعلنا جميعاً هداة مهتدين وصالحين مصلحين.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وبعد: فبناء على ما أوجب الله علينا من النصيحة لله - تعالى -، ولكتابه ولرسوله، ولأئمة المسلمين، وعامتهم، وعلى ماتقتضيه الأخوة الإيمانية من المودة والمحبة في الله ولله، فإني أبين لكم ما لاحظته في مقالات نشرت لفضيلتكم في مجلة . . . . . في العدد . . . . . تحت عنوان (حوار مفتوح) وفي الأعداد . . . . .، . . . . .، . . . . .، . . . . .، تحت عنوان (عقيدة أهل السنة في ميزان الشرع).

وذلك في النقاط التالية:

أولاً: ذكرتم أن الأشعرية والماتريدية من أهل السنة والجماعة في باب أسماء الله وصفاته، وذلك بناء على تقسيمكم مذهب أهل السنة والجماعة إلى مذهبين:

أحدهما: مذهب السلف الذي ذكرتم أنه اشتهر بمذهب أهل التفويض.

والثاني: مذهب الخلف الذي اشتهر بمذهب أهل التأويل.

والحق أن هذا التقسيم غير صحيح وذلك.

١ - لأنه لا يمكن عقلاً: ولا شرعًا أن نجمع في وصف واحد بين طائفتين مختلفتين في طريقتها، فهل يمكن أن نقول: إن طريقة من قال

إن الله استوى على عرشه حقيقة، وينزل إلى السماء الدنيا حقيقة، ويجيء للفصل بين عباده حقيقة، ويحب المقسطين حقيقة، ويرضى حقيقة، ويكره حقيقة، ويغضب حقيقة، وكل ذلك وجميع ما وصف الله به نفسه حق على حقيقته بدون تمثيل، ولا تكييف، هل يمكن أن نقول إن طريقة هؤلاء هي طريقة من نفى حقيقة هذه الأمور وسلك فيها طريق التأويل، الذي سماه شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى ـ تحريفا كما في عقيدته الواسطية ومناظرته عليها.

إننا إن قلنا إن طريقة أولئك هي طريقة هؤلاء فقد جمعنا بين النقيضين الإثبات والنفي، وامتناع الجمع بين النقيضين أمر معلوم عند جميع العقلاء من بني آدم.

إذا تبين ذلك تعين أن نقول إن احدى الطائفتين فقط هم أهل السنة والجماعة، فإما أن تكون طائفة السلف أهل التحقيق، وإما أن تكون طائفة الخلف أهل التأويل، ولا يمكن أحدا أن يقول إن أهل السنة والجماعة طائفة الخلف دون طائفة السلف، لأن طائفة السلف تعني المهاجرين والأنصار، والذين اتبعوهم بإحسان من سلف الأمة، وأئمتها، ومنهم أبوالحسن الأشعري ـ رحمه الله ـ في مذهبه الذي استقر عليه أخيراً في كتابه (الإبانة) وبيّن أنه قائل بما قال به الإمام أحمد ـ رحمه الله تعالى ـ والإمام أحمد ـ رحمه الله ـ كما تعلمون مشهور بلقب إمام أهل السنة ومذهبه في الصفات الإثبات دون التأويل ولو كان من مذهب أهل السنة التأويل ماصح أن يطلق إمام أهل السنة على من لا يراه، إذن فأهل السنة والجماعة طائفة واحدة فقط، وهم الذين اجتمعوا على التمسك بسنة النبي، صلى الله عليه وسلم، وحققوا ذلك عقيدة، وقولا، وعملا فمنهاجهم الباطن

والظاهر ماكان عليه النبي، صلى الله عليه وسلم، ولهذا سموا أهل السنة لتمسكهم بها، وسموا أهل الجماعة لاجتماعهم على ذلك.

٢ - أن فضيلتكم صرح في ص.... عدد..... بأن الأشعرية والماتريدية مخطئون، وإذا كانوا على السنة والجماعة فهل يصح أن نقول إنهم مخطئون؟ هل يمكن أن تكون السنة خطأ؟ هل يمكن أن يكون الاجتماع على السنة خطأ؟. في ظني أن الجواب من فضيلتكم على هذا بالنفي الصريح البات.

وإن كنتم - سامحكم الله - قد قلتم في ص... عدد.... بالحرف الواحد: «مذهب الاشاعرة على الوجه الصحيح» وهذا مناقض لكلامكم الأخير.

٣ - إن شيخ الإسلام وغيره من المتكلمين في الأسماء والصفات أنكروا على الأشاعرة ومن حذا حذوهم ممن يثبتون بعض الصفات وينكرون بعضها بتأويل، وبينوا تناقضهم، وأن طريقتهم مخالفة لطريقة أهل السنة والجماعة، وأنهم يلزمهم فيما أثبتوه نظير مايلزمهم فيما نفوه، وأن مانفوه يمكن إثباته بمثل ما أثبتوا به ما أثبتوه بل بماهو أبين وأظهر (راجع العقيدة الواسطية، ورسالة التدمرية) لشيخ الإسلام ابن تيمية.

إذن فمن نفى شيئًا من صفات الله - تعالى - بتكذيب، أو تأويل فليس من أهل السنة والجماعة من أي طائفة كان وإلى أي شخص ينتسب، ولكننا لا ننكر أن يكون لبعض هؤلاء قدم صدق في الإسلام، والذب عنه، والعناية بسنة النبي، صلى الله عليه وسلم، رواية ودراية، والحرص على نفع المسلمين وهدايتهم، وهم على ذلك مشكورون، وبما وعد الله عليه من الثواب مجزيون ولهم منا على ذلك المودة، والمحبة، والدعاء بالمغفرة

والرحمة. ولكن يجب أن نزن لهم بالقسطاس المستقيم فننزلهم منزلتهم، ونعطيهم مالهم، ولا نضيف لهم ماليس فيهم.

ثانيا: ذكر فضيلتكم ص.... عدد... أن الخلاف بين أهل السنة ـ السلف والخلف على ماذكرتم ـ خلاف بين الفاضل والأفضل، وهذا يقتضي أن يكون المرء مخيراً بين إجراء نصوص الصفات على ظاهرها اللائق بالله ـ عزّ وجلّ ـ وهو مادرج عليه السلف الصالح، وبين صرفها عن ظاهرها إلى معان تخالف الظاهر، وتستلزم تعطيل حقائقها، وغاية مافي ذلك أن يكون ترك الأفضل إلى الفاضل، فمثله كمثل من زاد في الطمأنينة والخشوع والذكر في الصلاة على الوجه الموافق للأكمل ومن اقتصر في صلاته على الواجب.

وهذا الذي ذكرتم غير صحيح، فما زال أئمة أهل السنة ينكرون على من أول نصوص الصفات أو بعضها، ولولا أن كتابي هذا إلى رجل يعلم ذلك، أو يمكنه أن يعلمه بالرجوع إلى كتبهم لنقلت من كتبهم ماتيسر في هذا الباب.

ولا ريب أن تأويل نصوص الصفات عن ظاهرها تحريف محرم وذلك من وجوه:

١ ـ أنه جناية على النصوص حيث صرفها عن ظاهرها، والله ـ سبحانه وتعالى ـ خاطب الناس بلسان عربي مبين، والنبي، صلى الله عليه وسلم، خاطبهم بأفصح لسان البشر، فوجب حمل كلاميهما على ظاهرهما المفهوم بمقتضى اللسان العربي، غير أنه يجب أن يصان عن التكييف، والتمثيل في صفات الله.

٢ ـ أن صرف كلام الله عن ظاهره إلى معنى يخالفه قول على الله

بغير علم وقد قال الله ـ تعالى ـ: ﴿**قل إنما حرم ربي الفواحش ماظهر منها ومابطن والإثم والبغي بغير الحق وأن تشركوا بالله مالم ينزل به سلطان وأن تقولوا على الله ما لاتعلمون**﴾.[1]. وقال ـ تعالى ـ: ﴿**ولا تقف ماليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا**﴾[2].

فالصارف لكلام الله عن ظاهره قال على الله بلا علم من وجهين:

الأول: أنه زعم أن الله لم يرد بكلامه كذا.

الثاني: أنه قال إنه أراد به كذا لمعنى آخر لم يدل عليه ظاهر الكلام.

مثال ذلك قوله ـ تعالى ـ ﴿**ما منعك أن تسجد لما خلقت بيديّ**﴾[3]. فإذا صرف الكلام عن ظاهره قال لم يرد باليدين اليدين الحقيقيتين وإنما أراد القدرة قلنا مادليلك على مانفيت؟ ومادليلك على ما أثبت؟ فإن أتى بدليل ـ وأنى له ـ وإلا كان قائلاً على الله بلا علم في نفيه وإثباته.

٣ ـ أن صرف نصوص الصفات عن ظاهرها مخالف لما كان عليه النبي، صلى الله عليه وسلم، وأصحابه، وسلف الأمة، وأئمتها.

٤ ـ أنه يلزم على طريقتهم لوازم باطلة وبطلان اللازم يدل على بطلان الملزوم فمن ذلك:

ا ـ أنهم لم يصرفوا هذه النصوص إلا حين اعتقدوا أن ظاهرها مستلزم لتشبيه الله ـ تعالى ـ بخلقه وتشبيه الله ـ تعالى ـ بخلقه كفر، كما قال نعيم بن حماد الخزاعي «من شبه الله بخلقه فقد كفر» ومن المعلوم أن

---

(١) سورة الأعراف، الآية «٣٣».

(٢) سورة الإسراء، الآية «٣٦».

(٣) سورة ص، الآية «٧٥».

من أبطل الباطل أن يجعل ظاهر كلام الله ـ تعالى ـ وكلام رسوله، صلى الله عليه وسلم، كفرا وتشبيها، وهم قد جعلوه مستلزما، أو موهما لذلك ـ جل ربي، وكلامه عن هذا اللازم، والإيهام ـ.

ب ـ أن الله ـ تعالى ـ لم يبين الحق الذي يجب على العباد اعتقاده في باب أسماء الله ـ تعالى ـ وصفاته، وإنما جعل ذلك موكولا إلى عقولهم يثبتون ماشاءوا، وينكرون ما شاءوا ويؤولون النصوص المثبتة لما أنكروه، وهذا من أبطل الباطل، فكيف يدع الله ـ تعالى ـ بيان هذا الباب الذي هو من أوجب الواجبات ويكل أمره إلى عقول متناقضة يمنع بعضها مايوجبه الآخر، أو يجوزه على الله ـ عزّ وجلّ ـ.

جـ ـ أن النبي، صلى الله عليه وسلم، وخلفاءه الراشدين، وسلف الأمة، وأئمتها كانوا قاصرين أو مقصرين في معرفة مايجب لله ـ تعالى ـ من الصفات ومايمتنع عليه، إذ لم يرد عنهم حرف واحد في التأويل الذي سلكه أولئك المؤولون وحينئذ إما أن يكون النبي، صلى الله عليه وسلم، وخلفاؤه الراشدون، وسلف الأمة، وأئمتها جاهلين بذلك قاصرين عن معرفته، وإما أن يكونوا عالمين به، لكن كتموه وقصروا في بيانه للناس، وكلا الأمرين باطل.

فإذا تبين ذلك علم أن الخلاف بين السلف والخلف في صفات الله تعالى ليس خلافا بين الأفضل والفاضل، ولكنه خلاف بين الواجب والمحرم والحق والباطل، وأن طريق الخلف في ذلك محرم باطل.

واعلم يافضيلة الشيخ أن القول إذا كان باطلاً محرمًا فلا يلزم أن يكون قائله آثمًا إذا كان لم يقصر في طلب الحق واتباعه، ولكن اجتهد فأخطأ، ولكن عدم إثمه عند الله ـ تعالى ـ لا يُلزمنا أن نصوب قوله، أو

نقول إنه من السنة، فالتفريق بين القول والقائل، والفعل والفاعل أمر ينبغي التفطن له، والواجب علينا أن ننكر ماخالف الحق مهما كان القائل به، ومهما كان عدد القائلين، ونعتذر عن قائله إذا علمنا منه صدق النية في طلب الحق واتباع ما تبين له منه.

ثالثا: ذكر فضيلتكم ص..... عدد..... أننا إذا أخرجنا الأشاعرة والماتريدية من صف المسلمين، وجعلناهم في عداد الضالين وأسقطناهم من أهل السنة والجماعة فمعنى ذلك أن نحكم بالكفر والضلالة على مايزيد على نسبة ٩٥ في المئة من المسلمين.

وأظن أن فضيلتكم يعلم أنه لا يخرج الأشاعرة والماتريدية من صف المسلمين إلا جاهل بحالهم، أو جاهل بأسباب الكفر والخروج عن الإسلام أما أهل العلم بذلك فلم يخرجوهم من الإسلام، بل ولا من أهل السنة والجماعة في غير ماخالفوا به أهل السنة والجماعة. والإنسان قد يكون فيه شعبة من المخالفة للحق، وشعبة من الموافقة له، ولا يخرجه ذلك عن أهل الحق إخراجا مطلقا بل يعطى مايستحقه ويوصف بما هو أهله من هذا وهذا حتى يكون الوزن بالقسطاس المستقيم.

وأما أن يكون الأشاعرة والماتريدية في المسلمين بهذه النسبة ٩٥٪ فهذا أمر ينظر فيه، وحتى لو صحت هذه النسبة فإنها لا تقتضي عصمتهم من الخطأ، لأن العصمة في إجماع المسلمين، وإجماع المسلمين ثابت على خلاف ماكانت عليه هذه النسبة، فإن السلف الصالح من صدر هذه الأمة مجمعون على إثبات ماوصف الله به نفسه، ووصفه به رسوله، وعلى إجراء النصوص في ذلك على ظاهرها اللائق بالله ـ تعالى ـ من غير تأويل، وهم أحق بالاتباع وقد نقل شيخ الإسلام ابن تيمية في الفتوى الحموية ص٨٧

من المجلد الخامس من مجموع ابن القاسم للفتاوى عن ابن عبدالبر قوله: «أهل السنة مجمعون على الإقرار بالصفات الواردة كلها في الكتاب والسنة، والإيمان بها وحملها على الحقيقة لا على المجاز، إلا أنهم لا يكيفون شيئا من ذلك، ولا يحدون فيه صفة محصورة» ا. هـ. ونقل أيضا ص٨٩ منه عن القاضي أبي يعلى قوله: «لا يجوز رد هذه الأخبار ولا التشاغل بتأويلها، والواجب حملها على ظاهرها، وأنها صفات الله لا تشبه صفات سائر الموصوفين بها من الخلق، ولا يعتقد التشبيه فيها ولكن على ماروى عن الإمام أحمد وسائر الأئمة» ا. هـ.

وبهذا تبين أن أهل السنة مجمعون على خلاف ماكان عليه أهل التأويل واجماعهم هو الحجة الظاهرة.

رابعا: ذكر فضيلتكم ص. . . عدد. . . كلاما هذا نصه: «أما مايتخيله بعض الجهلة من أدعياء العلم اليوم الذين يصورون الله ـ تعالى ـ بصورة غريبة عجيبة، ويجعلون الله ـ تعالى ـ كأنه جسم مركب من أعضاء وحواس، له وجه، ويدان، وعينان، وله ساق، وأصابع، وهو ينزل، ويمشي، ويهرول ويقولون في تقرير هذه الصفات إن الله يجلس كما يجلس الواحد على السرير وينزل كما ينزل أحدنا على الدرج»، ثم ذكرتم أن السلف الصالح رضوان الله عليهم لم يكن يخطر ببالهم عندما أثبتوا الصفات شيء من هذا أصلاً، بل لم يكن يتلفظ الواحد منهم بمعنى الاستواء حتى لا يتوهم السامع التشبيه ثم نقلتم قول مالك المشهور فيه.

وليت غيرك قال هذا فإنه من الغريب العجيب أن تجعل مانطق به الكتاب، والسنة، وأجمع عليه سلف الأمة تخيلا من بعض الجهلة.

ألم تقرأ قول الله - تعالى -: ﴿ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام﴾[1].

ألم تقرأ قوله تعالى عنه نفسه: ﴿بل يداه مبسوطتان﴾[2]. وقوله: ﴿لما خلقت بيدَيَّ﴾[3].

ألم تقرأ قوله تعالى عن سفينة نوح: ﴿تجرى بأعيننا﴾[4]. وقوله لموسى: ﴿ولتصنع على عيني﴾[5].

ألم يبلغك مارواه أبوسعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي، صلى الله عليه وسلم، قال: «**يكشف ربنا عن ساقه فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة ويبقى من كان يسجد في الدنيا رياء وسمعة فيذهب ليسجد فيعود ظهره طبقا واحدا**» قال ابن كثير في تفسير سورة «ن» وهذا الحديث مخرج في الصحيحين وفي غيرهما من طرق، وله ألفاظ وهو حديث طويل مشهور.

ألم تسمع بما رواه مسلم من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص أنه سمع النبي، صلى الله عليه وسلم، يقول: «**إن قلوب بني آدم كلها بين أصبعين من أصابع الرحمن؟**». وبما رواه هو والبخاري وغيرهما من حديث ابن مسعود رضي الله عنه في قصة الحبر الذي جاء إلى النبي، صلى الله عليه وسلم، فقال: يامحمد إن الله يمسك السموات يوم القيامة على إصبع والأرضين على إصبع وذكر الحديث وفيه فضحك النبي، صلى الله عليه

(١) سورة الرحمن، الآية «٢٧».

(٢) سورة المائدة، الآية «٦٤».

(٣) سورة ص، الآية «٧٥».

(٤) سوة القمر، «١٤».

(٥) سورة طه، الآية «٣٩».

وسلم، تعجبا وتصديقا له ثم قرأ: ﴿**وماقدروا الله حق قدره**﴾[1]. وبما رواه البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي، صلى الله عليه وسلم، قال: «**إن الله ـ تعالى ـ يقبض يوم القيامة الأرضين على إصبع وتكون السموات بيمينه ثم يقول أنا الملك**». قال ابن كثير في تفسيره آخر سورة الزمر: تفرد به ـ يعني البخاري ـ من هذا الوجه ورواه مسلم من وجه آخر.

ألم يثبت عندك مارواه أبوهريرة عن النبي، صلى الله عليه وسلم، أنه قال: «**ينزل ربنا كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر يقول: من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فاعطيه، من يستغفرني فأغفر له؟**». وهذا الحديث رواه البخاري ومسلم وغيرهما حتى قال ابن القيم في الصواعق: «إنه قد تواترت به الأخبار عن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، ورواه عنه نحو ثمان وعشرين نفسا من الصحابة» ا. هـ. مختصر الصواعق ص٣٨٠ ط الإمام. ثم ذكر بعد ذلك أسماء الصحابة الذين رووه وأحاديثهم فراجعه، وراجع شرح الحديث المذكور لشيخه ابن تيمية يتبين لك حقائق وتنحل عنك إشكالات. والله الموفق.

ألم يروى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة، رضي الله عنه، عن النبي، صلى الله عليه وسلم، أنه قال: «**يقول الله ـ عزّ وجلّ ـ أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم، وإن تقرب إليّ شبراً تقربت إليه ذراعًا، وإن تقرب إليّ ذراعًا تقربت إليه باعًا، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة**». وروى مسلم من حديث أبي ذر ـ رضي الله عنه ـ عن النبي، صلى

(١) سورة الزمر، الآية «٦٧».

الله عليه وسلم، مثله فيمن تقرب إلى الله ـ تعالى ـ. فارجع إلى حديث أبي هريرة في البخاري ص٣٨٤ من الفتح ط السلفية وفي مسلم ص ٢٠٦٨ ط الحلبي تحقيق محمد فؤاد وإلى حديث أبي ذر في نفس الصفحة من مسلم.

ألم يقل النبي، صلى الله عليه وسلم: **«إن الله لا يخفى عليكم إن الله ليس بأعور ـ وأشار بيده إلى عينه ـ وإن المسيح أعور عين اليمنى كأن عينه عنبة طافية»**. متفق عليه وهذا لفظ البخاري.

فهـذه الآيات الكريمة والأحاديث النبوية الصحيحة فيها الدلالة الصريحـة على ثبـوت الوجه، واليدين، والعينين، والساق، والأصابع، والنزول والهرولة لله جل وعلا. فهل فوق علم الله علم؟ وهل فوق علم النبي، صلى الله عليه وسلم، بربه علم البشر؟ وهل يمكن أن يقال لما ثبت في كتاب الله تعالى وسنة رسوله، صلى الله عليه وسلم، إنه من تخيل بعض الجهلة أدعياء العلم؟ سبحانك هذا بهتان عظيم.

نعم من اعتقد أن هذه الصفات ثابتة لله ـ تعالى ـ على وجه تماثل به صفات المخلوق، أو أنها موهمة لذلك فإنه من الجهلة أدعياء العلم أما من اعتقد ثبوتها لله ـ تعالى ـ على الوجه اللائق به من غير تكييف، ولا تمثيل فذاك هو العالم بالله، المعظم لكتابه، السالك مسلك الأدب معه، ومع رسوله حيث لم يقدم بين يدي الله ورسوله، ولم يدع في كلامهما ماهو خلاف ظاهره وينف ماهو ظاهره.

وأما قولكم: «إن السلف لم يكن يخطر ببالهم حين أثبتوا الصفات شيء من هذا أصلا، وأن الواحد منهم لم يكن يتلفظ بمعنى الاستواء» الخ.

فإني أظن أنكم لو تأملتم طريقة السلف لعلمتم أنها على خلاف قولكم هذا عنهم، فإن السلف كان يخطر ببالهم أنها ثابتة بدون تكييف، ولا تمثيل. فقد خطر ببالهم الحق والباطل فيما يتعلق بصفات الله ـ تعالى ـ فأثبتوا الحق ونفوا الباطل، ولم يكونوا بحمد الله بلهاء لا يخطر ببالهم شيء أو لا يميزون بين الحق والباطل، وتفسيرهم لآيات الصفات وأحاديثها على الوجه اللائق بالله تعالى أمر معلوم يسير تتبعه على فضيلتكم. ومنه ماجاء في كتاب التمهيد لابن عبدالبر ص١٣١ج٧ حيث قال: «والاستواء معلوم في اللغة ومفهوم وهو العلو والارتفاع على الشيء والاستقرار، والتمكن فيه قال أبوعبيدة في قوله ـ تعالى ـ ﴿**استوى**﴾ قال علا قال: وتقول العرب استويت فوق الدابة واستويت فوق البيت وقال غيره: استوى أي انتهى شبابه واستقر فلم يكن في شبابه مزيد قال أبوعمر: الاستواء الاستقرار في العلو وبهذا خاطبنا الله عزّ وجلّ ثم ذكر آيات الزخرف، وهود، والمؤمنون. وذكر البخاري في صحيحه عن أبي العالية: استوى إلى السماء ارتفع وقال مجاهد: استوى علا على العرش». ا. هـ. ص٤٠٣ فتح ط السلفية وقال البغوي في تفسير قوله ـ تعالى ـ: ﴿**ثم استوى إلى السماء**﴾[1]. قال ابن عباس وأكثر مفسري السلف: أي ارتفع إلى السماء. وقال في تفسير قوله ﴿**ثم استوى على العرش**﴾[2]. قال الكلبي ومقاتل: استقر وقال أبوعبيدة: صعد.

فهذه أيها الشيخ أربعة معان للاستواء عند السلف وإليها أشار ابن القيم في نونيته حيث قال:

---

(١) سورة البقرة، الآية «٢٩».

(٢) سورة الأعراف، الآية «٥٤».

فلهم عبارات عليها أربع قد حُصّلت للفارس الطعَّان
وهي استقر وقد علا وكذا ار تفع الذي مافيه من نكران
وكذاك قد صعد الذي هو رابع وأبوعبيدة صاحب الشيباني
يختار هذا القول في تفسيره أدري من الجهمي بالقرآن

أفبعد إثبات أربعة معان للاستواء عن السلف يصح أن نقول إن الواحد منهم لم يكن يتلفظ بمعنى الاستواء؟!.

وأما جواب مالك لمن سأله عن كيفية الاستواء بقوله: «الاستواء معلوم، والكيف مجهول» فإن مالكا لم يسأل عن معنى الاستواء حتى يقال إنه أحجم عن الإفصاح بمعناه، وإنما سئل عن الكيفية، فأجاب بأنها مجهولة لنا، ولكن لقوة احتراسه خاف أن يتوهم واهم بأن المعنى مجهول أيضًا فقال: الاستواء معلوم ولم يفصح بالمعنى لظهوره ولذلك لم يقع السؤال عنه.

وأما قول فضيلتكم «إن بإمكان مالك أن يقول: الاستواء هو الجلوس» فلا أظن ذلك بإمكانه لأن تفسير الاستواء بالجلوس لم يثبت عن السلف فيما أعلم. والله أعلم.

خامسا: ذكر فضيلتكم في ص... عدد... أن الأشاعرة ذكروا هذا الكلام لأنه ظهر في عصرهم ناس ضلوا بسبب العقيدة فأولوا هذه الصفات دفعا لأولئك منهم على نية حسنة.. فالأشاعرة إنما أرادوا تنزيه الله جل وعلا لئلا يضل بعض الناس بتشبيه الخالق بعباده.

وهذا الذي ذكرتموه قد يكون هو الواقع من بعضهم، وقد يكون الواقع لآخرين أن هذا هو عقيدتهم، وأنهم يعتقدون أن إثبات الحقيقة يستلزم التشبيه.

وعلى كل حال فهذا مسلك فاسد إذ لا يمكن معالجة الداء بداء، ولا تفنيد البدعة ببدعة، وإنها يعالج الداء بالدواء الناجع، وتفند البدعة بالسنة، ولهذا لم يأت الأشاعرة بطائل في الرد على أهل التأويل الكلي في الصفات، فإن من المعروف أن الأشاعرة لا يثبتون من الصفات إلا سبعا وهي: الحياة، والعلم، والقدرة، والإرادة، والسمع، والبصر، والكلام، على خلاف بينهم وبين السلف في كيفية إثبات بعضها، أما ماعدا هذه الصفات فإنهم ينكرون حقيقتها بتأويلها إلى مازعموا أن العقل يجيزه دون الحقيقة. فإن أهل التأويل الكلي استطالوا على الأشاعرة فقالوا إذا كنتم تبيحون لأنفسكم التأويل فيما أولتموه بدون دليل سمعي بل بمقتضى عقولكم فلماذا تنكرون علينا ما أولناه بمقتضى عقولنا مما لا تؤولونه، فإن كانت عقولنا خاطئة فأين الصواب في عقولكم؟ وإن كانت عقولكم صائبة فأين الخطأ في عقولنا؟ وليس لكم علينا حجة في الإنكار سوى مجرد التحكم. وهذا إلا يراد من أهل التأويل الكلي على الأشاعرة وارد لا محيص للأشاعرة عنه إلا بالرجوع لمذهب السلف الذين يطردون هذا الباب، ويثبتون لله تعالى ما أثبته لنفسه من الأسماء والصفات في كتابه، أو على لسان رسوله، صلى الله عليه وسلم، إثباتًا بلا تمثيل، ولا تكييف، وتنزيها بلا تعطيل، ولا تحريف.

ولا يكفي في قبول القول وإقراره حسن قصد قائله بل لابد من موافقته لشريعة الله ـ تعالى ـ، فإن كان مخالف وجب رده وانكاره مهما كان قائله لكن إن كان قائله ممن عرف بحسن القصد والنصيحة لدين الله وعباد الله اعتذر عنه في هذه المخالفة، وإلا أعطى مايستحقه لسوء قصده ومخالفته.

سادسًا: ذكر فضيلتكم ص... ص... أن الأسلم في موضوع الصفات أن نفوض الأمر إلى علام الغيوب الذي لا تخفى عليه خافية وفي ص... عدد... قلتم: وضمن هذه الإطار الذي فيه تنزيه الله - جلّ وعلا - عن مشابهته الخلق، أو مشابهة الخلق له يؤمن السلف الصالح بجميع ماورد من آيات الصفات وأحاديث الصفات، ويفوضون علم ذلك إلى الله - تعالى -:... وقد اشتهر هذا المذهب بأنه مذهب أهل التفويض. وفي ص... عدد... ذكرتم أنه اشتهر لعلماء أهل السنة مذهبان هما:

ا - مذهب أهل التفويض ب - مذهب أهل التأويل، ثم ذكرتم ص... عدد ... أن مذهبهم ليس التفويض المطلق كما قد يتوهم البعض من الناس وإنما هو مسلك آخر، ثم ذكرتم أنه يتلخص في شيئين:

أحدهما: تأويل ما لابد من تأويله من آيات الصفات وأحاديثها.

والثاني: إثبات ما أثبته القرآن أو السنة والإيمان بها على مراد الله بطريق التسليم والتفويض دون تشبيه، أو تعطيل، أو تجسيم، أو تمثيل.. على ضوء هذا يؤمن السلف الصالح في نفي المثلية ونفي التجسيم.

والتفويض الذي ذكرتموه هنا لم تبينوا بيانا ظاهرًا ما المراد به؟ هل هو تفويض المعنى، أو تفويض الكيفية؟ فإن كان الأول فليس هذا مذهب السلف لأنهم يثبتون المعنى على حقيقته ويعرفونه تمام المعرفة لكن على الوجه اللائق بالله - تعالى - من غير تكييف، ولا تمثيل قال شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه المعروف بـ (العقل والنقل) الذي طبع على هامش كتابه (منهاج السنة) في ص١١٦ج١: «وأما التفويض فمن المعلوم أن الله أمرنا أن نتدبر القرآن وحضنا على عقله وفهمه، فكيف يجوز مع ذلك أن يراد منا

الإعراض عن فهمه ومعرفته وعقله». إلى أن قال: «فتعين أن يكون الحق مذهب السلف أهل الحديث والسنة والجماعة» وقال في ص١١٨ بعد كلام سبق: «ومعلوم أن هذا قدح في القرآن وفي الأنبياء، إذ كان الله أنزل القرآن وأخبر أنه جعله هدى وبيانا للناس، وأمر الرسول أن يبلغ البلاغ المبين، وأن يبين للناس مانزل إليهم، وأمر بتدبر القرآن وعقله، ومع هذا فأشرف مافيه وهو ما أخبر به الرب عن صفاته.... لا يعلم معناه فلا يعقل، ولا يتدبر، ولا يكون الرسول بين للناس مانزل إليهم، ولا بلغ البلاغ المبين وعلى هذا التقدير فيقول كل ملحد، وكل مبتدع الحق في نفس الأمر ماعلمته برأيي وعقلي، وليس في النصوص مايناقض ذلك، لأن تلك النصوص مشكلة متشابهة، ولا يعلم أحد معناها، ومالا يعلم أحد معناه لا يجوز أن يستدل به. فيبقى هذا الكلام سدا لباب الهدى والبيان من جهة الأنبياء، وفتحا لباب من يعارضهم، ويقول إن الهدى والبيان في طريقنا، لا في طريق الأنبياء لأنا نحن نعلم مانقول ونبينه بالأدلة العقلية، والأنبياء لم يعلموا مايقولون، فضلا عن أن يبينوا مرادهم، فتبين أن قول أهل التفويض الذين يزعمون أنهم متبعون للسنة والسلف من شر أقوال أهل البدع والإلحاد» ا. هـ. كلام الشيخ.

وعلى هذا فيجب الإفصاح عن المراد بالتفويض في كلامكم وبيان أنه تفويض الكيفية لا المعنى الحقيقي لئلا يعتقد القاريء أنكم تريدون تفويض المعنى الذي هو من شر أقوال أهل البدع والإلحاد لما يلزم عليه من اللوازم الباطلة التي ذكر بعضها شيخ الإسلام في كلامه هذا.

ولا يكفي في الإفصاح عن ذلك قولكم: «والإيمان به على مراد الله» فإن مراد الله على رأي المفوضين للمعنى غير معلوم لهم، وإن كان هو

معلوما لغيرهم حيث يؤمنون بأن الله ـ تعالى ـ أراد بها المعنى الحقيقي الذي يدل عليه اللسان العربي الذي نزل به القرآن لكنه على الوجه اللائق بالله تعالى من غير تكييف، ولا تمثيل.

وقولكم: «إن مذهب السلف يتلخص في شيئين: أحدهما: تأويل مالابد من تأويله» الخ قول غير صحيح فإن السلف ـ بحمد الله ـ لم يكونوا يؤولون شيئا من نصوص الصفات عن ظاهره كما يفعله أهل التأويل، وإنما كانوا يجرونها على حقيقتها وظاهرها على ما أراده الله ورسوله. وقد تقدم مانقلناه عن ابن عبدالبر، والقاضي أبي يعلى من حملها كلها على الحقيقة وأنه لايجوز التشاغل بتأويلها.

وقد ذكر فضيلتكم في ص. . . ومابعدها من العدد. . . أمثلة ذكرتم أنه لابد من تأويلها وسوف نذكرها ونبين ـ بحول الله وهدايته ـ أنه ليس فيها من تأويل أهل التعطيل شيء حتى يمكن أن تكون حجة لهم على أهل الإثبات بالموافقة أو المداهنة كما قلت أنت في ص. . . عدد. . . بالحرف الواحد. «فلماذا نحكم بضلال الأشاعرة بسبب التأويل ونبيح لأنفسنا التأويل».

ونحن نجيب عن الأمثلة التي ذكرتم بجوابين مجمل ومفصل:

أما المجمل: فإن التأويل الذي سلكه النفاة صرف اللفظ عن ظاهره لصارف من عند أنفسهم لايدل عليه سياق الكلام، والتأويل الذي سلكه أهل الاثبات في بعض ماذكرتموه ليس صرفا للكلام عن ظاهره لأن في سياقه مايدل على المعنى المراد، ولا ريب أن ظاهر الكلام مادل عليه سياقه بحسب الوضع اللغوي أو حال المتكلم عنه.

وأما المفصل:

فالمثال الأول قوله تعالى: ﴿ثم استوى إلى السماء﴾[1]. ذكر فضيلتكم أنها مؤولة إلى معنى القصد والإرادة، ولا ريب أن هذا المعنى قال به طائفة من أهل السنة وذلك من أجل تعدية الفعل بـ (إلى) الدالة على الغاية والانتهاء، والفعل قد يضمن معنى يخالف المعنى المشتق منه من أجل الحرف المعدى به ألا ترى إلى قوله تعالى: **﴿عينا يشرب بها عباد الله﴾** [2] . حيث كان الفعل ﴿يشرب﴾ بمنى (يَروى) من أجل تعديه بـ (الباء).

وعلى هذا فليس في الكلام صرف عن ظاهره لوجود دليل في السياق يقتضي هذا المعنى.

والقول الثاني لأهل السنة أن ﴿استوى﴾ بمعنى ارتفع كما نقله البغوي في تفسير عن ابن عباس، وأكثر المفسرين تمسكا بظاهر معنى الفعل وتفويضا لكيفية هذا الارتفاع إلى الله ـ تعالى ـ. والله أعلم.

المثال الثاني والثالث: قوله ـ تعالى ـ في سورة الحديد **﴿وهو معكم أينما كنتم﴾** [3] . وقوله في سورة المجادلة: **﴿ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا﴾** [4] . ذكر فضيلتكم أن السلف أولوا المعية إلى معنى العلم، ثم ذكرتم تعليل ذلك في آية سورة الحديد بأنه كيف يكون الله ـ تعالى ـ على عرشه وهو مع كل إنسان في كل مكان، وذكرتم في آية المجادلة

---

(١) سورة البقرة، الآية «٢٩».

(٢) سورة الإنسان، الآية «٦».

(٣) سورة الحديد، الآية «٤».

(٤) سورة المجادلة، الآية «٧».

أن السلف لم يفسروها بمعية الذات لئلا تتعدد الذات الإلهية.

ولا ريب أن السلف فسروا معية الله ـ تعالى ـ لخلقه في الآيتين بالعلم وحكى بعض أهل العلم إجماع السلف عليه، وهم بذلك لم يؤولوها تأويل أهل التعطيل، ولم يصرفوا الكلام عن ظاهره وذلك من وجوه ثلاثة:

الأول: أن الله ـ تعالى ـ ذكرها في سورة المجادلة بين علمين فقال في أول الآية ﴿**ألم تر أن الله يعلم مافي السموات ومافي الأرض**﴾[1]. وقال في آخرها ﴿**إن الله بكل شيء عليم**﴾[2]. فدل ذلك على أن المراد أنه يعلمهم ولا يخفى عليه شيء من أحوالهم.

الثاني: أن الله تعالى ذكرها في سورة الحديد مقرونة باستوائه على عرشه الذي هو أعلى المخلوقات فقال ﴿**هو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش**﴾[3]. إلى قوله: ﴿**وهو معكم أينما كنتم**﴾[4]. فدل على أن المراد معية الإحاطة بهم علما وبصرا، لا أنه معهم بذاته في كل مكان وإلا لكان أول الآية وآخرها متناقضا.

الثالث: أن العلم من لوازم المعية، ولازم اللفظ من معناه فإن دلالة اللفظ على معناه من وجوه ثلاثة: دلالة مطابقة، ودلالة تضمن، ودلالة التزام ولهذا يمكن أن نقول هو ـ سبحانه ـ معنا بالعلم، والسمع، والبصر، والتدبير والسلطان وغير ذلك من معاني ربوبيته كما قال تعالى لموسى وهارون ﴿**إنني معكما أسمع وأرى**﴾[5]. وقال هنا في سورة الحديد

(١) سورة المجادلة، الآية «٧».

(٢) سورة الأنفال، الآية «٧٥».

(٣) سورة الحديد، الآية «٤».

(٤) سورة الحديد، الآية «٤».

(٥) سورة طه، الآية «٤٦».

﴿وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير﴾ [1] . فإذا كان العلم من لوازم المعية صح أن نفسرها به وبغيره من اللوازم التي لا تنافي ماثبت لله - تعالى - من صفات الكمال ولا يعد ذلك خروجا بالكلام عن ظاهره.

على أن من المحققين من علماء أهل السنة من فسر المعية بظاهرها على الحقيقة اللائقة بالله - تعالى - وقال لا يمتنع أن يكون الله - تعالى - معنا حقيقة وهو على عرشه حقيقة كما جمع الله - تعالى - بينهما في آية سورة الحديد. قال شيخ الإسلام ابن تيمية في العقيدة الواسطية ص١٤٢ من المجلد الثالث من مجموع الفتاوى لابن قاسم: «وكل هذا الكلام الذي ذكره الله - سبحانه - من أنه فوق العرش، وأنه معنا، حق على حقيقته، لا يحتاج إلى تحريف، ولكن يصان عن الظنون الكاذبة» وقال قبيل ذلك: «وليس معنى قوله ﴿وهو معكم﴾ إنه مختلط بالخلق فإن هذا لا توجبه اللغة، وهو خلاف ما أجمع عليه سلف الأمة وخلاف مافطر الله عليه الخلق، بل القمر آية من آيات الله من أصغر مخلوقاته هو موضوع في السماء وهو مع المسافر وغير المسافر أينما كان، وهو - سبحانه - فوق العرش رقيب على خلقه مهيمن عليهم مطلع إليهم إلى غير ذلك من معاني ربوبيته. وقال في الفصل الذي يليه ص١٤٣ «وماذكر في الكتاب والسنة من قربه ومعيته، لا ينافي ماذكر من علوه وفوقيته، فإنه سبحانه ليس كمثله شيء في جميع نعوته، وهو عليّ في دنوه قريب في علوه». ا. هـ.

وقال في الفتوى الحموية ص١٠٢ من المجلد الخامس من مجموع الفتاوى لابن القاسم: «ولا يحسب الحاسب أن شيئًا من ذلك (يعني مما جاء في الكتاب والسنة) يناقض بعضه بعضا البتة، مثل أن يقول القائل:

---

(١) سورة الحديد، الآية «٤».

مافي الكتاب والسنة من أن الله فوق العرش يخالفه الظاهر من قوله ﴿**وهو معكم أينما كنتم**﴾ وقوله، صلى الله عليه وسلم، «**إذا قام أحدكم إلى الصلاة فإن الله قبل وجهه**». ونحو ذلك فإن هذا غلط وذلك أن الله معنا حقيقة وهو فوق العرش حقيقة كما جمع بينهما في قوله: ﴿**هو الذي خلق السموات والأرض ومابينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم مايلج في الأرض ومايخرج منها وماينزل من السماء ومايعرج فيها وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير**﴾ [1] . فأخبر أنه فوق العرش يعلم كل شيء وهو معنا أينما كنا كما قال النبي، صلى الله عليه وسلم، في حديث الأوعال: «**والله فوق العرش وهو يعلم ما أنتم عليه**» وذلك أن كلمة «مع» في اللغة إذا أطلقت فليس ظاهرها في اللغة إلا المقارنة المطلقة من غير وجوب مماسة أو محاذاة عن يمين أو شمال، فإذا قيدت بمعنى من المعاني دلت على المقارنة في ذلك بالمعنى، فإنه يقال: مازلنا نسير والقمر معنا أو النجم معنا، ويقال هذا المتاع معي لمجامعته لك وإن كان فوق رأسك فالله مع خلقه حقيقة وهو فوق عرشه حقيقة». ا. هـ.

وليس تفسير المعية بمعناها الحقيقي اللائق بالله ـ تعالى ـ بمناف لما فسرها به السلف من العلم، فإن العلم من لوازم معناها، ولازم المعنى منه فلا يناقض حقيقته.

وتفسير المعية بمعناها الحقيقي لا يقتضي أن الله ـ تعالى ـ حال مع خلقه في أمكنتهم، ولا يدل على ذلك بأي وجه من وجوه الدلالة، ولا يفهم ذلك منه إلا من غلظ طبعه عن معرفة اللغة، وحجب قلبه عن تعظيم الله ـ تعالى ـ ومعرفة مايجب له من الكمال والجلال، ولم يفهم أحد من السلف

---

(١) سورة الحديد، الآية «٤».

عن معية الله لخلقه هذا الفهم الخاطيء الضال، وإنما فهمه الحلولية الذين لم يقدروا الله حق قدره من قدماء الجهمية وغيرهم، ولا ريب أن من اعتقد ذلك في الله ـ تعالى ـ فهو كافر أو ضال، ومن نقله عن غيره من السلف أو الأئمة فهو كاذب.

المثال الرابع والخامس: قوله ـ تعالى ـ: ﴿**ونحن أقرب إليه من حبل الوريد**﴾[1]. وقوله: ﴿**ونحن أقرب إليه منكم**﴾[2].

ذكر فضيلتكم على المثال الرابع مانصه: «كيف يمكن فهم النص الكريم بدون تأويل ﴿**ونحن أقرب إليه من حبل الوريد**﴾. هل الله ـ تعالى ـ ملتصق بالإنسان التصاق عرق الوريد؟ أليس في هذا الفهم الخاطيء ما يؤيد دعاوى بعض أهل الضلال من جهلة المتصوفة، أو الزنادقة والملاحدة الذين يقولون بالحلول والاتحاد؟».

وذكرتم على المثال الخامس ﴿**ونحن أقرب إليه منكم**﴾ قولين أحدهما: أقرب إلى الميت بعلمنا واطلاعنا. والثاني: أقرب إليه بملائكتنا الحاضرين لقبض روحه.

ولا ريب أن للعلماء في تفسير الآيتين قولين:

أحدهما: أن المراد به قربه تعالى بعلمه وإحاطته، والذين فسروه بذلك ظنوا أن تفسيره بقرب ذاته يستلزم الحلول والاتحاد، أو يوهم ذلك ففروا منه إلى تفسيره بالعلم والإحاطة وسندوا تفسيرهم بأمرين:

١ـ أن الله ـ تعالى ـ ذكر القرب في سورة «ق» بعد العلم فقال: ﴿**ونعلم ماتوسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد**﴾ فدل ذلك

---

(١) سورة ق، الآية «١٦».

(٢) سورة الوا قعة، الآية «٨٥».

على أن المراد قربه بعلمه وإحاطته.

٢ ـ أن العلم من لوازم القرب إذا كان القريب كامل الصفات، ولازم اللفظ من معناه ـ كما سبق في كلامنا على المعية ـ. وتفسير اللفظ بلازم معناه لا سيما مع وجود قرائن لفظية في السياق لا يخرج الكلام عن ظاهره، ولا يعد تأويلا.

القول الثاني: أن المراد بقربه تعالى قرب ملائكته وسندوا تفسيرهم بأمرين أيضًا:

أحدهما: أن الله ـ تعالى ـ ذكر القرب مقيدا فقيده في سورة ق بقوله: ﴿**إذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد**﴾ [1]. فإن قوله: ﴿**إذ يتلقى**﴾ متعلق بقوله: ﴿**أقرب**﴾ فيكون هذا تفسيرا لمعنى القرب وقيده في سورة الواقعة بحال الاحتضار فقال: ﴿**وأنتم حينئذ تنظرون ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون**﴾ [2]. ثم إن في قوله ﴿**ولكن لا تبصرون**﴾. دليلا على أن هذا الأقرب في نفس المكان ولكن لا نبصره وهذا لايكون إلا للملائكة لأن الله تعالى لا يمكن أن يحل في مكان المحتضر.

والشيء إذا أضافه الله ـ تعالى ـ إلى نفسه بلفظ الجمع لم يمتنع أن يراد به ملائكته كما في قوله تعالى: ﴿**فإذا قرأناه فاتبع قرآنه**﴾ [3]. والذي يقرؤه على النبي، صلى الله عليه وسلم، هو جبريل، وإذا كان في الكلام مايدل على المراد من سياق الكلام، أو قرائن الأحوال لم يكن تفسيره بمقتضى ذلك صرفا للكلام عن ظاهره، ولا يعد تأويلا.

---

(١) سورة ق، الآية «١٧».

(٢) سورة الواقعة، الآيتان «٨٤ ـ ٨٥».

(٣) سورة القيامة، الآية «١٨».

والقول الثاني في تفسير القرب في الآيتين هو ما اختاره شيخ الإسلام ابن تيمية وضعف تفسيره بالعلم والإحاطة، وقال في شرح حديث النزول ص٤٩٤ج٥ من مجموع الفتاوى لابن قاسم: «ليس في الكتاب والسنة وصفة بقرب عام من كل موجود حتى يحتاجوا أن يقولوا بالعلم والقدرة والرؤية» قال: «وكأنهم ظنوا أن لفظ القرب مثل لفظ المعية». ثم ذكر الفرق بينهما بمقتضى النص واللغة وقال ص٥٠٢ «فلا يجعل لفظ مثل لفظ مع تفريق القرآن بينهما».

وأما القرب المذكور في قوله تعالى: **﴿وإذا سألك عبادي عني فإني قريبٌ أجيب دعوةَ الداع إذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون﴾**[1].

والقرب المذكور في قوله، صلى الله عليه وسلم، فيما رواه أبوموسى عنه: «**اربعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصم، ولا غائبًا، تدعون سميعًا بصيراً قريبًا**». رواه البخاري في الباب التاسع من كتاب التوحيد. ومسلم في الباب الثالث عشر من كتاب الذكر والدعاء وزاد: «**والذي تدعونه أقرب إلى أحدكم**» من عنق راحلة أحدكم. ورواه أحمد في المسند ص٤٠٢ ج٤ بلفظ «**من عنق راحلته**».

أقول: أما القرب المذكور في هذه الآية والحديث فقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية في شرح حديث النزول ص٥٠٨ ج٥ من مجموع الفتاوى لابن قاسم: «فهنا هو نفسه سبحانه وتعالى القريب المجيب الذي يجيب دعوة الداعي لا الملائكة» إلى أن قال ص٥١٠. «وأما قرب الرب قربا يقوم به بفعله القائم بنفسه فهذا تنفيه الكلابية، ومن يمنع قيام

(١) سورة البقرة، الآية «١٨٦».

الأفعال الاختيارية بذاته، وأما السلف وأئمة الحديث والسنة فلا يمنعون ذلك وكذلك كثير من أهل الكلام». وقال قبل ذلك ص٤٦٦ «وأما دنوه بنفسه وتقربه من بعض عباده فهذا يثبته من يثبت قيام الأفعال الاختيارية بنفسه ومجيئه يوم القيامة، ونزوله واستواءه على العرش، وهذا مذهب أئمة السلف وأئمة الإسلام المشهورين، وأهل الحديث والنقل عنهم بذلك متواتر».

وقال قبل ذلك ص٤٦٠ : «وأصل هذا أن قربه تعالى ودنوه من بعض مخلوقاته لا يستلزم أن تخلو ذاته من فوق العرش، بل هو فوق العرش ويدنو من خلقه كيف يشاء كما قال ذلك من قاله من السلف». ا. هـ. وقد سبق مانقلناه عن العقيدة الواسطية له من أن ماذكر في الكتاب والسنة من قربه ومعيته لا ينافي ماذكر من علوه وفوقيته، فإنه ليس كمثله شيء في جميع نعوته فهو عليّ في دنوه قريب في علوه.

وقال محمد بن الموصلي في مختصره للصواعق المرسلة لابن القيم ص٤١٠ ـ ٤١٣ط الإمام: «فهو قريب من المحسنين بذاته ورحمته قربا ليس له نظير، وهو مع ذلك فوق سمواته على عرشه» قال: «والذي يسهل عليك فهم هذا معرفة عظمة الرب وإحاطته بخلقه، وأن السموات السبع في يده كخردلة في يد العبد، وأنه سبحانه يقبض السموات بيده، والأرض بيده الأخرى ثم يهزهن فكيف يستحيل في حق من هذا بعض عظمته أن يكون فوق عرشه ويقرب من خلقه كيف شاء وهو على العرش». ا. هـ.

وإنما ذهب الشيخان إلى أن المراد بالقرب في الآية والحديث قرب الله تعالى بنفسه لدلالة اللفظ عليه بدون مانع شرعي ولا حقلي.

ففي الآية الكريمة أضاف الله الضمائر من أولها إلى آخرها لنفسه

بضمير الواحد فقال: ﴿عبادي﴾. ﴿عني﴾ ﴿فإني﴾ ﴿قريب﴾. ﴿أجيب﴾. ﴿دعان﴾. ﴿لي﴾. ﴿بي﴾. ومحال أن تكون هذه الضمائر لغيره.

وفي الحديث قال، صلى الله عليه وسلم، «تدعون سميعا بصيرا قريبا» «والذي تدعونه أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته» والصحابة إنما يدعون الله فيكون القريب هو نفسه، وهذا غير مستحيل بالنسبة إلى الله ـ تعالى ـ فإنه ـ تعالى ـ ليس كمثله شيء، فليس قربه لعبده كقرب غيره، بل هو قرب لا نظير له، لائق بجلاله وعظمته لا يكيف، ولا يمثل ولا ينافي علوه، واستواءه على عرشه.

المثالث السادس والسابع: قوله ـ تعالى ـ عن سفينة نوح: ﴿تجري بأعيننا﴾[1]. وقوله عن موسى ﴿ولتصنع على عيني﴾[2]. قال فضيلتكم عن الآية الأولى: هل يصح أن نفسرها على ظاهرها أن السفينة تسير وتجري في عين الله؟ وقلتم عن الثانية: هل يفهم عاقل أن موسى رُبّي في عين الله؟.

والحقيقة أنه لايمكن أن نقول إن السفينة تجري في عين الله؟ ولا أن موسى ربي في عين الله ولكن من يقول إن هذا هو ظاهر الكلام حتى يتعين صرفه عن ظاهره؟. فالله ـ تعالى ـ لم يقل: «تجري في أعيننا» ولم يقل: «ولتصنع في عيني» حتى يقال إن ظاهر الكلام أن عين الله ظرف للسفينة وظرف لموسى وإنما قال: ﴿تجري بأعيننا﴾. كما قال: ﴿واصنع الفلك

(١) سورة القمر، الآية «١٤».

(٢) سورة هود، الآية «٣٩».

بأعيننا ووحينا﴾[1] . وقد فسرها ابن عباس وقتادة بعين الله ـ تعالى ـ حقيقة نقله ابن جرير عنهما ص٣٠٩ ج١٥ تحقيق محمود محمد شاكر. والمعنى : تجرى مرئية بأعيننا. واصنع الفلك مرئيا بأعيننا وحسب وحينا، وهذا معنى صحيح موافق لظاهر الكلام غير مستحيل على الله ـ تعالى ـ فإنه قد جاء في الكتاب والسنة واجماع السلف ثبوت العين لله ـ تعالى ـ حقيقة على الوجه اللائق به من غير تكييف ولا تمثيل.

وأما تفسيرها بمرأى منا فهو صحيح أيضًا لأنه تفسير باللازم، فإنها إذا كانت تجري بعين الله ـ تعالى ـ لزم أن يراها، والتفسير باللازم غير خارج عن دلالة ظاهر اللفظ كما سبق من أن دلالة اللفظ على معناه من وجوه ثلاثة فلا يكون تأويلا، ولا صرفا له عن ظاهره.

وقال : **﴿ولتصنع على عيني﴾** قال ابن كثير ص٤٢٢ ج٥ ط أولى المنار: «قال أبوعمران الجوني: تربى بعين الله وقال قتادة: تغذى على عيني». ا. هـ. وهذا تفسير للعين بحقيقة معناها، والمعنى : ولتربى على مرأى مني بعيني، وهو معنى صحيح موافق لظاهر الكلام غير مستحيل على الله ـ تعالى ـ كما سبق.

وأما تفسيرها بمرأى مني فنقول فيه كما قلنا في الآية السابقة.

المثال الثامن: ذكر فضيلتكم حديث الحجر الأسود يمين الله في أرضه وذكرت في ص. . . من عدد. . . أنه حديث صحيح وأنه يتعين تأويله.

وهذا الحديث لا يصح عن النبي، صلى الله عليه وسلم، قال ابن الجوزي في العلل المتناهية ص٨٥ ج٢ نشر إدارة العلوم الأثرية: «هذا

(١) سورة هود، الآية «٣٧».

حديث لا يصح ، وإسحاق بن بشر قد كذبه أبوبكر بن أبي شيبة وغيره وقال الدارقطني هو في عداد من يضع الحديث» . ا . هـ. وذكر حديثا آخر من حديث عبدالله بن عمرو وقال «لا يثبت، قال أحمد عبدالله بن مؤمل أحاديثه مناكير، وقال علي بن الجنيد: شبه المتروك» . ا . هـ. وقال شيخ الإسلام ابن تيمية ص٣٩٧ ج٦ من مجموع الفتاوى لابن قاسم: «روى عن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، بإسناد لا يثبت، والمشهور إنما هو عن ابن عباس قال الحجر الأسود يمين الله في الأرض فمن صافحه وقبّله فكأنما صافح الله وقبل يمينه. ومن تدبر اللفظ المنقول تبين له أنه لا إشكال فيه إلا على من لم يتدبره، فإنه قال يمين الله في الأرض فقيده بقوله في الأرض ولم يطلق فيقول يمين الله وحكم اللفظ المقيد يخالف حكم اللفظ المطلق ثم قال فمن صافحه وقبله فكأنما صافح الله وقبل يمينه ، ومعلوم أن المشبه غير المشبه به وهذا صريح في أن المصافح لم يصافح يمين الله أصلا ، ولكن شبه بمن يصافح الله فأول الحديث وآخره يبين أن الحجر ليس من صفات الله كما هو معلوم لكل عاقل» . ا . هـ. وفي سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة للألباني رقم ٢٢٢ ص٢٥ من الجزء الثالث المجلد الأول قال هو حديث موضوع وذكره من رواية الكاهلي إسحاق بن بشر، ونقل عن ابن العربي قوله: هذا حديث باطل فلا يلتفت إليه، ثم ذكر الألباني للكاهلي متابعا من طريق أبي علي الأهوازي وقال إنه متهم ، فالحديث باطل على كل حال، ثم نقل عن ابن قتيبة أنه اخرجه عن ابن عباس موقوفا عليه ، وقال الألباني: الموقوف أشبه وإن كان في سنده ضعيف جدًّا فإن إبراهيم هذا وهو الخوزي متروك كما قاله أحمد والنسائي .

فإذا كان الحديث موضوعا باطلا لا يثبت عن النبي ، صلى الله عليه

وسلم، وفي ثبـوته عن ابن عباس رضي الله عنهما نظر فإنه لا يحتاج إلى الخوض في معناه، ولا وجه لإلزام أهل السنة وهم السلف بالقول بتأويله.

ثم على تقدير ثبوته عن ابن عباس رضي الله عنهما وتسليم أنه من المرفوع حكما فإنه لا يحتاج إلى تأويل لوضوح معناه كما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ـ تعالى ـ.

المثال التاسع: ذكر فضيلتكم قوله ـ تعالى ـ في الحديث القدسي **«ولايزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذَنّه»**.

وهذا حديث صحيح خرجه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال: رسول الله، صلى الله عليه وسلم، إن الله قال: **«من عادى لي وليًا فقد آذنته بالحرب»** وذكر تمام الحديث.

ولا ريب أنه لايراد من الحديث أن يكون الله ـ تعالى ـ وتقدس عين سمع الولي، وبصره، ويده، ورجله، ولا يمكن أن يقال إن هذا ظاهر الحديث لمن تدبره تدبرا جيدا حتى يقال إنه يحتاج إلى التأويل بصرفه عن ظاهره، فإن في سياق الحديث مايمنع القول بهذا، وذلك أن الله ـ تعالى ـ قال فيه: **«ومايزال عبدي يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه»**. وقال: **«ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه»**. فأثبت عبدًا ومعبودًا. ومتقربًا ومتقربًا إليه. ومحبًّا ومحبوبًا. وسائلا ومسئولا. ومعطيًا ومعطى. ومستعيذًا ومستعاذًا به. ومعيذًا ومعاذًا. فسياق الحديث يدل على اثنين متباينين كل واحد منهما غير الآخر وعلى هذا فيمتنع أحدهما أن يكون وصفا في الآخر، أو جزءًا من أجزائه، ولا يمكن لأحد أن يفهم هذا الفهم من مثل هذا

السياق أبدًا، اللهم إلا أن يكون بليد الفكر، أو معرضا عن التدبر، أو ذا هوى أعماه.

ولا يفهم أحد من مثل هذا السياق - إذا تدبره وكان ذا فكر سليم - إلا أن المـراد به تسديد الله - تعالى - للعبد إدراكًا وعملاً، بحيث يكون إدراكـه بسمعه وبصره بالله ولله وفي الله وكذلك عمله بجوارحه فيتم له بذلك كمال الاستعانة، والاخلاص، والمتابعة وهذا غاية التوفيق. وهذا مافسره به السلف وهو تفسير مطابق للفظ متعين بالسياق، وليس فيه تأويل ولا صرف للكلام عن ظاهره ولله الحمد والمنة.

المثال العاشر: ذكر فضيلتكم الحديث القدسي بلفظ: ولئن أتاني يمشي أتيته هرولة.

والحديث رواه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي، صلى الله عليه وسلم، قال يقول الله - تعالى -: «**أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني**» وتمام الحديث «**وإن تقرب إليَّ شبرا تقربت إليه ذراعًا وإن تقرب إليَّ ذراعا تقربت إليه باعا، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة**». ورواه مسلم من حديث أبي ذر بنحوه دون أوله.

وهـذا الحـديث كغـيره من النصـوص الـدالـة على قيام الأفعـال الاختيارية بالله - تعالى - وأنه - سبحانه - فعال لما يريد كما ثبت ذلك في الكتاب والسنة مثل قوله - تعالى -: ﴿**وجاء ربك والملك صفا صفا**﴾ [1] وقوله: ﴿**هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك أو يأتي بعض**

(١) سورة الفجر، الآية «٢٢».

آيات ربك﴾ [1] . وقوله: **﴿الرحمن على العرش استوى﴾** [2] . وقوله، صلى الله عليه وسلم، «ينزل ربنا إلى السماء الدنيا». وقوله في هذا الحديث: «**من تقرب إليَّ شبراً تقربت إليه ذراعًا . . . . وإن أتاني يمشي أتيته هرولة**». هو من هذا الباب وكلها أفعال متعلقة بمشيئته كما قال ـ تعالى ـ: **﴿ذو العرش المجيد فعال لما يريد﴾** [3] . وقال: **﴿ويضل الله الظالمين ويفعل الله مايشاء﴾** [4] . لكن أفعاله كسائر صفاته لا تكيف ولا تمثل بالمخلوقين.

وعلى هذا فنؤمن بأن الله ـ تعالى ـ يتقرب من عبده المتقرب إليه كما يشاء ويأتي هرولة لمن أتى إليه يمشي كما يشاء من غير تكييف ولا تمثيل وليس في ذلك ماينافي كمال الله ـ عزّ وجلّ ـ.

وذهب بعض العلماء من أهل السنة إلى أن قوله: «**أتيته هرولة**» يراد به سرعة قبول الله ـ تعالى ـ وإقباله على العبد المتقرب إليه المتوجه بقلبه وجوارحه إلى ربه وقال إن هذا هو ظاهر اللفظ بدليل أن الله ـ تعالى ـ قال: «**ومن أتاني يمشي**». ومن المعلوم أن طالب الوصول إلى الله لا يطلبه بالمشي فقط بل يطلبه تارة بالمشي كالسير إلى المساجد، والمشاعر، والجهاد، ونحوها، وتارة بالركوع والسجود ونحوهما، فعلم بذلك أن المراد بذلك كيفية طلب الوصول إلى الله تعالى، وأن الله ـ تعالى ـ يجازي الطالب بأعظم من عمله وأفضل. وإذا كان هذا ظاهر اللفظ بالقرينة الشرعية

---

(١) سورة الأنعام، الآية «١٥٨».

(٢) سورة طه، الآية «٥».

(٣) سورة البروج، الآيتان «١٥ ـ ١٦».

(٤) سورة إبراهيم، الآية «٢٧».

المفهومة من سياقه لم يكن تفسيره بذلك تأويلا ولا صرفا له عن ظاهره والله أعلم.

المثال الحادي عشر: ذكر فضيلتكم الحديث القدسي بلفظ: ابن آدم مرضت فلم تعدني، استطعمتك فلم تطعمني، استسقيتك فلم تسقني.

وهذا الحديث رواه مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي، صلى الله عليه وسلم، قال: «**إن الله ـ عزّ وجلّ ـ يقول يوم القيامة يا ابن آدم مرضت فلم تعدني، قال: يارب كيف أعودك وأنت رب العالمين؟ قال: أما علمت أن عبدي فلانا مرض فلم تعده، أما علمت أنك لو عدته لوجدتني عنده**». وذكر تمام الحديث رقم ٤٣ من كتاب البر والصلة والآداب ص١٩٩٠.

. وهو حديث صحيح أخذ به السلف ولم يصرفوه عن ظاهره بتأويل يتخبطون فيه بأهوائهم، وإنما فسروه بما فسره الله ـ تعالى ـ به حيث قال: «**أما علمت أن عبدي فلانا مرض**». إلخ. وقال في الإطعام: «**أما علمت أنه استطعمك عبدي فلان فلم تطعمه، أما علمت أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندي**». وقال في الإسقاء «استسقاك عبدي فلان فلم تسقه، أما إنك لو سقيته لوجدت ذلك عندي». وهو صريح في أن المراد مرض عبد من عباد الله، واستطعام عبد من عباد الله، واستسقاء عبد من عباد الله، والذي فسره بذلك هو الله ـ تعالى ـ الذي تكلم به، وهو أعلم بمراده، فإذا فسر بما فسره به الله ـ تعالى ـ لم يكن في ذلك صرف له عن ظاهره ولا تأويل كما لو تكلم الله ـ تعالى ـ بالمعنى ابتداء.

وهذا الحديث من أكبر الحجج الدامغة لأهل التأويل الذين صرفوا نصوص الصفات عن ظاهرها بلا دليل من كتاب الله، ولا سنة رسوله،

ولا أقوال السلف الصالح بل بشبه واهية هم فيها متناقضون مضطربون، إذ لو كان المراد خلاف ظاهرها لبينه الله ـ تعالى ـ ورسوله ولو كان ظاهرها اللائق بالله ممتنعا على الله ـ تعالى ـ لكان في الكتاب، والسنة من وصف الله ـ تعالى ـ بما يمتنع عليه ما لايحصى إلا بكلفة وهذا من أكبر المحال.

المثال الثاني عشر: ذكر فضيلتكم قول الله ـ عزّ وجلّ ـ ﴿**أو لم يروا أن خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاما فهم لها مالكون**﴾ [1] . أننا نأبى أن نفهم من هذه الآية أن الله خلق الأنعام (الإبل والبقر والغنم) بيده حقيقة.

وكأنكم تريدون أن تدخلوا هذه الآية في ضمن ما أوله السلف وهذا غير صحيح فإن الآية الكريمة ليس فيها مايدل على أن خلق هذه الأنعام بيده، بل صريح الآية أن الله ـ تعالى ـ هو الذي خلقها ﴿**خلقنا لهم**﴾ ولم يقل بيده بل قال: ﴿**مما عملت أيدينا**﴾ ولو كان المراد أن الله خلقها بيده لقال: «**خلقنا لهم بأيدينا**». كما قال في آدم ﴿**لما خلقت بيدي**﴾ [2] .

والعمل يضاف إلى اليد في اللغة والمراد بها صاحب اليد.

أرأيت قول الله ـ تعالى ـ: ﴿**وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم**﴾ [3] . وقوله: ﴿**ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون**﴾ [4] . فإن المراد بما كسب الإنسان نفسه وإن عمله بغير يده، بخلاف ما إذا قيل «عملته بيدي» ونحوه فإنه يدل على أن اليد هي التي حصل بها الفعل.

---

(١) سورة يس، الآية «٧١».

(٢) سورة ص، الآية «٧٥».

(٣) سورة الشورى، الآية «٣٠».

(٤) سورة الروم، الآية «٤١».

وعلى هذا فليس في الآية الكريمة صرف عن ظاهرها؛ لأنها ليس فيها مايدل على أن الأنعام مخلوقة بيد الله وإنما تدل على أن الله ـ تعالى ـ خلق هذه الأنعام وإنها من جملة ماعمله الله ـ تعالى ـ وصنعه لنا، ولو كانت الآية كما فهم فضيلتكم أو كما حاولتم أن تؤولوها به لكانت جميع المخلوقات مخلوقة بيد الله ـ تعالى ـ.

المثال الثالث عشر: ذكر فضيلتكم قول الله ـ تعالى ـ: ﴿**إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم**﴾ [1] . وذكرتم عن ابن جرير فيها تأويلين: أحدهما: يد الله فوق أيديهم عند البيعة لأنهم كانوا يبايعون الله ببيعتهم نبيه، صلى الله عليه وسلم، . والثاني: قوة الله فوق قوتهم في نصرة رسوله، صلى الله عليه وسلم، لأنهم بايعوا رسول الله، صلى الله عليه وسلم، على نصرته.

ولا ريب أن المعنى الأول أقرب إلى ظاهر اللفظ فيكون هو الراجح وليس فيه تأويل بصرفه عن ظاهره وذلك لأن قوله: ﴿**إن الذين يبايعونك**﴾ صريح مطابق للواقع كما في قوله: ﴿**لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة**﴾ [2] . فالمبايع مباشرة هو النبي، صلى الله عليه وسلم، وليس الله ـ تعالى ـ ولا يمكن لأحد أن يفهم أنه الله ـ تعالى ـ ولا أن يقول إن ذلك ظاهر اللفظ لكن لما كان النبي، صلى الله عليه وسلم، رسولا من عند الله مبلغا عنه صارت مبايعته مبايعة لمن أرسله. وهذه الآية كقوله ـ تعالى ـ: ﴿**من يطع الرسول فقد أطاع الله**﴾ [3] .

---

(١) سورة الفتح، الآية «١٠».

(٢) سورة الفتح، الآية «١٨».

(٣) سورة النساء، الآية «١٨».

وفي هذه الآية من تشريف النبي ، صلى الله عليه وسلم، وتأييده وتأكيد بيعته ما لا يخفى على أحد.

أما قوله ـ تعالى ـ: ﴿يد الله فوق أيديهم﴾ [1] . فهي على حقيقتها وظاهرها وذلك لأن يد الله ـ تعالى ـ صفة من صفاته وهو سبحانه فوقهم على العرش استوى، فكانت يده فوق أيديهم كما قرر ذلك ابن القيم وانظره ص٣٤٩ ط الإمام من كتاب (استعجال الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة) المعروف باسم (مختصر الصواعق).

وهـذا التقرير ظاهر مطابق لظاهر اللفظ، وهو أولى من قول من جعله على سبيل التخييل، بأنـه لما كانت مبـايعة النبي ، صلى الله عليه وسلم، مبايعة لله كانت يد النبي ، صلى الله عليه وسلم ، كأنها يد الله ـ تعالى ـ وذلك إن النبي ، صلى الله عليه وسلم، عند المبايعة ليس يجعل يده فوق أيديهم ، وإنما كان يمسك بأيديهم ويصافحهم، فيده مع أيديهم لا فوقها، وبهذا تبين أنه ليس في الآية تأويل يصرفها عن ظاهرها والحمد لله رب العالمين.

وبالإجابة على هذه الأمثلة يتبين إنه ليس للأشاعرة وغيرهم حجة على أهل السنة بإلزامهم بالموافقة أو المداهنة في تأويلهم لما أولوه من صفات الكمال التي أثبتها الله ـ تعالى ـ لنفسه، ولو سلمنا أن لهم حجة في ذلك لسلمنـا أن للمعتزلة حجة فيما أولوه من الصفات التي يثبتها الأشاعرة، ولسلمنا أن للقرامطة وغيرهم من غلاة الجهمية ومن سلك سبيلهم حجة فيما أولوه من الأسماء، بل لسلمنا أن للفلاسفة وغيرهم حجة فيما ذهبوا إليه من تأويل نصـوص المعاد، ولهذا كان لا سبيل لأحد في دفع شبه هؤلاء

(١) سورة الفتح، الآية «١٠».

الزائغين إلا بالتزام سبيل السلف الراسخين في العلم، الثابتين على القاعدة المستقرة التي لا يشذ عنها شيء من مسائل الدين الكبيرة والصغيرة نسأل الله ـ تعالى ـ أن يجعلنا منهم في الدنيا والآخرة.

سابعا: ذكر فضيلتكم ص.... عدد.... أن مذهب السلف أنه يجب علينا أن نصف الله تعالى بجميع ما وصف به نفسه من صفات على مايليق به سبحانه، فننزهه عن الجسمية، والشكل، والصورة، والاحتياج، وكررتم القول بنفي التجسيم في مواضع من كلامكم.

ونفي الجسمية والتجسيم لم يرد في الكتاب، والسنة، ولا في كلام السلف فالواجب على العبد التأدب مع الله ورسوله وسلف الأمة فلا ينفى عن الله ـ تعالى ـ إلا مانفاه عن نفسه ولا يثبت له إلا ما أثبته لنفسه، أما مالم يرد به نفي ولا إثبات مما يحتمل حقا وباطلا فإن الواجب السكوت عنه فلا ينفى ولا يثبت لفظه، وأما معناه فيسأل عنه فإن أريد به حق قبل، وإن أريد به باطل رُدّ، وعلى هذا فيسأل من نفى التجسيم ماذا تريد بالجسم؟ فإن قال: أريد به الشيء المركب المفتقر بعضه إلى بعض في الوجود والكمال قلنا نفي الجسم بهذا المعنى حق فإن الله ـ تعالى ـ واحد أحد صمد غني حميد. وإن قال أريد به الشيء المتصف بالصفات القائمة به من الحياة، والعلم، والقدرة، والاستواء والنزول، والمجيء، والوجه، واليد ونحو ذلك مما وصف الله به نفسه قلنا نفي الجسم بهذا المعنى باطل، فإن لله ـ تعالى ـ ذاتا حقيقية، وهو متصف بصفة الكمال التي وصف بها نفسه من هذه الصفات وغيرها على الوجه اللائق به.

ومن أجل احتمال الجسم لهذا وهذا كان إطلاق لفظه نفيا وإثباتا من البدع التي أحدثت في الإسلام قال شيخ الإسلام ابن تيمية ص١٥٢ ج٤

من مجموع الفتاوى لابن قاسم: «لفظ التجسيم لا يوجد في كلام أحد من السلف لا نفيا ولا إثباتا فكيف يحل أن يقال: مذهب السلف نفي التجسيم أو اثباته بلا ذكر لذلك اللفظ ولا لمعناه عنهم». وقال قبل ذلك ص١٤٦ «وأول من ابتدع الذم بها المعتزلة الذين فارقوا جماعة المسلمين». ا. هـ. يعني أن المعتزلة جعلوا من أثبت الصفات مجسما وشنعوا عليهم بهذه الألفاظ المبتدعة ليغزوا بذلك عوام المسلمين.

وأما الصورة فقد روى البخاري ومسلم من حديثي أبي هريرة وأبي سعيد الخدري رضي الله عنهما مايدل دلالة صريحة على ثبوتها لله - تعالى - روى البخاري في: باب الصراط جسر جهنم ص٤٤٤ ج١١ فتح ط السلفية عن عطاء عن أبي هريرة، رضي الله عنه، قال: قال أناس يارسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال: «**هل تضارون في الشمس ليس دونها سحاب؟**». قالوا: لا يارسول الله. قال: «**هل تضارون في القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب؟**». قالوا: لا يارسول الله. قال: «**فإنكم ترونه كذلك يوم القيامة**». وذكر الحديث وفيه: «**وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها، فيأتيهم الله في غير الصورة التي يعرفون فيقول: أنا ربكم. فيقولون: نعوذ بالله منك، هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا، فإذا أتانا ربنا عرفناه، فيأتيهم الله في الصورة التي يعرفون فيقول: أنا ربكم. فيقولون: أنت ربنا فيتبعونه**». وذكر تمام الحديث قال عطاء وأبوسعيد جالس مع أبي هريرة لا يغير عليه شيئا من حديثه ورواه عن أبي سعيد الخدري عن النبي، صلى الله عليه وسلم، في باب قول الله - تعالى - ﴿**وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة**﴾ [1]. ص٤١٩ج١٣ فتح ط السلفية، ورواه مسلم عنهما في كتاب

(١) سورة القيامة، الآيتان «٢٢ - ٢٣».

لنفسه إما في كتابه، أو على لسان رسوله، صلى الله عليه وسلم.

فتنزيه الله ـ تعالى ـ عن الصورة اللائقة بجلاله وعظمته رد لما أثبته له رسول الله، صلى الله عليه وسلم، والسلف رضوان الله ـ تعالى ـ عليهم بريئون من هذا التنزيه.

وأما الشكل فإن أريد به الصورة فقد عرفت الكلام فيها، وإن أريد به مماثلة المخلوقين فالله ـ تعالى ـ منزه عنه.

ثامنا: ذكر فضيلتكم ص.... من العدد.... أن الخلف هم علماء أهل السنة من المتأخرين الذين ظهروا في القرن الرابع الهجري وفي نهاية القرن الثالث.

والمعروف أنه إذا قيل (الخلف) في باب أسماء الله وصفاته فإنما يعني بهم الذين أحالوا الاعتقاد في هذا الباب إلى ما يقتضيه العقل، وكذبوا بما يمكنهم تكذيبه مما يخالف عقولهم، أو مما لا تقتضيه عقولهم، وصرفوا ما لايمكنهم تكذيبه عن ظاهره.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في الفتوى الحموية ص١٠ج٥ من مجموع الفتاوى لابن القاسم في معرض الرد على من قال: طريقة السلف أسلم، وطريقة الخلف أعلم وأحكم قال: «والإشارة بالخلف إلى ضرب من المتكلمين الذين كثر في باب الدين اضطرابهم وغلظ عن معرفة الله حجابهم». ا. هـ. وذكر كلاما ينبغي معرفته.

تاسعًا: ذكر فضيلتكم حين قسمتم ـ زعمًا ـ أهل السنة إلى ذوي مذهبين أنه ماكان أحد من أصحاب المذهبين ينسب غيره إلى الضلالة، ولا يصفه بما يصفه الجاهلون اليوم من الخروج عن الدين والمروق من الإسلام إلخ.

الإيمان حديث أبي هريرة رقم ٢٩٩ ص١٦٣ تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي وحديث أبي سعيد رقم ٣٠٢ ص١٦٧ .

فهل أحد أعلم بالله ـ تعالى ـ ومايجب له، أو يمتنع في حقه، أو يجوز من رسول الله، صلى الله عليه وسلم؟!، وهل أحد من الخلق أنصح من رسول الله، صلى الله عليه وسلم، لعباد الله؟ وهل أحد من الخلق أفصح لسانا وأبلغ بيانًا من رسول الله، صلى الله عليه وسلم؟ وهل أحد من قرون هذه الأمة أحفظ أمانة من أصحاب رسول الله، صلى الله عليه وسلم، الذين اختارهم الله ـ تعالى ـ لصحبة نبيه ونقل شريعته؟.

وقد أثبت رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فيما أخبر به عن ربه وهو الصادق المصدوق أن لله ـ تعالى ـ صورة، لكننا نعلم علم اليقين أن هذه الصورة ليست مماثلة لصورة أحد من المخلوقين، وأنها أعظم وأجل مما يتخيله المفكرون، وأنه لا يحل لأحد أن يتخيل اليوم هذه الصورة في ذهنه، أو يعبر عن كيفيتها بلسانه قال الله ـ تعالى ـ: **﴿ولا يحيطون به علما﴾** [1] . وقال: **﴿ولا تقف ماليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا﴾** [2] . وقال ـ تعالى ـ: **﴿قل إنما حرّم ربي الفواحش ماظهر منها ومابطن والإثم والبغي بغير الحق وأن تشركوا بالله مالم ينزل به سلطانا وأن تقولوا على الله ما لاتعلمون﴾** [3] .

فلا يحل لأحد أن يثبت لله ـ تعالى ـ مالم يعلم أن الله أثبته، ولا أن ينفي عنه مالم يعلم أن الله نفاه، فكيف يحل أن ننفي ما أثبته الله ـ تعالى ـ

---

(١) سورة طه، الآية «١١٠».

(٢) سورة الإسراء، الآية «٣٦».

(٣) سورة الأعراف، الآية «٣٣»

ونحن لا نعلم أن أحدًا من أهل السنة نسب الأشاعرة، والماتريدية إلى الخروج عن الدين، والمروق عن الإسلام.

وأما وصفهم بالضلال باعتبار ماقالوه في صفات الله فإنه موجود في كلام أهل السنة، بل هو في كلامكم أنتم حينما قررتم في عدة مواضع من كلامكم أنهم كانوا مخطئين، والخطأ نقيض الصواب، والصواب هو الحق وقد قال الله ـ تعالى ـ: ﴿فماذا بعد الحق إلا الضلال﴾ (1).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في ص٣٥٩ ج٦ مجموع الفتاوى لابن قاسم بعد أن ذكر الجهمية ومن تبعهم من المعتزلة وبعض الأشعرية قال: «ولهذا كانوا يقولون إن البدع مشتقة من الكفر وآيلة إليه ويقولون إن المعتزلة مخانيث الفلاسفة، والأشعرية مخانيث المعتزلة، وكان يحيى بن عمار يقول: المعتزلة الجهمية الذكور، والأشعرية الجهمية الإناث» قال الشيخ: «ومرادهم الأشعرية الذين ينفون الصفات الخبرية، وأما من قال منهم بكتاب الإبانة الذي صنفه الأشعري في آخر عمره ولم يظهر مقالة تناقض ذلك فهذا يعد من أهل السنة لكن مجرد الانتساب إلى الأشعري بدعة». ا. هـ. وقال قبل ذلك في ص٣١٠ «وأما الأشعرية فعكس هؤلاء، وقولهم يستلزم التعطيل، وأنه لا داخل العالم، ولا خارجه، وكلامه معنى واحد، ومعنى آية الكرسي، وآية الدين، والتوراة، والإنجيل واحد، وهذا معلوم الفساد بالضرورة» ا. هـ.

وقال تلميذه ابن القيم في النونية ص٣١٢ من شرح من خليل الهراس ط الإمام:

واعلم بأن طريقهم عكس الطريـ ـق المستقيم لمن له عينان

(1) سورة يونس، الآية «٣٢».

إلى أن قال:

فاعجب لعميان البصائر أبصروا كون المقلد صاحب البرهان
ورأوه بالتقليد أولى من سوا ه بغير ما بصر ولا برهان
وعموا عن الوحيين إذ لم يفهموا معناهما عجبا لذي الحرمان

وقال الشيخ محمد أمين الشنقيطي في تفسيره (أضواء البيان) ص٣١٩ ج٢ على تفسير آية استواء الله على عرشه: «اعلم أنه غلط في هذا خلق لا يحصى كثرة من المتأخرين، فزعموا أن الظاهر المتبادر السابق إلى الفهم من معنى الاستواء، واليد مثلا في الآيات القرآنية هو مشابهة صفات الحوادث، وقالوا يجب علينا أن نصرفه عن ظاهره إجماعا» قال: «ولا يخفى على أدنى عاقل أن حقيقة معنى هذا القول، أن الله وصف نفسه في كتابه بما ظاهره المتبادر منه السابق إلى الفهم الكفر بالله ـ تعالى ـ، والقول فيه بما لا يليق به، جل وعلا والنبي، صلى الله عليه وسلم، لم يبين حرفا واحدا من ذلك حتى جاء هؤلاء الجهلة من المتأخرين فزعموا أن الله أطلق على نفسه الوصف بما ظاهره المتبادر منه لا يليق به، والنبي، صلى الله عليه وسلم، كتم أن ذلك الظاهر كفر وضلال يجب صرف اللفظ عنه، وكل هذا من تلقاء أنفسهم من غير اعتماد على كتاب أو سنة ـ سبحانك هذا بهتان عظيم ـ. ولا يخفى أن هذا القول من أكبر الضلال ومن أعظم الافتراء على الله ـ جل وعلا ـ وعلى رسوله، صلى الله عليه وسلم إلى أن قال: «والجاهل المفتري الذي يزعم أن ظاهر آيات الصفات لا يليق بالله، لأنه كفر وتشبيه، إنما جر إليه ذلك تنجيس قلبه بقذر التشبيه بين الخالق والمخلوق، فأداه شؤم التشبيه إلى نفي صفات الله ـ جل وعلا ـ وعدم الإيمان بها، مع أنه جل وعلا هو الذي وصف بها نفسه». إلى أن قال:

«ولو كان قلبه عارفا بالله كما ينبغي معظما لله كما ينبغي طاهرا من أقذار التشبيه لكان المتبادر عنده السابق إلى فهمه أن وصف الله تعالى بالغ من الكمال والجلال مايقطع أوهام علائق المشابهة بينه وبين صفات المخلوقين». ا. هـ.

فهذا كلام أهل العلم رحمهم الله تعالى في بيان ضلال من تأولوا نصوص صفات الله ـ تعالى ـ أو بعضها، وحرفوا فيها الكلم عن مواضعه بصرفها إلى معاني تخالف ظاهرها بلا دليل من الكتاب والسنة. ولكن لا يلزم من ضلال المتأول أن يستحق الوصف بالضلال المطلق الموجب للذم المطلق إذا علم منه حسن القصد والصدق في طلب الحق، لأن المجتهد إذا أصاب كان له أجران وإن أخطأ كان له أجر واحد، والخطأ مغفور.

عاشرًا: ذكر فضيلتكم كلاما في الأشاعرة غريبا فقلتم ص. . . . عدد. . . . لهم تأويلات مخالفة لما ذهب إليه السلف، وذكرت في نفس الصفحة أنهم أولوا بما يتفق مع القرآن، وأن عقيدتهم على الوجه الصحيح وذكرت في ص. . . . عدد. . . . عن طائفتي أهل السنة: السلف وأهل التأويل كما قسمتهم مانصه: مع اعتقادهم جميعا صفات الله ـ تعالى ـ دون تعطيل، أو تجسيم وذكرت في الصفحة نفسها أنهم مالوا إلى التأويل في بعض الصفات لأنهم كان من اللازم عليهم أن يصارعوا الباطل بنفس السلاح الذي يتسلح به خصومهم، وأن يقاوموا ضلالهم بالحجة الساطعة والبرهان القاطع.

وذكرت في عدة مواضع أنهم مخطئون في تأويلهم كما في ص. . . . عدد. . . . وفي أول ص. . . . عدد. . . . وأول ص. . . . عدد. . . . .

وهذا الاختلاف في كلامكم: إما أن يكون للتردد في أمرهم، وإما

أن يكون للتهيب من إبطال طريقتهم، وإما للتمويه على القاريء. فالأخير أعيذك بالله منه وأعيذ سائر علمائنا منه. وأما الثاني فلا ينبغي أن نتهيب من وصف القول الذي تبين خطؤه أنه ضلال لقوله تعالى: **﴿يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين﴾** [1]. وقوله: **﴿ياأيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على أن لا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون﴾** [2]. فنهى الله - تعالى - أن يحملنا بغض قوم على عدم العدل، فمثله أن يحملنا حب قوم على عدم العدل، ومن المعلوم أنه ليس من العدل أن نقول هؤلاء الأشاعرة على حق، والسلف على الباطل، وليس من الممكن أن نقول إن الجميع على حق، لاختلاف منهجيهما فتعين أن نقول: إن السلف هم الذين على الحق وأن نتذكر قول الله - عزّ وجلّ -: **﴿فماذا بعد الحق إلا الضلال﴾** [3]. وفي صحيح البخاري أن أباموسى الأشعري سئل عن ابنة وابنة ابن وأخت فقال: للابنة النصف، وللأخت النصف، وائت ابن مسعود فسيتابعني فسئل ابن مسعود وأخبر بقول أبي موسى فقال: «لقد ضللت إذن وما أنا من المهتدين، أقضي فيها بما قضى النبي، صلى الله عليه وسلم، للابنة النصف، ولابنة الابن السدس تكملة الثلثين، ومابقي فللأخت». فتأمل كيف وصف ابن مسعود مخالفة الحق بالضلال، ونسبه إلى نفسه في مسألة من مسائل فقه الفرائض، فكيف لا توصف مخالفة الحق بالضلال في مسألة

---

(١) سورة النساء، الآية «١٣٥».

(٢) سورة المائدة، الآية «٨».

(٣) سورة يونس، الآية «٣٢».

من مسائل الفقه الأكبر، فقه أسماء الله تعالى وصفاته. ؟!

وأما الاحتمال الثالث (التردد في أمرهم) فإن من تدبر كتاب الله - تعالى - طالبا الهدى منه، وتدبر ما ثبت من سنة رسول الله، صلى الله عليه وسلم، بهذا القصد تبين له الحق، واتضح له أن طريق السلف هو الصواب والهدى، وأنه هو الذي يمكن أن نرد به شبه المبطلين، ونسد به سبل الزائغين، وأنه هو المحجة الساطعة والبرهان القاطع. وقد سبق في كتابنا هذا بيان أن أهل التأويل من المعتزلة وغيرهم احتجوا لباطلهم بطريق الأشاعرة، وأن طريق الأشاعرة كانت حجة لهم حيث احتج أولئك المعتزلة وغيرهم عليهم بما احتجوا به (أعني الأشاعرة) لأنفسهم فقالوا: إذا كان طريق إثبات الصفات عندكم العقل فما لم يدل عليه العقل صرفتموه عن ظاهره فإننا نحتج عليكم به فإن عقولنا لا تقتضي إثبات الصفات التي أثبتموها فنحن نصرف نصوصها عن ظاهرها كما أنكم فعلتم ذلك مع أهل السنة فقلتم: إن عقولنا لا تقتضي إثبات مازاد على الصفات السبع التي نثبتها فنحن نصرف نصوصها عن ظاهرها.

وإذا تبين أن طريق السلف هو الحق والهدى والحجة فلماذا نتردد في طريق من خالفه، ونتذبذب في الحكم عليهم؟ إن الدين، والعقل، والحزم والشجاعة كلها تقتضي أن نقول للحق هو حق، ولما خالفه هو ضلال مهما كان القائل به كمًّا أو كيفا، ليبين الحق ويتميز، فيعبد الناس ربهم على بصيرة ويدعوا إليه على بصيرة.

إنكم لو تأملتم طريقة الأشاعرة في باب أسماء الله تعالى وصفاته حق التأمل لتبين لكم أنه لا وجه للتردد في شأنهم ولا لتَهَيُّب إبطال طريقتهم.

فالله يقول عن نفسه: ﴿ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام﴾ [1] .

وهم يقولون: ليس لله تعالى وجه.

والله يقول عن نفسه مخاطبا موسى: ﴿ولتصنع على عيني﴾ [2] .

وهم يقولون: ليس لله عين.

والله يقول عن نفسه: ﴿بل يداه مبسوطتان﴾ [3] .

وهم يقولون: ليس لله يدان.

والله يقول عن نفسه: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ [4] .

وهم يقولون: ما استوى على العرش.

والله يقول عن نفسه: ﴿وجاء ربك والملك﴾ [5] . ويقول: ﴿أو يأتي ربك أو يأتي بعض آيات ربك﴾ [6] .

وهم يقولون: إن الله لا يجيء ولا يأتي.

والله يقول عن نفسه: ﴿إن الله يحب المقسطين﴾ [7] .

وهم يقولون: إن الله لا يحب.

---

(١) سورة الرحمن، الآية «٢٧».

(٢) سورة طه، الآية «٣٩».

(٣) سورة المائدة، الآية «٦٤».

(٤) سورة طه، الآية «٥».

(٥) سورة الفجر، الآية «٢٢».

(٦) سورة الأنعام، الآية «١٥٨».

(٧) سورة المائدة، الآية «٤٢».

والله يقول عن نفسه: ﴿**لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة**﴾[1].

وهم يقولون: إن الله لا يرضى.

والله يقول عن نفسه: ﴿**ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم**﴾[2].

وهم يقولون: إن الله لا يكره.

والله ـ تعالى ـ يقول: ﴿**الظانين بالله ظن السوء عليهم دائرة السوء وغضب الله عليهم ولعنهم**﴾[3].

وهم يقولون: إن الله لا يغضب.

والله يقول عن نفسه: ﴿**وربك الغفور ذو الرحمة**﴾[4].

وهم يقولون: ليس لله ـ تعالى ـ رحمة هي وصفه.

والنبي، صلى الله عليه وسلم، قال عن ربه: «**ينزل ربنا إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر**» متفق عليه.

وهم يقولون: إن الله لا ينزل.

والنبي، صلى الله عليه وسلم، قال عن ربه: «**وإذا أبغض عبدا دعا جبريل فيقول إني أبغض فلانا فأبغضه**» رواه مسلم.

وهم يقولون: إن الله لا يبغض.

والنبي، صلى الله عليه وسلم، قال: «**ولايزال يدعو حتى يضحك الله منه فإذا ضحك الله منه قال ادخل الجنة**» متفق عليه.

---

(١) سورة الفتح، الآية «١٨».

(٢) سورة التوبة، الآية «٤٦».

(٣) سورة الفتح، الآية «٦».

(٤) سورة الكهف، الآية «٥٨».

وهم يقولون: إن الله لا يضحك.

والنبي، صلى الله عليه وسلم، قال عن ربه: «**لله أشد فرحا بتوبة أحدكم من أحدكم بضالته إذا وجدها**» رواه مسلم.

وهم يقولون: إن الله لا يفرح.

والنبي، صلى الله عليه وسلم، قال عن ربه: «**عجب الله من قوم يدخلون الجنة في السلاسل**». رواه البخاري.

وهم يقولون: إن الله لا يعجب.

إلى غير ذلك من الصفات التي أثبتها الله ـ تعالى ـ لنفسه في كتابه، أو على لسان رسوله، صلى الله عليه وسلم، وهم ينكرون أن تكون لله ـ تعالى ـ على الحقيقة، ويقولون هي مجاز عن معانٍ عينوها بعقولهم، وزعموا أنها المرادة بكلام الله ـ تعالى ـ وكلام رسوله، صلى الله عليه وسلم، وإذا كانت هذه النصوص مجازا بإقرارهم، فإن أبرز علامات المجاز صحة نفيه فيكون نفيها سائغا على زعمهم مع أن الله أثبتها لنفسه والله المستعان.

حادي عشر: في ص.... عدد.... دعا فضيلتكم إلى الكف عن مهاجمة أتباع المذاهب والأشاعرة، والإخوان، حتى الصوفيين أصحاب الطرق المعروفة وعللتم ذلك بأن الجميع يريدون وجه الله ويجمعهم شيء واحد وهو حب الإسلام، وخدمة الدين، ومنهم من يخطيء في الأسلوب، أو في الطريق ثم دعوتم إلى أن نوجههم بالحسنى إلى الجادة.

ولا ريب أن التوجيه بالحسنى مطلوب، وأن للدعوة إلى سبيل الله ـ تعالى ـ أربع مراتب ذكرها الله ـ تعالى ـ في آيتين أولاهما: قوله ـ تعالى ـ: ﴿**ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي**

أحسن﴾ [1] . والثانية: قوله تعالى: **﴿ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم﴾** [2] .

وكثير من هؤلاء المخالفين للسلف تقوم عليهم الحجة بأوضح بيان وأفصح عبارة، ولكنهم يعاندون وربما يعتدون، ويستطيلون على أهل الحق بوصفهم بألقاب السوء؛ لينفروا الناس عن الحق الذي هم عليه، ومثل هؤلاء لا يمكن الدعوة إلى مداهنتهم وترك مهاجمتهم؛ لأن ذلك إضعاف لجانب الحق، وذل وخنوع لأهل الباطل.

وأما التعليل الذي ذكرتموه من أن الجميع يريدون وجه الله ويجمعهم حب الإسلام وخدمة الدين، فلا ريب أن بعضهم يدعي ذلك، ولكن الإخلاص وحده لا يكفي بل لابد من عمل صالح ولا يكون العمل صالحا حتى يكون مخلصا لله، متبعا فيه شريعته التي كان عليها رسول الله، صلى الله عليه وسلم، والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار، والذين اتبعوهم بإحسان قال الله ـ تعالى ـ: **﴿بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾** [3] . فلم يكتف بمجرد إسلام الوجه لله ـ تعالى ـ بل قيد ذلك بقوله **﴿وهو محسن﴾** ومن المعلوم أن المشركين الذين يعبدون الأصنام ويتخذونهم أولياء كانوا يدعون حسن القصد يقولون **﴿مانعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى﴾** [4] . وأن من هؤلاء الطوائف ـ الذين دعوتم إلى ترك مهاجمتهم وزعمتم أنهم يريدون

---

(١) سورة النحل، الآية «١٢٥».

(٢) سورة العنكبوت، الآية «٤٦».

(٣) سورة البقرة، الآية «١١٢».

(٤) سورة الزمر، الآية «٣».

وجه الله ـ من اتخذ من دون الله أولياء يحبونهم كحب الله أو أشد.

ثم إن كل من يدعى أنـه يريد وجه الله والدار الآخرة، فإنه غير مقبول في دعواه حتى يأتي بالبينة التي نصبها الله تعالى برهانا على ذلك، في قوله ـ تعالى ـ لرسوله محمد، صلى الله عليه وسلم، ﴿**قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم قل أطيعوا الله والرسول فإن تولوا فإن الله لا يحب الكافرين**﴾ [1] . فمن أدعى أنه يريد وجه الله، وأنه يحب دينه وهو الإسلام، نظرنا في موقفه تجاه الإسلام فإن كان على ماكان عليه رسول الله، صلى الله عليه وسلم، في العقيدة، والقول، والعمل كان صادقا في دعواه، وإن قصر في ذلك علمنا أنه قد نقص من صدقه بقدر ماقصر فيه.

وليعلم فضيلتكم أن كثـرة العـدد ليس وحـده السبب في نصرة الإسلام وعزة المؤمنين فقد قال النبي، صلى الله عليه وسلم، «**لن يغلب اثنا عشر ألفا من قلة**» كما رواه أحمد وأبوداود وغيرهما وأعله الترمذي، وإنما النصرة لمن نصر الله عزّ وجل واتبع رسوله ظاهرا وباطنا قال الله تعالى: ﴿**يأيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم**﴾ [2] . وقال تعالى: ﴿**وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا**﴾ [3] . وقال جل ذكره ﴿**ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة**

---

(١) سورة آل عمران، الآيتان «٣١ ـ ٣٢».

(٢) سورة محمد، الآية «٧».

(٣) سورة النور، الآية «٥٥».

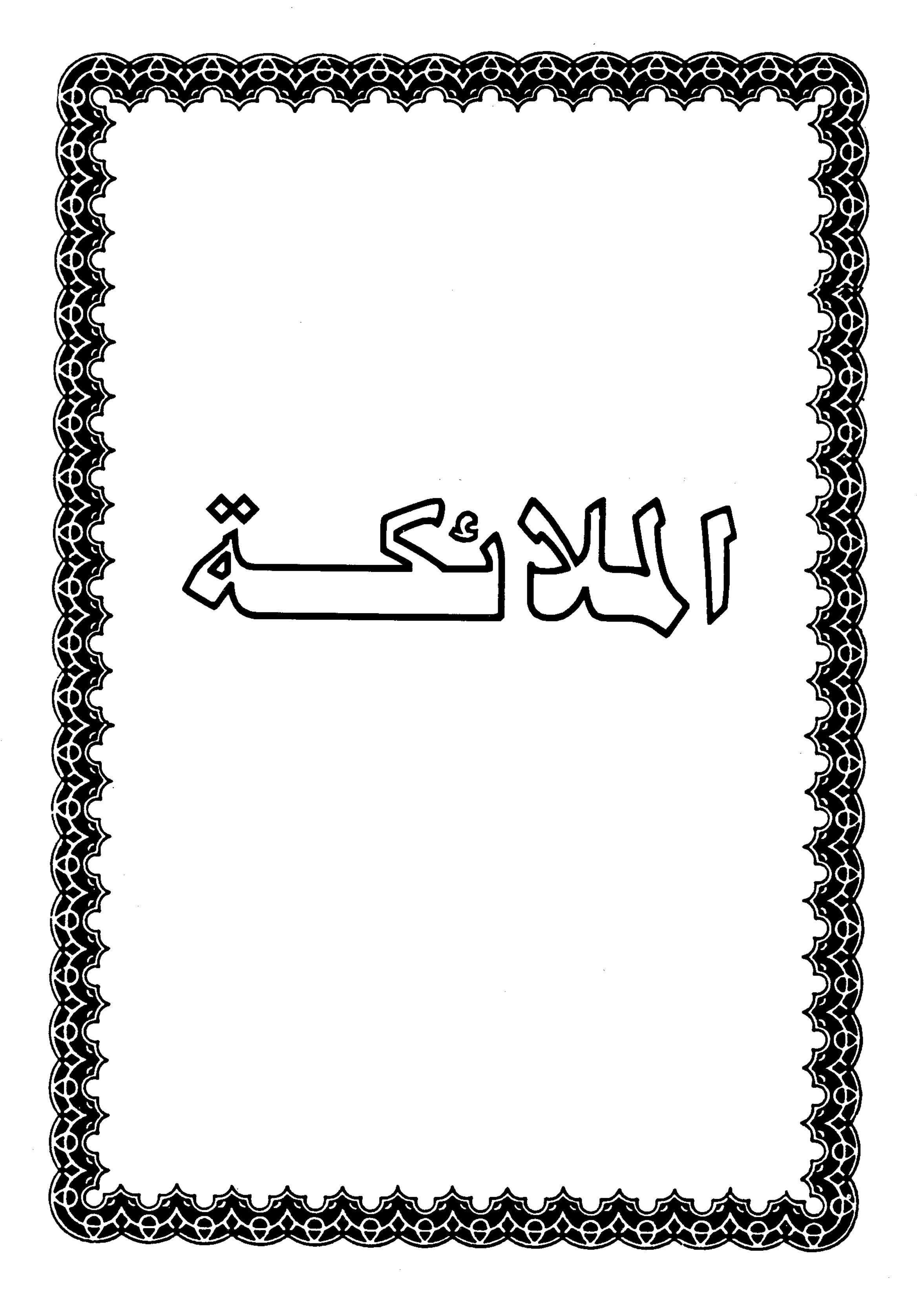
وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور﴾ (1)

فنسأل الله تعالى أن يجمع المسلمين على كلمة الحق، وأن يعيذهم من البدع والفتن ماظهر منها ومابطن، وأن يمكن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وأن يصلح لهم ولاة أمورهم، وأن يجعلنا وإياكم من الهداة المهتدين، وقادة الخير المصلحين، وأن لا يزيغ قلوبنا بعد إذ هدانا، وأن يهب لنا منه رحمة إنه هو الوهاب.

والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا، محمد وعلى آله وصحبه، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

٢٤/١٢/١٤٠٣هـ.

(١) سورة الحج، الآيتان «٤٠ ـ ٤١».


الملائكة



١٠٧ سئل فضيلة الشيخ - حفظه الله -: أيهما أفضل الملائكة أم الصالحون من البشر؟

فأجاب بقوله: هذه المسألة وهي المفاضلة بين الملائكة وبين الصالحين من البشر محل خلاف بين أهل العلم وكل منهم أدلى بدلوه فيما يحتج به من النصوص، ولكن القول الراجح أن يقال إن الصالحين من البشر أفضل من الملائكة باعتبار النهاية فإن الله - سبحانه وتعالى - يعد لهم من الثواب ما لا يحصل مثله للملائكة فيما نعلم، بل إن الملائكة في مقرهم أي في مقر الصالحين وهو الجنة يدخلون عليهم من كل باب ﴿**سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار**﴾[١].

أما باعتبار البداية فإن الملائكة أفضل لأنهم خلقوا من نور وجبلوا على طاعة الله - عز وجل - والقوة عليها كما قال الله - تعالى - في ملائكة النار: ﴿**عليها ملائكةٌ غلاظٌ شدادٌ لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون**﴾[٢] وقال - عز وجل -: ﴿**ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون. يسبحون الليل والنهار لا يفترون**﴾[٣] هذا هو القول الفصل في هذا المسألة.

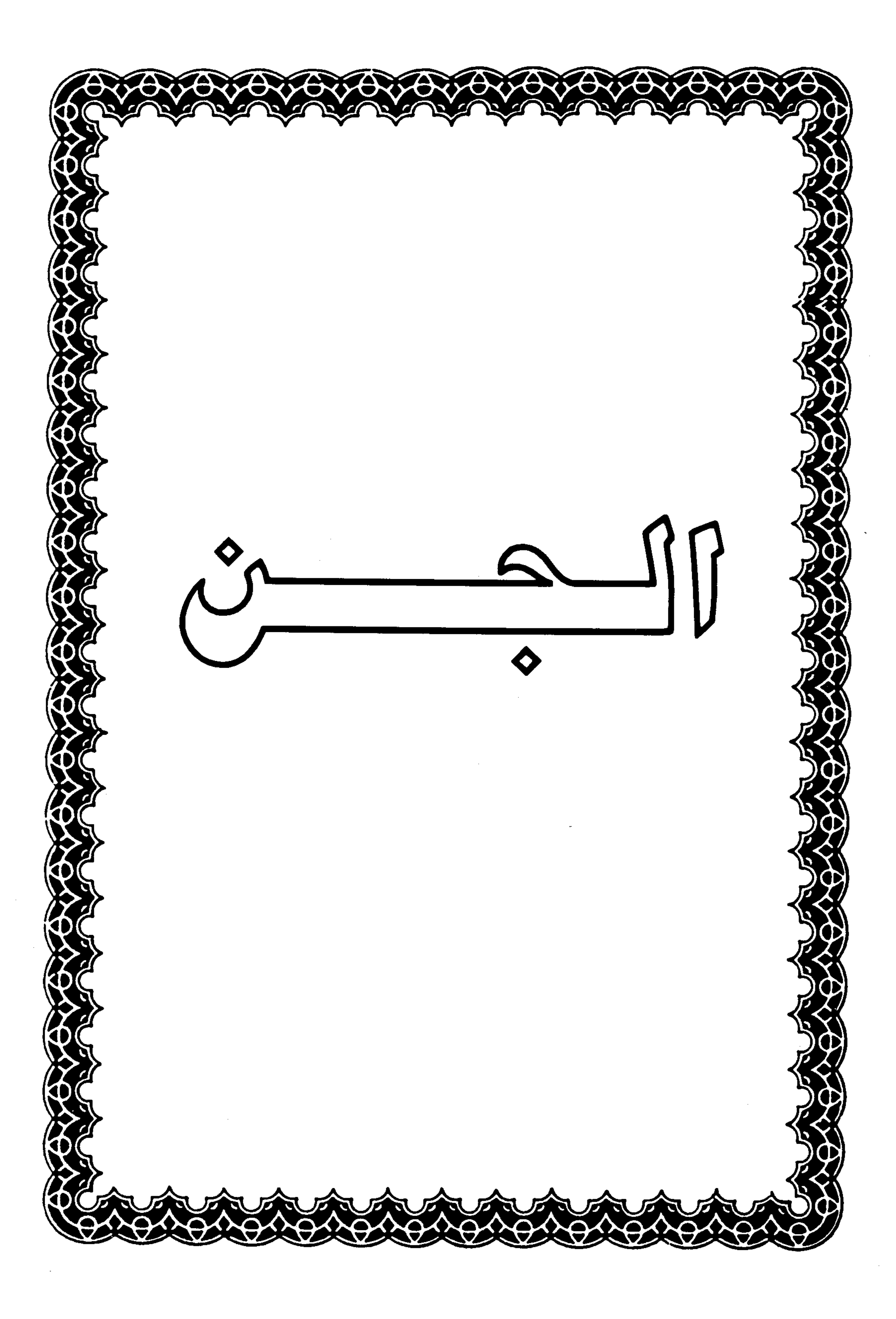
---

(١) سورة الرعد، الآية «٢٤».

(٢) سورة التحريم، الآية «٦».

(٣) سورة الأنبياء، الآيتان «١٩ - ٢٠».

وبعد فإن الخوض فيها وطلب المفاضلة بين صالحي البشر والملائكة من فضول العلم الذي لا يضطر الإنسان إلى فهمه والعلم به والله المستعان.



الجن



١٠٨ وسئل فضيلة الشيخ: هل الجن من الملائكة؟

فأجاب بقوله: الجن ليسوا من الملائكة، لأن الملائكة خلقوا من نور والجن خلقوا من نار قال الله ـ تعالى ـ: **﴿والجانَّ خلقناه من قبلُ من نار السموم﴾**(١). وثبت عن النبي، صلى الله عليه وسلم، أن الملائكة خلقوا من نور، ولأن الملائكة كما وصفهم الله ـ تعالى ـ بقوله: **﴿عباد مكرمون لا يسبقـونـه بالقـول وهم بأمره يعملون﴾**(٢). والجن فيهم المؤمن والكافر والمطيع والعاصي قال الله ـ تعالى ـ: **﴿قال ادخلوا في أمم قد خلت من قبلكم من الجن والإنس في النــار﴾**(٣). وقــال عن الجن: **﴿وأنـا منـا المسلمون ومنا القاسطون فمن أسلم فأولئك تحروا رشدًا وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبًا﴾**(٤). وقال عنهم أيضًا: **﴿وأنا منا الصالحون ومنا دون ذلك كنا طرائق قددًا﴾**(٥). ولأن الملائكة ـ كما قال أهل العلم ـ صمد لا يأكلون ولا يشربون، والجن يأكلون ويشربون فقد ثبت عن النبي، صلى الله عليه وسلم، أنه قال للجن الذين وفدوا إليه: «**لكم كل عظم ذكر اسم الله عليه تجدونه أوفر ما يكون لحمًا**». فتبين بهذه الأدلة أن الملائكة ليسوا من الجن فأمـا قولـه ـ تعـالى ـ: **﴿فسجـد الملائكـة كلهم أجمعون إلا**

---

(١) سورة الحجر، الآية «٢٧».

(٢) سورة الأنبياء، الآيتان «٢٦ ـ ٢٧».

(٣) سورة الأعراف، الآية «٣٨».

(٤) سورة الجن، الآيتان «١٤ ـ ١٥».

(٥) سورة الجن، الآية «١١».

إبليس﴾[1] . فإنما استثناه لأنه كان معهم حينذاك وليس منهم ويبين ذلك قوله ـ تعالى ـ في سورة الكهف ﴿**فسجدوا إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه**﴾[2] . فعلل فسقه عن أمر ربه بكونه من الجن، ولو كان الملائكة من الجن لأمكن أن يفسقوا عن أمر ربهم كما فسق إبليس، وهذا الاستثناء يسمى استثناء منقطعًا كما يقول النحويون «جاء القوم إلا حمارًا» وهو كلام عربي فصيح، فاستثنى الحمار من القوم وإن لم يكن منهم.

١٠٩ وسئل ـ جزاه الله عنا وعن المسلمين خيراً ـ: هل إبليس من الملائكة؟

فأجاب بقوله: إبليس ليس من الملائكة لأن إبليس خلق من نار والملائكة خلقت من نور، ولأن طبيعة إبليس غير طبيعة الملائكة، فالملائكة وصفهم الله ـ تعالى ـ بأنهم: ﴿**لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون**﴾[3] . ووصفهم الله ـ تعالى ـ بقوله: ﴿**ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون يسبحون الليل والنهار لا يفترون**﴾[4] أما الشيطان فإنه على العكس من ذلك فإنه كان مستكبراً كما قال ـ تعالى ـ: ﴿**إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين**﴾[5] ولكن لما وجه الخطاب إلى الملائكة بالسجود لآدم وكان إبليس من بينهم ـ أي معهم مشاركًا لهم

---

(١) سورة الحجر، الآية «٣١».

(٢) سورة الكهف، الآية «٥٠».

(٣) سورة التحريم، الآية «٦».

(٤) سورة الأنبياء، الآيتان «١٩ ـ ٢٠».

(٥) سورة البقرة، الآية «٣٤».

في العبادة وإن كان قلبه ـ والعياذ بالله ـ منطويًا على الكفر والاستكبار صار الخـطاب متوجهًا إلى الجميع فلهذا صح استثناؤه منهم فقال ـ تعالى ـ: ﴿فسجدوا إلا إبليس﴾ وإلا فأصله ليس منهم بلا شك كما قال ـ تعالى ـ: ﴿فسجدوا إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه﴾[1] . والله أعلم .

١١٠ وسئل فضيلته: هل للجن تأثير على الإنس وما طريق الوقاية منهم؟

فأجاب بقوله: لا شك أن الجن لهم تأثير على الإنس بالأذية التي قد تصل إلى القتل، وربما يؤذونه برمي الحجارة، وربما يروعون الإنسان إلى غير ذلك من الأشياء التي ثبتت بها السنة ودل عليها الواقع، فقد ثبت أن الرسول، صلى الله عليه وسلم، أذن لبعض أصحابه أن يذهب إلى أهله في إحدى الغزوات ـ وأظنها غزوة الخندق ـ وكان شابًّا حديث عهد بعرس، فلما وصل إلى بيته وإذا امرأته على الباب فأنكر عليها ذلك، فقالت له: ادخل فدخل فإذا حية ملتوية على الفراش وكان معه رمح فوخزها بالرمح حتى ماتت وفي الحال ـ أي الزمن الذي ماتت فيه الحية ـ مات الرجل فلا يدري أيهما أسبق موتًا الحية أم الرجل فلما بلغ ذلك النبي، صلى الله عليه وسلم، فنهى عن قتل الجنَّان التي تكون في البيوت إلا الأبتر وذا الطُّفتين.

وهذا دليل على أَن الجن قد يعتدون على الإنس وأنهم يؤذونهم كما أن الواقع شاهد بذلك فإنه قد تواترت الأخبار واستفاضت بأن الإنسان قد يأتي إلى الخـربـة فيرمى بالحجـارة وهو لا يرى أحدًا من الإنس في هذه الخربة، وقد يسمع أصواتًا وقد يسمع حفيفًا كحفيف الأشجار وما أشبه

---

(١) سورة الكهف، الآية «٥٠».

ذلك مما يستوحش به ويتأذى به، وكذلك أيضًا قد يدخل الجني إلى جسد الآدمي، إما بعشق، أو لقصد الإيذاء، أو لسبب آخر من الأسباب ويشير إلى هذا قوله ـ تعالى ـ: ﴿**الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبَّطه الشيطانُ من المس**﴾[1]. وفي هذا النوع قد يتحدث الجني من باطن الإنسي نفسه ويخاطب من يقرأ عليه آيات من القرآن الكريم وربما يأخذ القارىء عليه عهدًا ألا يعود إلى غير ذلك من الأمور الكثيرة التي استفاضت بها الأخبار وانتشرت بين الناس، وعلى هذا فإن الوقاية المانعة من شر الجن أن يقرأ الإنسان ما جاءت به السنة مما يتحصن به منهم مثل آية الكرسي، فإن آية الكرسي إذا قرأها الإنسان في ليلة لم يزل عليه من الله حافظ ولا يقربه شيطان حتى يصبح. والله الحافظ.

١١١ وسئل فضيلة الشيخ: هل للجن حقيقة؟ وهل لهم تأثير؟ وما علاج ذلك؟

فأجاب قائلاً: أما حقيقة حياة الجن فالله أعلم بها ولكننا نعلم أن الجن أجسام حقيقية وأنهم خلقوا من النار وأنهم يأكلون ويشربون ويتزاوجون ولهم ذرية كما قال الله ـ تعالى ـ في الشيطان: ﴿**أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو**﴾[2] وأنهم مكلفون بالعبادات فقد أرسل إليهم النبي، عليه الصلاة والسلام، وحضروا واستمعوا القرآن كما قال الله ـ تعالى ـ: ﴿**قل أُوحي إلي أنه استمع نفر من الجن فقالوا إنا**

(١) سورة البقرة، الآية «٢٧٥».

(٢) سورة الكهف، الآية «٥٠».

سمعنا قرآنًا عجبًا. يهدي إلى الرشد فآمنا به ولن نشركَ بربنا أحدًا﴾[1] وكما قال ـ تعالى ـ: **﴿وإذ صرفنا إليك نفرًا من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا فلما قضى ولوا إلى قومهم منذرين قالوا يا قومنا إنا سمعنا كتابًا أنزل من بعد موسى مصدقًا لما بين يديه يهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم﴾**[2] إلى آخر الآيات. وثبت عن النبي، عليه الصلاة والسلام، أنه قال للجن الذين وفدوا إليه وسألوه الزاد قال: «**لكم كل عظم ذكر اسم الله عليه تجدونه أوفر ما يكون لحمًا**» وهم ـ أعني الجن ـ يشاركون الإنسان إذا أكل ولم يذكر اسم الله على أكله، ولهذا كانت التسمية على الأكل واجبة وكذلك على الشرب كما أمر بذلك النبي، صلى الله عليه وسلم، وعليه فإن الجن حقيقة واقعة وإنكارهم تكذيب للقرآن وكفر بالله ـ عز وجل ـ وهم يؤمرون، وينهون، ويدخل كافرهم النار كما قال الله ـ تعالى ـ: **﴿قال ادخلوا في أمم قد خلت من قبلكم من الجن والإنس في النار كلما دخلت أمة لعنت أختها﴾**[3] ومؤمنهم يدخل الجنة أيضا لقوله ـ تعالى ـ: **﴿ولمن خاف مقام ربه جنتان فبأي آلاء ربكما تكذبان ذواتا أفنان. فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾**[4] والخطاب للجن والإنس. ولقوله تعالى: **﴿يا معشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا شهدنا على أنفسنا وغرتهم الحياة الدنيا**

---

(١) سورة الجن، الآيتان «١ ـ ٢».

(٢) سورة الأحقاف، الآيتان «٢٩ ـ ٣٠».

(٣) سورة الأعراف، الآية «٣٨».

(٤) سورة الرحمن، الآيات «٤٦ ـ ٤٩».

وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين﴾[1] إلى غير ذلك من الآيات والنصوص الدالة على أنهم مكلفون يدخلون الجنة إذا آمنوا ويدخلون النار إذا لم يؤمنوا.

أما تأثيرهم على الإنس فإنه واقع أيضًا فإنهم يؤثرون على الإنس؛ إما أن يدخلوا في جسد الإنسان فيصرع ويتألم، وإما أن يؤثروا عليه بالترويع والإيحاش وما أشبه ذلك.

والعلاج من تأثيرهم بالأوراد الشرعية مثل قراءة آية الكرسي، فإن من قرأ آية الكرسي في ليلة لم يزل عليه من الله حافظ ولا يقربه شيطان حتى يصبح.

١١٢ وسئل: هل يجوز للإنسان أن يدعو الله أن يهدي شيطانه؟

فأجاب قائلاً: لا يجوز أن يدعو أحد بهذا؛ لأنه ينافي حكمة الله وقضاءه وقدره، فإن الله ـ سبحانه ـ قضى بحكمته على إبليس باللعنة إلى يوم الدين.

١١٣ سئل فضيلة الشيخ: عن حكم خدمة الجن للإنس؟

فأجاب بقوله: ذكر شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ في المجلد الحادي عشر من مجموع الفتاوى ما مقتضاه أن استخدام الإنس للجن له ثلاث حالات:

الأولى: أن يستخدمه في طاعة الله كأن يكون نائبًا عنه في تبليغ الشرع، فمثلاً إذا كان له صاحب من الجن مؤمن يأخذ عنه العلم

(١) سورة الأنعام، الآية «١٣٠».

فيستخـدمـه في تبليغ الشرع لنـظرائه من الجن، أو في المعونة على أمور مطلوبة شرعًا فإنه يكون أمرًا محمودًا أو مطلوبًا وهو من الدعوة إلى الله ـ عز وجل ـ. والجن حضروا النبي، صلى الله عليه وسلم، وقرأ عليهم القرآن وولـوا إلى قومهم منـذرين، والجن فيهم الصلحـاء، والعباد، والزهاد، والعلماء؛ لأن المنذر لابد أن يكون عالمًا بما ينذر عابدًا.

الثانية: أن يستخدمهم في أمور مباحة فهذا جائز بشرط أن تكون الوسيلة مباحة، فإن كانت محرمة فهو محرم مثل أن لا يخدمه الجني إلا أن يشرك بالله كأن يذبح للجني و يركع له أو يسجد ونحو ذلك.

الثالثة: أن يستخدمهم في أمور محرمة كنهب أموال الناس وترويعهم وما أشبه ذلك، فهذا محرم لما فيه من العدوان والظلم، ثم إن كانت الوسيلة محرمة أو شركًا كان أعظم وأشد.

١١٤ وسئل: عن حكم سؤال الجن وتصديقهم فيما يقولون؟

فأجاب قائلاً: سؤال الجن وتصديقهم فيما يقولون: قال عنه شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى: إن من يسأل الجن أو يسأل من يسأل الجن على وجه التصديق لهم في كل ما يخبرون به والتعظيم للمسئول فهو حرام.

وأما إن كان ليمتحن حاله ويختبر باطن أمره، وعنده ما يميز به صدقه من كذبـه فهـذا جائـز، ثم استدل له، ثم ذكر ما روى عن أبي موسى الأشعري أنه أبطأ عليه خبر عمر ـ رضي الله عنه ـ وكان هناك امرأة لها قرين أي صاحب من الجن فسأله عنه فأخبره أنه ترك عمر يسم إبل الصدقة.

١١٥ سئل الشيخ: هل الجن يعلمون الغيب؟

فأجاب بقوله: الجن لا يعلمون الغيب ولا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله واقرأ قوله ـ تعالى ـ: ﴿**فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على موته إلا دابةُ الأرض تأكل مِنْسَأتَه فلما خر تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين**﴾(١) ومن ادعى علم الغيب فهو كافر. ومن صدق من يدعي علم الغيب فإنه كافر أيضًا لقوله ـ تعالى ـ: ﴿**قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله**﴾(٢) فلا يعلم غيب السموات والأرض إلا الله وحده، وهؤلاء الذين يدعون أنهم يعلمون الغيب في المستقبل كل هذا من الكهانة وقد ثبت عن النبي، صلى الله عليه وسلم: «**أن من أتى عرافًا فسأله لم تقبل له صلاة أربعين يومًا**» فإن صدقه فإنه يكون كافرًا لأنه إذا صدقه بعلم الغيب فقد كذب قوله ـ تعالى ـ: ﴿**قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله**﴾.

١١٦ وسئل فضيلة الشيخ: هناك من يحضر الجن بطلاسم يقولها ويجعلهم يخرجون له كنوزًا مدفونة في الأرض منذ زمن بعيد فما حكم هذا العمل؟

فأجاب قائلًا: هذا العمل ليس بجائز فإن هذه الطلاسم التي يحضرون بها الجن ويستخدمونهم بها لا تخلو من شرك في الغالب والشرك أمره خطير قال الله ـ تعالى ـ: ﴿**إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة**

---

(١) سورة سبأ، الآية «٢٤».

(٢) سورة النمل، الآية «٦٥».

ومـأواه النـار ومـا للظالمـين من أنصار﴾[1] والذي يذهب إليهم يغريهم ويغرهم، يغريهم بأنفسهم وأنهم على حق، ويغرهم بما يعطيهم من الأموال فالـواجب مقاطعة هؤلاء، وأن يدع الإنسان الذهاب إليهم، وأن يحذر إخوانه المسلمين من الذهاب إليهم، والغالب في أمثال هؤلاء أنهم يحتالون على الناس ويبتزون أموالهم بغير حق، ويقولون القول تخرصًا ثم إن وافق القدر أخذوا ينشرونه بين الناس ويقولون نحن قلنا وصار كذا ونحن قلنا وصـار كذا، وإن لم يوافق ادعوا دعاوى باطلة أنها هي التي منعت هذا الشيء، وإني أوجه النصيحة إلى من ابتلي بهذا الأمر وأقول لهم: احذروا أن تمتطوا الكذب على الناس والشرك بالله ـ عز وجل ـ وأخذ أموال الناس بالباطل، فإن أمد الدنيا قريب والحساب يوم القيامة عسير، وعليكم أن تتـوبـوا إلى الله تعالى من هذا العمل، وأن تصححوا أعمالكم، وتطيبوا أموالكم والله الموفق.

١١٧ سئل فضيلة الشيخ: هل هناك دليل على أن الجن يدخلون الإنس؟

فأجاب بقوله: نعم هناك دليل من الكتاب والسنة، على أن الجن يدخلون الإنس، فمن القـرآن قوله ـ تعالى ـ: **﴿الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس﴾**[2] قال ابن كثير ـ رحمه الله ـ: «لا يقومون من قبورهم يوم القيامة إلا كما يقوم المصروع حال صرعه، وتخبط الشيطان له».

(١) سورة المائدة، الآية «٧٢».

(٢) سورة البقرة، الآية «٢٧٥».

ومن السنة قوله، صلى الله عليه وسلم: «**إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم**».

وقال الأشعري في مقالات أهل السنة والجماعة: «إنهم - أي أهل السنة - يقولون إن الجني يدخل في بدن المصروع». واستدل بالآية السابقة.

وقال عبدالله بن الإمام أحمد: «قلت لأبي: إن قومًا يزعمون أن الجني لا يدخل في بدن الإنسي فقال: يا بني يكذبون هو ذا يتكلم على لسانه».

وقد جاءت أحاديث عن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، رواها الإمام أحمد والبيهقي، أنه أتى بصبي مجنون فجعل النبي، صلى الله عليه وسلم، يقول: «**اخرج عدو الله، اخرج عدو الله**»، وفي بعض ألفاظه: «**اخرج عدو الله أنا رسول الله**». فبرأ الصبي.

فأنت ترى أن في هذه المسألة دليلاً من القرآن الكريم ودليلين من السنة، وأنه قول أهل السنة والجماعة وقول أئمة السلف، والواقع يشهد به ومع هذا لا ننكر أن يكون للجنون سبب آخر من توتر الأعصاب واختلال المخ وغير ذلك.

فصـــــل

118 **قال فضيـلة الـشيـخ ـ جزاه الله عن الإسـلام والمسلمين خير الجزاء ـ:**

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي خلق الجن والإنس ليعبدوه، وشرع لهم ما تقتضيه حكمته ليجازيهم بما عملوه، وأشهد أن لا إلـه إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وكان الله على كل شيء قديرًا، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، المبعوث إلى الإنس والجن بشيراً ونذيرًا، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه، ومن تبعهم بإحسان وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد:

فقد قال الله ـ تعالى ـ: **﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون، ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين﴾**(١).

والجن عالم غيبي خلقوا من نار، وكان خلقهم قبل خلق الإنس، كما قال الله ـ تعالى ـ: **﴿ولقد خلقنا الإنسان من صلصال من حمإ مسنون، والجان خلقناه من قبل من نار السموم﴾**(٢) وهم مكلفون، يوجه إليهم أمر الله ـ تعالى ـ ونهيه، فمنهم المؤمن، ومنهم الكافر، ومنهم المطيع، ومنهم العاصي، قال الله ـ تعالى ـ عنهم: **﴿وأنا منا المسلمون ومنا القاسطون**

---

(١) سورة الذاريات، الآية «٥٦».

(٢) سورة الحجر، الآيتان «٢٦ ـ ٢٧».

فمن أسلم فأولئك تحروا رشدًا . وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبًا﴾[1] . وقال: **﴿وأنا منا الصالحون ومنا دون ذلك كنا طرائق قددًا﴾**[2]. أي جماعات متفرقة وأهواء، كما يكون ذلك في الإنس، فالكافر منهم يدخل النار بالإجماع، والمؤمن يدخل الجنة كالإنس، قال الله ـ تعالى ـ: **﴿ولمن خاف مقام ربه جنتان فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾**[3]. والظلم بينهم وبين الإنس محرم، كما هو بين الآدميين. لقوله ـ تعالى ـ في الحديث القدسي: **«يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرمًا فلا تظالموا»** . رواه مسلم، ومع هذا فإنهم يعتدون على الإنس أحيانًا، كما يعتدي الإنس عليهم أحيانًا، فمن عدوان الإنس عليهم أن يستجمر الإنسان بعظم أو روث، ففي صحيح مسلم عن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ أن الجن سألوا النبي، صلى الله عليه وسلم، الزاد فقال: **«لكم كل عظم ذكر اسم الله عليه، يقع في أيديكم أوفر ما يكون لحمًا، وكل بعرة علف لدوابكم»** . وقال النبي، صلى الله عليه وسلم: **«فلا تستنجوا بهما فإنهما طعام إخوانكم»** .

ومن عدوان الجن على الإنس أنهم يتسلطون عليهم بالوسوسة التي يلقونها في قلوبهم، ولهذا أمر الله ـ تعالى ـ بالتعوذ من ذلك فقال: **﴿قل أعوذ برب الناس . ملك الناس . إلـه الناس . من شر الوسواس الخناس . الذي يوسوس في صدور الناس . من الجنَّة والناس﴾** . وتأمل كيف قال الله ـ تعالى ـ: **﴿من الجنة والناس﴾** فبدأ بذكر الجن، لأن وسوستهم

---

(١) سورة الجن، الآيتان «١٤ ـ ١٥» .

(٢) سورة الجن، الآية «١١» .

(٣) سورة الرحمن، الآية «٤٦» .

أعظم، ووصولهم إلى الإنسان أخفى.

فإن قلت: كيف يصلون إلى صدور الناس فيوسوسون فيها؟

فاستمع الجواب من محمد رسول الله، صلى الله عليه وسلم، حين قال لرجلين من الأنصار: «**إن الشيطان يجري من الإنسان مجرى الدم، وإني خشيت أن يقذف في قلوبكما شرًّا أو قال شيئًا**». وفي رواية: «**يبلغ من ابن آدم مبلغ الدم**».

ومن عدوان الجن على الإنس أنهم يخيفـونهم، ويلقون في قلوبهم الرعب، ولا سيما حين يلتجىء الإنس إليهم، ويستجيرون بهم، قال الله ـ تعالى ـ: ﴿**وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقًا**﴾[1]. أي خوفًا وإرهابًا وذعرًا.

ومن عدوان الجن على الإنس أن الجني يصرع الإنسي فيطرحـه، ويدعه يضطرب حتى يغمى عليه، وربما قاده إلى ما فيه هلاكه من إلقائه في حفرة أو ماء يغرقه، أو نار تحرقه وقد شبه الله ـ تعالى ـ آكلي الربا عند قيامهم من قبورهم بالمصروع الذي يتخبطه الشيطان، قال الله ـ تعالى ـ: ﴿**الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس**﴾[2]. قال ابن جرير: «وهو الذي يتخبطه فيصرعه». وقال ابن كثير: «إلا كما يقوم المصروع حال صرعه، وتخبط الشيطان له». وقال البغوي: «يتخبـطه الشيطان أي يصرعـه، ومعناه أن آكل الربا يبعث يوم القيامة كمثـل المصروع». وروى الإمـام أحمد في مسنده ٤/١٧١ ـ ١٧٢ عن يعلى بن مرة ـ رضي الله عنه ـ أن امرأة أتت النبي، صلى الله عليه وسلم،

---

(١) سورة الجن، الآية «٦».

(٢) سورة البقرة، الآية «٢٧٥».

بابن لها قد أصابه لمم، فقال النبي، صلى الله عليه وسلم: «**أخرج عدو الله أنا رسول الله**». قال: فبرأ الصبي فأهدت أمه إلى النبي، صلى الله عليه وسلم، كبشين وشيئًا من أقط وسمن، فأخذ النبي، صلى الله عليه وسلم، الأقط والسمن وأحد الكبشين ورد عليها الآخر، وإسناده ثقات. وله طرق قال عنها ابن كثير في تاريخه (البداية والنهاية): «فهذه طرق جيدة متعددة، تفيد غلبة الظن أو القطع عند المتبحرين أن يعلى بن مرة حدث بهذه القصة في الجملة».

قال ابن القيم ـ رحمه الله تعالى ـ وهو أحد تلاميذ شيخ الإسلام ابن تيمية البارزين في كتابه (زاد المعاد) ٤/٦٦: «الصرع صرعان: صرع من الأرواح الخبيثة الأرضية، وصرع من الأخلاط الرديئة. والثاني هو الذي يتكلم فيه الأطباء في سببه وعلاجه. وأما صرع الأرواح فأئمتهم (أي الأطباء) وعقلاؤهم يعترفون به، ولا يدفعونه. وأما جهلة الأطباء وسقطهم وسفلتهم ومن يعتقد الزندقة فضيلة، فأولئك ينكرون صرع الأرواح، ولا يقرون بأنها تؤثر في بدن المصروع، وليس معهم إلا الجهل! وإلا فليس في الصناعة الطبية ما يدفع ذلك، والحس والوجود شاهدان به، ومن له عقل ومعرفة بهذه الأرواح وتأثيراتها يضحك من جهل هؤلاء وضعف عقولهم».

وطريق التخلص من هذا النوع من الصرع في أمرين: وقاية، وعلاج:

فأما الوقاية فتكون بقراءة الأوراد الشرعية من كتاب الله ـ تعالى ـ، وصحيح سنة رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وبقوة النفس وعدم الجريان وراء الوساوس والتخيلات التي لا حقيقة لها، فإن جريان الإنسان

وراء الوساوس والأوهام يؤدي إلى أن تتعاظم هذه الأوهام والوساوس حتى تكون حقيقة.

وأما العلاج أعني علاج صرع الأرواح، فقد اعترف كبار الأطباء أن الأدوية الطبيعية لا تؤثر فيه. وعلاجه بالدعاء، والقراءة، والموعظة، وكان شيخ الإسلام ابن تيمية يعالج بقراءة آية الكرسي، والمعوذتين، وكثيراً ما يقـرأ في أذن المصروع: ﴿**أفحسبتم أنـما خلقنـاكم عبثًـا وأنكم إلينا لا ترجعون**﴾(١). قال تلميذه ابن القيم: «حدثني أنه قرأ مرة هذه الآية في أذن المصروع فقالت: الروح نعم ومد بها صوته! قال: فأخذت له عصًا وضربته بها في عروق عنقه حتى كلت يدي من الضرب. وفي أثناء ذلك قالت: أنا أحبه فقلت لها: هو لا يحبك. قالت: أنا أريد أن أحج به. فقلت لها: هو لا يريد أن يحج معك. قالت: أنا أدعه كرامة لك. قلت: لا ولكن طاعة لله ورسوله. قالت: فأنا أخرج. فقعد المصروع يلتفت يميناً وشمالاً، وقال ما جاء بي إلى حضرة الشيخ». هذا كلام ابن القيم ـ رحمه الله ـ عن شيخه، وقال ابن مفلح في كتاب: (الفروع)، وهو من تلاميذ شيخ الإسلام أيضًا: «كان شيخنا إذا أتي بالمصروع وعظ من صرعه، وأمره ونهاه، فإن انتهى وفارق المصروع أخذ عليه العهد أن لا يعود، وإن لم يأتمر ولم ينته ولم يفارق ضربه حتى يفارقه»، والضرب في الظاهر على المصروع، وإنما يقع في الحقيقة على من صرعه. وأرسل الإمام أحمد إلى مصروع ففارقه الصارع، فلما مات أحمد عاد إليه.

وبهـذا تبـين أن صرع الجن للإنس ثابت بمقتضى دلالة الكتاب والسنة، والواقع، وأنكر ذلك المعتزلة. ولولا ما أثير حول هذه المسألة من

---

(١) سورة المؤمنون، الآية «١١٥».

بلبلة وجدال أدى إلى جعل كتاب الله ـ تعالى ـ دالًّا على معاني تخييلية لا حيقيقـة لها، ولـولا أن إنكار هذا يستلزم تسفيه أئمتنا وعلمائنا من أهل السنة، أو تكذيبهم أقول لولا هذا وهذا ما تكلمت في هذه المسألة لأنها من الأمور المعلومة بالحس، والمشاهدة، وما كان معلومًا بالحس، والمشاهدة لا يحتـاج إلى دليل، لأن الأمـور الحسية دليل بنفسها، وإنكارها مكابرة أو سفسطة. فلا تخدعوا أنفسكم، ولا تتعجلوا، واستعيذوا بالله من شرور خلقه من الجن والإنس، واستغفروه وتوبوا إليه، إنه هو الغفور التواب الرحيم.

١١٩ سئـل فضيلة الشيـخ ـ حفـظه الله ـ هل الجن أسلموا برسالة محمد، صلى الله عليه وسلم، وآمنوا بالرسل من قبل هل فرض عليهم الحـج وإن كان كذلـك فأين يحجـون؟.

فأجاب ـ حفظه الله ـ بقوله: إن الجن مكلفون بلا شك مكلفون بطاعة الله ـ سبحـانـه وتعالى ـ وإن منهم المسلم والكافر، ومنهم الصالح ومن دون ذلـك كما ذكر الله ـ تعالى ـ في سورة الجن عنهم حيث قالوا: **﴿وأنا منا الصالحون ومنا دون ذلك كنا طرائق قددًا﴾**(١) وقالوا: **﴿وأنا منا المسلمون ومنـا القاسطون فمن أسلم فأولئك تحروا رشدًا وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبًا﴾**(٢).

وقد صرف الله نفرًا من الجن إلى رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فاستمعوا القرآن وآمنوا به وذهبوا دعاة إلى قومهم كما قال الله ـ تعالى ـ **﴿وإذ**

---

(١) سورة الجن، الآية «١١».

(٢) سورة الجن، الآيتان «١٤، ١٥».

صرفنا إليك نفرا من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا فلما قُضي ولوا إلى قومهم منذرين* قالوا ياقومنا إنا سمعنا كتابًا أنزل من بعد موسى مصدقًا لما بين يديه يهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم* ياقومنا أجيبوا داعي الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب أليم* ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز في الأرض وليس له من دونه أولياء أولئك في ضلال مبين﴾(١).

وهـذا يدل على أن الجن كانـوا مؤمنـين بالـرسل السابقين وأنهم يعلمون كتبهم لقولهم: **﴿إنا سمعنا كتابًا أنزل من بعد موسى مصدقًا لما بين يديه يهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم﴾**(٢) وقد ثبت عن النبي، صلى الله عليه وسلم، أنه أكرم وفد الجن الذين وفدوا إليه بأن قال: «**لكم كل عظم ذكر اسم الله عليه تجدونه أوفر ما يكون لحماً وكل بعرة فهي علف لدوابكم**» ولهذا نهى النبي، صلى الله عليه وسلم، عن الاستجمار بالعظام وعن الاستجمار بالروث وقال: «إن العظام زاد إخوانكم من الجن».

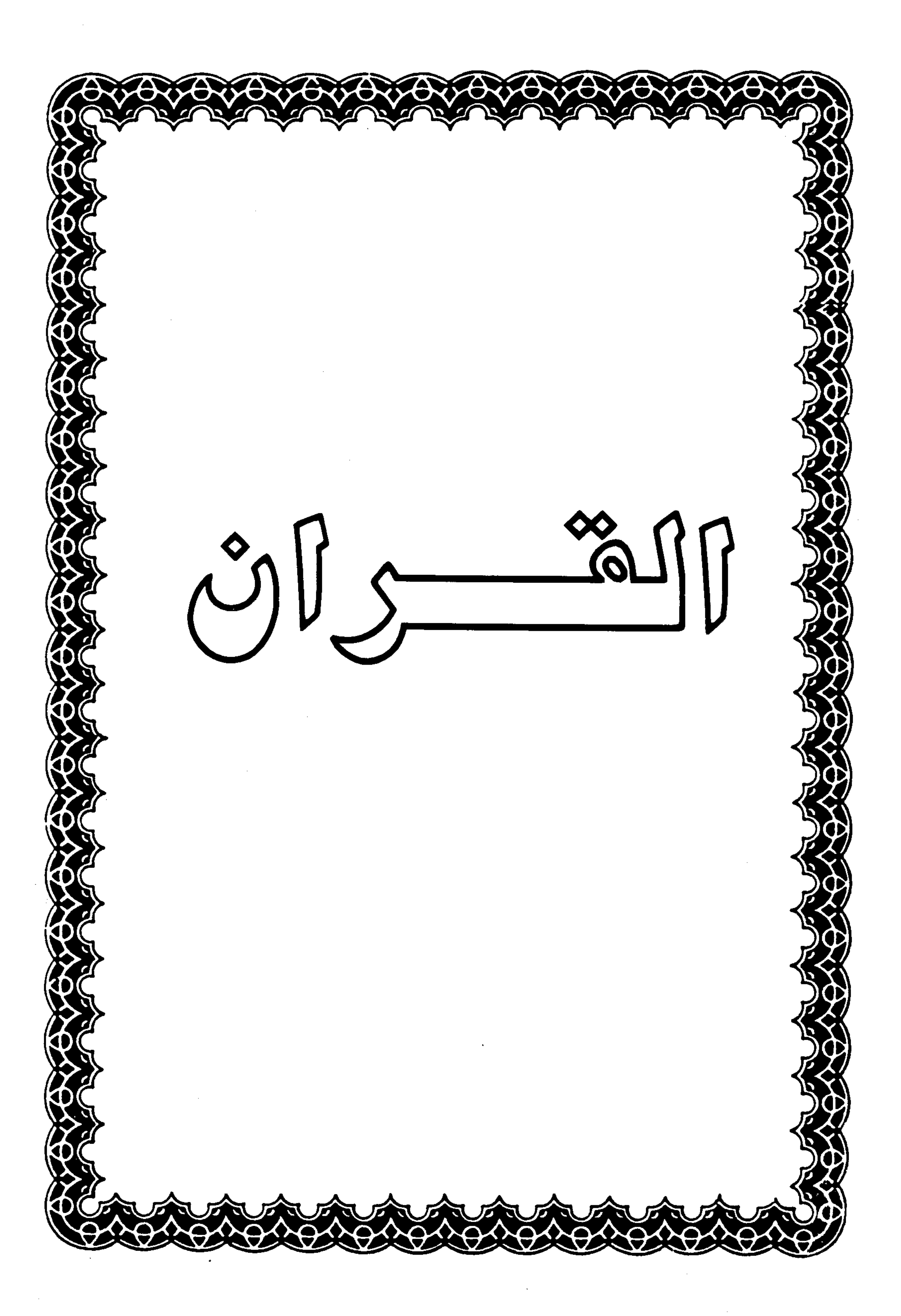
والظاهر أنهم مكلفون بما يكلف به الإنس من العبادات ولا سيما أصـولهـا كالأركان الخمسة، وحجهم يكون كحج الإنس زمنًا ومكانًا وإن كانوا يختلفون عن الإنس في جنس العبادات التي لا تناسب حالهم فتكون مختلفة عن التكليف الذي يكلف به الإنس. والله أعلم.

---

(١) سورة الأحقاف، الآيات «٢٩ - ٣٢».

(٢) سورة الأحقاف، الآية «٣٠».




القران



١٢٠ سئل فضيلة الشيخ: عن عقيدة السلف في القرآن الكريم؟

فأجاب قائلاً: عقيدة السلف في القرآن الكريم كعقيدتهم في سائر أسماء الله وصفاته وهي عقيدة مبنية على ما دل عليه كتاب الله وسنة رسوله، صلى الله عليه وسلم، وكلنا يعلم أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ وصف القرآن الكريم بأنه كلامه، وأنه منزل من عنده قال ـ تعالى ـ: ﴿**وإن أحدٌ من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه**﴾[1]. والمراد بلا ريب بكلام الله هنا القرآن الكريم وقال ـ تعالى ـ: ﴿**قل نزله روح القدس من ربك**﴾[2] وقال ـ عز وجل ـ: ﴿**إن هذا القرآن يقصُّ على بني إسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون**﴾[3] فالقرآن كلام الله ـ تعالى ـ لفظًا ومعنى، تكلم الله به حقيقة وألقاه إلى جبريل الأمين، ثم نزل به جبريل على قلب النبي، صلى الله عليه وسلم، ليكون من المنذرين بلسان عربي مبين.

ويعتقد السلف أن القرآن منزل نزله الله ـ عز وجل ـ على محمد، صلى الله عليه وسلم، منجمًا ـ أي مفرقًا ـ في ثلاث وعشرين سنة حسب ما تقتضيه حكمة الله ـ عز وجل ـ، ثم إن النزول يكون ابتدائيًّا، ويكون سببيًّا بمعنى أن بعضه ينزل لسبب معين اقتضى نزوله، وبعضه ينزل بغير

(١) سورة التوبة، الآية «٦».

(٢) سورة النحل، الآية «١٠٢».

(٣) سورة النمل، الآية «٨٦».

سبب، وبعضه ينزل في حكاية حال مضت للنبي، صلى الله عليه وسلم، وأصحابه، وبعضه ينزل في أحكام شرعية ابتدائية على حسب ما ذكره أهل العلم في هذا الباب.

ثم إن السلف يقولون إن القرآن من عند الله ابتداءً وإليه يعود في آخر الزمان هذا قول السلف في القرآن الكريم.

ولا يخفى علينا أن الله ـ تعالى ـ وصف القرآن الكريم بأوصاف عظيمة وصفه بأنه حكيم، وبأنه كريم، وبأنه عظيم، وبأنه مجيد، وهذه الأوصاف التي وصف الله بها كلامه تكون لمن تمسك بهذا الكتاب وعمل به ظاهرًا وباطنًا فإن الله ـ تعالى ـ يجعل له من المجد، والعظمة، والحكمة، والعزة، والسلطان، ما لا يكون لمن لم يتمسك بكتاب الله ـ عز وجل ـ ولهذا أدعو من هذا المنبر جميع المسلمين حكامًا ومحكومين، علماء وعامة إلى التمسك بكتاب الله ـ عز وجل ـ ظاهرًا وباطنًا حتى تكون لهم العزة، والسعادة، والمجد، والظهور في مشارق الأرض ومغاربها، وأسأل الله ـ تعالى ـ أن يعيننا على تحقيق ذلك.

١٢١ سئل فضيلة الشيخ: عن فتنة القول بخلق القرآن؟

فأجاب قائلاً: في عهد الإمام أحمد ـ رحمه الله ـ وقبله ظهرت فتنة خلق القرآن، وكان يقوم بها المعتزلة، فيقولون: إن كلام الله ـ عز وجل ـ مخلوق من جملة المخلوقات وليس وصفًا من أوصاف الله ـ عز وجل ـ فهو غير قائم بالله بل هو مخلوق منفصل عن الله، فلا يفرقون بين السماء وبين كلام الله، ولا بين الأرض وبين كلام الله، فالكل ـ كما يقولون ـ مخلوق،

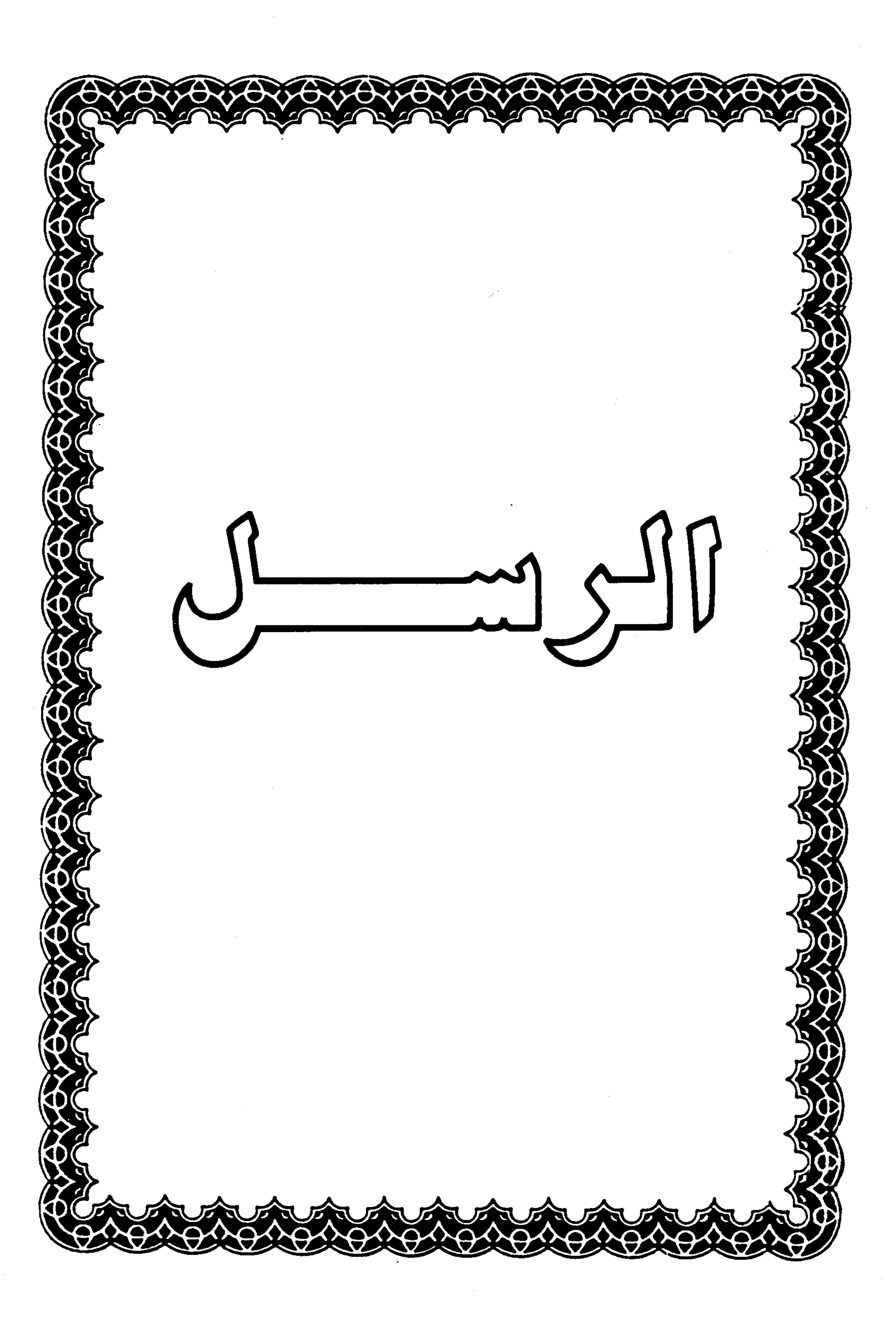
وكذلك الأنعام والمطر، فالكل منزل، ولا شك أنه يلزم على قولهم لوازم باطلة، فيلزم أن يصح قول من يقول: كلام الناس هو كلام الله لأن كلام الناس مخلوق، ويلزم على ذلك إبطال التقسيم في قوله ـ تعالى ـ: ﴿**ألا له الخلق والأمـر**﴾[1]. فإن الأمـر إنما يكون عن طريق الكلام، فإذا صار الكـلام مخلوقًا فالكل مخلوق، وليس هناك خلق وأمر بل ليس هناك إلا خلق. ويؤدي كذلك إلى إبطال دلالة القرآن الكريم، وله لوازم كثيرة ذكرها أهل العلم في الكتب المطولة.

وقد امتحن الإمام أحمد ـ رحمه الله ـ وغيره من أهل العلم لأن المأمون ـ وكان خليفة المسلمين ـ تزعم قيادة هذا القول ودعا الناس إليه، وكما هو معلوم إذا التزم الحاكم شيئًا يصعب على الناس الخروج عنه، فلم يصبر على مخالفة هذا إلا أفذاذ قليلون من الرجال، وكان هو الذي صمد صمودًا تامًّا كاملاً، ـ رحمه الله ـ ولهذا انصب عليه العذاب والحبس واشتهر بهذا ـ رحمه الله ـ وحمى الله به عقيدة أهل السنة من القول بخلق القرآن، فبقي الناس والحمد لله يقولون: القرآن كلام الله منزل غير مخلوق.

---

(١) سورة الأعراف، الآية «٥٤».





الرسل



١٢٢ **سئل فضيلة الشيخ: هل الأنبياء المذكورون في قوله - تعالى -: ﴿إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح..﴾ رسل أم لا؟ ومن أول الرسل؟**

فأجاب بقوله: النبيون المذكورون في قوله - تعالى -: **﴿إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده﴾**(١). كلهم رسل لقوله - تعالى - في سياقها: **﴿رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل﴾**(٢) وكل من ذكر في القرآن من النبيين فهم رسل لقوله - تعالى -: **﴿ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك﴾**(٣).

وأول الرسل نوح وآخرهم محمد، صلى الله عليه وسلم، لقوله - تعالى -: **﴿كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده﴾**(٤) وقد ثبت في حديث الشفاعة أن الناس يأتون نوحًا فيقولون له: أنت أول رسول أرسله الله إلى أهل الأرض، ولقوله - تعالى - في محمد، صلى الله عليه وسلم: **﴿ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين﴾**(٥). وإذا كان

---

(١) سورة النساء، الآية «١٦٣».
(٢) سورة النساء، الآية «١٦٥».
(٣) سورة غافر، الآية «٧٨».
(٤) سورة النساء، الآية «١٦٣».
(٥) سورة الأحزاب، الآية «٤٠».

خاتم النبيين فهو خاتم الرسل قطعًا إذ لا رسالة إلا بنبوة ولهذا يقال: كل رسول نبي وليس كل نبي رسولاً.

١٢٣ وسئل فضيلته: هل الرسل عليهم الصلاة والسلام سواء في الفضيلة؟

فأجاب بقوله: الرسل عليهم الصلاة والسلام، ليسوا سواء في الفضيلة لقوله - تعالى -: ﴿**تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات**﴾[١]. وقوله - تعالى -: ﴿**ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض**﴾[٢].

ويجب علينا أن نؤمن بجميع الرسل أنهم حق صادقون فيما جاءوا به مصدقون فيما أوحي إليهم لقوله - تعالى -: ﴿**قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم**﴾[٣]. إلى قوله: ﴿**لا نفرق بين أحد منهم**﴾[٤]. ولأن هذا طريق النبي، صلى الله عليه وسلم، والمؤمنين قال الله - تعالى -: ﴿**آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله**﴾[٥].

فلا نفرق بين أحد من الرسل في الإيمان به، وأنه صادق، مصدوق ورسالته حق ولكن نفرق في أمرين:

الأول: الأفضلية فنفضل بعضهم على بعض كما فضل الله بعضهم

(١) سورة البقرة، الآية «٢٥٣».
(٢) سورة الإسراء، الآية «٥٥».
(٣) سورة البقرة، الآية «١٣٦».
(٤) سورة البقرة، الآية «١٣٦».
(٥) سورة البقرة، الآية «٢٨٥».

على بعض ورفع بعضهم درجات، لكن لا نقول ذلك على سبيل المفاخرة أو التنقص للمفضول كما في صحيح البخاري أن يهوديًّا أقسم فقال: لا والذي اصطفى موسى على البشر، فلطم وجهه رجل من الأنصار حين سمعـه وقال تقول هذا ورسول الله، صلى الله عليه وسلم بين أظهرنا، فذهب اليهودى إلى رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وقال إن لي ذمة وعهـدًا فما بال فلان لطم وجهي؟ فقـال النبي، صلى الله عليه وسلم، للأنصـاري: «**لم لطمت وجهه؟**» فذكره فغضب النبي، صلى الله عليه وسلم، حتى رؤي في وجهه ثم قال: «**لا تفضلوا بين أنبياء الله**». وكما في صحيحه أيضًا عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي، صلى الله عليه وسلم، قال: «**لا ينبغي لعبد أن يقول أنا خير من يونس بن متَّى**».

الثاني: الاتباع فلا نتبع إلا من أرسل إلينا وهو محمد، صلى الله عليه وسلم، لأن شريعة النبي، صلى الله عليه وسلم، نسخت جميع الشرائع لقوله تعالى: ﴿**وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقًا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنًا عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجًا**﴾[1].

١٢٤ وسئل فضيلة الشيخ: هل هناك فرق بين الرسول والنبي؟

فأجاب بقوله: نعم، فأهل العلم يقولون: إن النبي هو من أوحى الله إليه بشرع ولم يأمره بتبليغه بل يعمل به في نفسه دون إلزام بالتبليغ.

والرسول هو من أوحى الله إليه بشرع وأمره بتبليغه والعمل به. فكل

(١) سورة المائدة، الآية «٤٨».

رسول نبي، وليس كل نبي رسولا، والأنبياء أكثر من الرسل، وقد قص الله بعض الرسل في القرآن ولم يقصص البعض الآخر.

قال ـ تعالى ـ: **﴿ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا بإذن الله﴾**(1).

وبناء على هذه الآية يتبين أن كل من ذكر في القرآن من الأنبياء فهو رسول.

١٢٥ سئل فضيلة الشيخ: قلتم في الفتوى السابقة رقم «١٢٤» إن النبي من أوحي إليه بالشرع ولم يؤمر بتبليغه أما الرسول فهو من أوحي إليه بالشرع وأمر بتبليغه ولكن كيف لا يؤمر النبي بتبليغ الشرع وقد أوحي إليه؟

فأجاب بقوله: أوحى الله إلى النبي بالشرع من أجل إحياء الشرع بمعنى أن من رآه واقتدى به واتبعه دون أن يلزم بإبلاغه، ومن ذلك ما حصل لآدم عليه الصلاة والسلام، فإن آدم كان نبيًّا مكلمًا كما جاء ذلك عن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، ومع هذا فليس من الرسل لأنه قد دلت السنة بل دل القرآن، والسنة، وإجماع الأمة على أن أول رسول أرسله الله هو نوح عليه السلام. وآدم لابد أن يكون متعبدًا لله بوحي من الله فيكون قد أوحى إليه ولم يؤمر بالتبليغ ولهذا لا يعد من الرسل.

---

(1) سورة غافر، الآية «٧٨».

[١٢٦] سئل فضيلة الشيخ - جزاه الله عن الإسلام والمسلمين خيراً -: من أول الرسل؟

فأجاب بقوله: أول الرسل عليهم الصلاة والسلام، نوح عليه الصلاة والسلام، وآخرهم محمد، صلى الله عليه وسلم، وأما قبل نوح فلم يبعث رسول، وبهذا نعلم خطأ المؤرخين الذين قالوا: إن إدريس، عليه الصلاة والسلام كان قبل نوح؛ لأن الله - سبحانه وتعالى - يقول في كتابه: ﴿**إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده**﴾(١) وفي الحديث الصحيح في قصة الشفاعة «**أن الناس يأتون إلى نوح فيقولون له أنت أول رسول أرسله الله إلى أهل الأرض**» فلا رسول قبل نوح، ولا رسول بعد محمد، صلى الله عليه وسلم، لقوله - تعالى -: ﴿**ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين**﴾(٢).

وأما نزول عيسى بن مريم، عليه السلام في آخرالزمان فإنه لا ينزل على أنه رسول مجدد، بل ينزل على أنه حاكم بشريعة النبي محمد، صلى الله عليه وسلم؛ لأن الواجب على عيسى وعلى غيره من الأنبياء الإيمان بمحمد، صلى الله عليه وسلم، كما قال الله - تعالى -: ﴿**وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلك إصري قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين**﴾(٣) وهذا الرسول المصدق

---

(١) سورة النساء، الآية «١٦٣».

(٢) سورة الأحزاب، الآية «٤٠».

(٣) سورة آل عمران، الآية «٨١».

لما معهم هو محمد، صلى الله عليه وسلم، كما صح ذلك عن ابن عباس وغيره.

١٢٧ **سئل: هل آدم عليه الصلاة والسلام، رسول أو نبي؟**

فأجاب بقوله: آدم ليس برسول ولكنه نبي، كما جاء في الحديث الذي أخرجه ابن حبان في صحيحه أن النبي، صلى الله عليه وسلم، سئل عن آدم أنبي هو؟ قال: «**نعم نبي مكلم**»، ولكنه ليس برسول والدليل قوله ـ تعالى ـ: ﴿**كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين**﴾[1] وقوله، صلى الله عليه وسلم، في حديث الشفاعة إن الناس يذهبون إلى نوح فيقولون: «أنت أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض» وهذا نص صريح بأن نوحًا أول الرسل.

١٢٨ **وسئل فضيلته: عن عقيدة المسلمين في عيسى بن مريم، عليه الصلاة والسلام؟**

فأجاب: عقيدة المسلمين في عيسى بن مريم، عليه الصلاة والسلام، أنه أحد الرسل الكرام، بل أحد الخمسة الذين هم أولوا العزم وهم: محمد، صلى الله عليه وسلم، وإبراهيم، ونوح، وموسى، وعيسى، عليهم الصلاة والسلام، ذكرهم الله في موضعين من كتابه في سورة الأحزاب ﴿**وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم**

---

(١) سورة البقرة، الآية «٢١٣».

وموسى وعيسى ابن مريم وأخذنا منهم ميثاقًا غليظًا﴾[1] وفي سورة الشورى **﴿شرع لكم من الدين ما وصى به نوحًا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه﴾**[2].

وأن عيسى، عليه الصلاة والسلام، بشر من بني آدم مخلوق من أم بلا أب، وأنه عبدالله ورسوله فهو عبد لا يُعبد، ورسول لا يكذب، وأنه ليس له من خصائص الربوبية شيء بلٍ هو كما قال الله ـ تعالى ـ: **﴿إن هو إلا عبد أنعمنا عليه وجعلناه مثلاً لبني إسرائيل﴾**[3] وأنه، عليه الصلاة والسلام، لم يأمر قومه بأن يتخذوه وأمه إلـٰهين من دون الله، وإنما قال لهم ما أمره الله به **﴿أن اعبدوا الله ربي وربكم﴾**[4] وأنه، عليه السلام خلق بكلمة الله ـ عز وجل ـ كما قال الله ـ تعالى ـ: **﴿إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون﴾**[5] وأنه ليس بينه وبين محمد، صلى الله عليه وسلم رسول كما قال الله ـ تعالى ـ: **﴿وإذ قال عيسى ابن مريم يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقًا لما بين يدي من التوراة ومبشرًا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين﴾**[6] ولا يتم إيمان أحد حتى يؤمن بأن عيسى عبدالله ورسوله، وأنه مبرّأ ومنزه عما وصفه به اليهود الذين قالوا: «إنه ابن بغي وأنه

---

(١) سورة الأحزاب، الآية «٧».

(٢) سورة الشورى، الآية «١٣».

(٣) سورة الزخرف، الآية «٥٩».

(٤) سورة المائدة، الآية «١١٧».

(٥) سورة آل عمران، الآية «٥٩».

(٦) سورة الصف، الآية «٦».

نشأ من الزنا» ـ والعياذ بالله ـ وقد برأه الله تعالى من ذلك، كما أنهم ـ أي المسلمين ـ يتبرءون من طريق النصارى الذين ضلوا في فهم الحقيقة بالنسبة لعيسى ابن مريم حيث اتخذوه وأمه إلهين من دون الله، وقال بعضهم: إنه ابن الله، وقال بعضهم: إنه ثالث ثلاثة.

أما فيما يتعلق بقتله وصلبه فالله ـ سبحانه وتعالى ـ قد نفى أن يكون قد قتل أو صلب نفيًا صريحًا قاطعًا فقال ـ عز وجل ـ: ﴿**وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم إلا اتباع الظن وما قتلوه يقينًا بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزًا حكيمًا وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيدًا**﴾[1] فمن اعتقد أن عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام، قتل وصلب فقد كذب القرآن، ومن كذب القرآن فقد كفر، فنحن نؤمن بأن عيسى، عليه الصلاة والسلام لم يقتل ولم يصلب، ولكننا نقول إن اليهود باءوا بإثم القتل والصلب حيث زعموا أنهم قتلوا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وهم لم يقتلوه حقيقة بل قتلوا من شبه لهم، حيث ألقى الله شبهه على واحد منهم فقتلوه وصلبوه، وقالوا: إننا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله، فاليهود باءوا بإثم القتل والصلب بإقرارهم على أنفسهم، والمسيح عيسى ابن مريم برأه الله من ذلك وحفظه ورفعه ـ سبحانه وتعالى ـ عنده إلى السماء وسوف ينزل في آخر الزمان إلى الأرض فيحكم بشريعة النبي، صلى الله عليه وسلم، ثم يموت في الأرض ويدفن فيها ويخرج منها كما يخرج سائر بني آدم لقول الله ـ تعالى ـ: ﴿**منها خلقناكم وفيها نعيدكم**

---

(١) سورة النساء، الآيات «١٥٧ ـ ١٥٩».

ومنها نخرجكم تارة أخرى﴾[1] وقوله: ﴿فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون﴾[2].

١٢٩ وسئل فضيلة الشيخ - حفظه الله تعالى -: عن وصف النبي، صلى الله عليه وسلم، بحبيب الله؟

فأجاب بقوله: النبي، صلى الله عليه وسلم، حبيب الله لا شك فهو حاب لله ومحبوب لله، ولكن هناك وصف أعلى من ذلك وهو خليل الله، فالرسول، عليه الصلاة والسلام، خليل الله كما قال، صلى الله عليه وسلم: «**إن الله اتخذني خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً**». ولهذا من وصفه بالمحبة فقط فإنه نزله عن مرتبته، فالخلة أعظم من المحبة وأعلى، فكل المؤمنين أحباء لله، ولكن الرسول، عليه الصلاة والسلام، في مقام أعلى من ذلك وهي الخلة فقد اتخذه الله خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً، لذلك نقول إن محمدًا رسول الله، صلى الله عليه وسلم، خليل الله، وهذا أعلى من قولنا حبيب الله لأنه متضمن للمحبة، وزيادة لأنه غاية المحبة.

١٣٠ وسئل الشيخ - حفظه الله تعالى -: عن حكم جعل مدح النبي، صلى الله عليه وسلم، تجارة؟

فأجاب بقوله: حكم هذا محرم، ويجب أن يُعلم بأن المديح للنبي، صلى الله عليه وسلم، ينقسم إلى قسمين:

أحدهما: أن يكون مدحًا فيما يستحقه، صلى الله عليه وسلم، بدون

---

(١) سورة طه، الآية «٥٥».

(٢) سورة الأعراف، الآية «٢٥».

أن يصل إلى درجة الغلو فهذا لا بأس به أي لا بأس أن يمدح رسول الله، صلى الله عليه وسلم، بما هو أهله من الأوصاف الحميدة الكاملة في خلقه وهديه، صلى الله عليه وسلم.

والقسم الثاني: من مديح الرسول، صلى الله عليه وسلم، قسم يخرج بالمادح إلى الغلو الذي نهى عنه النبي، صلى الله عليه وسلم، وقال: «**لا تطروني كما أطرت النصارى المسيح ابن مريم فإنما أنا عبد فقولوا عبدالله ورسوله**». فمن مدح النبي، صلى الله عليه وسلم، بأنه غياث المستغيثين، ومجيب دعوة المضطرين، وأنه مالك الدنيا والآخرة، وأنه يعلم الغيب وما شابه ذلك من ألفاظ المديح فإن هذا القسم محرم بل قد يصل إلى الشرك الأكبر المخرج من الملة، فلا يجوز أن يمدح الرسول، عليه الصلاة والسلام، بما يصل إلى درجة الغلو لنهي النبي، صلى الله عليه وسلم، عن ذلك.

ثم نرجع إلى اتخاذ المديح الجائز حرفة يكتسب بها الإنسان فنقول أيضًا إن هذا حرام ولا يجوز، لأن مدح الرسول، عليه الصلاة والسلام، بما يستحق وبما هو أهل له، صلى الله عليه وسلم، من مكارم الأخلاق والصفات الحميدة، والهدي المستقيم مدحه بذلك من العبادة التي يتقرب بها إلى الله، وما كان عبادة فإنه لا يجوز أن يتخذ وسيلة إلى الدنيا لقول الله ـ تعالى ـ: ﴿**من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوفِّ إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يُبْخسون. أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطلٌ ما كانوا يعملون**﴾[1]. والله الهادي إلى سواء الصراط.

---

(١) سورة هود، الأيتان «١٥ ـ ١٦».

[١٣١] سئل فضيلة الشيخ: عمن قال: إن تزوج النبي، صلى الله عليه وسلم، كان لغرضين: أحدهما: مصلحة الدعوة، والثاني: التمشي مع ما فطره الله عليه من التمتع بما أحل الله له؟

فأجاب بقوله: من المعلوم أن النبي، صلى الله عليه وسلم، بشر أكرمه الله ـ تعالى ـ بالنبوة والرسالة إلى الناس كافة، وأن اتصافه بما تقتضيه الطبيعة البشرية من الحاجة إلى الأكل، والشرب، والنوم، والبول، والغائط ومدافعة البرد، والحر، والعدو، ومن التمتع بالنكاح، وأطايب المأكول والمشروب وغيرها من مقتضيات الطبيعة البشرية لا يقدح في نبوته ورسالته، بل قد قال الله له: ﴿**قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب**﴾. وقال هو عن نفسه: «**إنما أنا بشر مثلكم أنسى كما تنسون**». وانتفاء علم الغيب، وطرو النسيان على العلم قصور في مرتبة العلم من حيث هو علم، لكن لما كان من طبيعة البشر الذي خلقه الله ضعيفًا في جميع أموره، لم يكن ذلك قصورًا في مقام النبوة، ونقصًا في حق النبي، صلى الله عليه وسلم.

ولا ريب أن شهوة النكاح من طبيعة الإنسان فكمالها فيه من كمال طبيعته، وقوتها فيه تدل على سلامة البنية واستقامة الطبيعة، ولهذا ثبت في صحيح البخاري من حديث أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ أنه قال: «**كنا نتحدث أنه يعني النبي، صلى الله عليه وسلم، أعطي قوة ثلاثين**». يعني على النساء، وهذا والله أعلم، ليتمكن من إدراك ما أحل الله منهن بلا حصر ولا مهر، ولا ولي، فيقوم بحقوقهن، ويحصل بكثرتهن ما حصل من المصالح العظيمة الخاصة بهن والعامة للأمة جميعًا، ولولا هذه القوة التي

أمده الله بها ما كان يدرك أن يتزوج بكل هذا العدد، أو يقوم بحقهن من الإحصان والعشرة.

ولو فرض أن النبي، صلى الله عليه وسلم، تزوج امرأة لمجرد قضاء الوطر من الشهوة والتمشي مع ما تقتضيه الفطرة بل الطبيعة لم يكن في ذلك قصور في مقام النبوة، ولا نقص في حقه، صلى الله عليه وسلم، كيف وقد قال، صلى الله عليه وسلم: «**تنكح المرأة لأربع لمالها، وحسبها، وجمالها، ودينها، فاظفر بذات الدين**». بل قد قال الله له: ﴿**لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج ولو أعجبك حسنهن**﴾(١). لكننا لا نعلم حتى الآن أن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، تزوج امرأة لمجرد قضاء الوطر من الشهوة، ولو كان كذلك لاختار الأبكار الباهرات جمالاً، الشابات سنًّا، كما قال لجابر - رضي الله عنه - حين أخبره أنه تزوج ثيبًا، قال: «**فهلا بكرًا تلاعبها وتلاعبك**»؟. وفي رواية: «**وتضاحكها وتضاحك**». وفي رواية «**مالك وللعذارى ولعابها**»، رواه البخاري، وإنما كان زواجه، صلى الله عليه وسلم: إما تأليفًا، أو تشريفًا، أو جبرًا أو مكافأة، أو غير ذلك من المقاصد العظيمة. وقد أجملها في فتح الباري ص ١١٥ جـ ٩ المطبعة السلفية حيث قال: «والذي تحصل من كلام أهل العلم في الحكمة في استكثاره من النساء عشرة أوجه:

أحدها: أن يكثر من يشاهد أحواله الباطنة فينتفي عنه ما يظن به المشركون من أنه ساحر أو غير ذلك.

ثانيها: لتتشرف به قبائل العرب بمصاهرته فيهم.

ثالثها: الزيادة في تألفهم لذلك.

---

(١) سورة الأحزاب، الآية «٥٢».

رابعها: الزيادة في التكليف حيث كلف أن لا يشغله ما حبب إليه منهن عن المبالغة في التبليغ.

خامسها: لتكثر عشيرته من جهة نسائه فتزداد أعوانه على من يحاربه.

سادسها: نقل الأحكام الشرعية التي لا يطلع عليها الرجال، لأن أكثر ما يقع مع الزوجة مما شأنه أن يختفي مثله.

سابعها: الاطلاع على محاسن أخلاقه الباطنة. فقد تزوج أم حبيبة وأبوها يعاديه، وصفية بعد قتل أبيها وعمها وزوجها، فلو لم يكن أكمل الخلق في خلقه لنفرن منه، بل الذي وقع أنه كان أحب إليهن من جميع أهلهن.

ثامنها: ما تقدم مبسوطًا من خرق العادة له في كثرة الجماع مع التقلل من المأكول والمشروب، وكثرة الصيام والوصال. وقد أمر من لم يقدر على مؤن النكاح بالصوم، وأشار إلى أن كثرته تكسر شهوته، فانخرقت هذه العادة في حقه، صلى الله عليه وسلم.

تاسعها وعاشرها: ما تقدم عن صاحب الشفاء من تحصينهن والقيام بحقوقهن. ا.هـ.

قلت: الثامنة حاصلة لأن الله أعطاه قوة ثلاثين رجلاً كما سبق.

وثم وجه **حادي عشر**: وهو إظهار كمال عدله في معاملتهن لتتأسى به الأمة في ذلك.

وثاني عشر: كثرة انتشار الشريعة فإن انتشارها من عدد أكثر من انتشارها من واحدة.

وثالث عشر: جبر قلب من فات شرفها كما في صفية بنت حيي

وجويرية بنت الحارث سيد بني المصطلق.

ورابع عشر: تقرير الحكم الشرعي وانتشال العقيدة الفاسدة التي رسخت في قلوب الناس من منع التزوج بزوجة ابن التبني، كما في قصة زينب فإن اقتناع الناس بالفعل أبلغ من اقتناعهم بالقول، وانظر اقتناع الناس بحلق النبي، صلى الله عليه وسلم، رأسه في الحديبية ومبادرتهم بذلك حين حلق بعد أن تباطئوا في الحلق مع أمره لهم به.

وخامس عشر: التأليف وتقوية الصلة كما في أمر عائشة وحفصة، فإن النبي، صلى الله عليه وسلم، شد صلته بخلفائه الأربعة عن طريق المصاهرة، مع ما لبعضهم من القرابة الخاصة، فتزوج ابنتي أبي بكر وعمر، وزوج بناته الثلاث بعثمان وعلي - رضي الله عن الجميع - فسبحان من وهب نبيه، صلى الله عليه وسلم، هذه الحكم، وأمده بما يحققها قدرًا وشرعًا، فأعطاه قوة الثلاثين رجلًا، وأحل له ما شاء من النساء، يرجي من يشاء منهن، ويؤوي إليه من يشاء، وهو سبحانه الحكيم العليم.

وأما عدم تزوجه بالواهبة نفسها، فلا يدل على أنه تزوج من سواها لمجرد الشهوة، وقضاء وطر النكاح.

وأما ابنة الجون فلم يعدل عن تزوجها بل دخل عليها وخلا بها، ولكنها استعاذت بالله منه، فتركها النبي، صلى الله عليه وسلم، وقال: «**لقد عذت بعظيم فالحقي بأهلك**». ولكن هل تزوجها النبي، صلى الله عليه وسلم، لمجرد جمالها وقضاء وطر النكاح أو لأمر آخر؟ إن كان لأمر آخر سقط الاستدلال به على أن النبي، صلى الله عليه وسلم، كان يتزوج لمجرد قضاء الوطر، وإن كان لأجل قضاء الوطر فإن من حكمة الله - تعالى - أن حال بينه وبين هذه المرأة بسبب استعاذتها منه.

وأما سودة ـ رضي الله عنها ـ فقد خافت أن يطلقها النبي، صلى الله عليه وسلم، لكبر سنها فوهبت يومها لعائشة، وخوفها منه لا يلزم من أن يكون قد همّ به. وأما ما روي أنه طلقها بالفعل فضعيف لإرساله.

وأما زواجه، صلى الله عليه وسلم، بزينب فليس لجمالها بل هو لإزالة عقيدة سائدة بين العرب، وهي امتناع الرجل من تزوج مفارقة من تبناه، فأبطل الله التبني وأبطل الأحكام المترتبة عليه عند العرب، ولما كانت تلك العقيدة السائدة راسخة في نفوس العرب كان تأثير القول في اقتلاعها بطيئًا، وتأثير الفعل فيها أسرع فقيض الله ـ سبحانه ـ بحكمته البالغة أن يقع ذلك من النبي، صلى الله عليه وسلم، في تزوجه بمفارقة مولاه زيد بن حارثة الذي كان تبناه من قبل ليطمئن المسلمون إلى ذلك الحكم الإلهي، ولا يكون في قلوبهم حرج منه، وقد أشار الله ـ تعالى ـ إلى هذه الحكمة بقوله ـ تعالى ـ: **﴿فلما قضى زيد منها وطرًا زوجناكها لكيلا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطرًا وكان أمر الله مفعولاً﴾**(1). ثم تأمل قوله ـ تعالى ـ: **﴿زوجناكها﴾**. فإنه يشعر بأن تزويجها إياه لم يكن عن طلب منه، أو تشوف إليه، وإنما هو قضاء من الله لتقرير الحكم الشرعي وترسيخه، وعدم الحرج منه، وبهذا يعرف بطلان ما يروى أن النبي، صلى الله عليه وسلم، أتى زيدًا ذات يوم لحاجة فرأى زينب فوقعت في نفسه وأعجبه حسنها فقال: «**سبحان الله مقلب القلوب**». فأخبرت زينب زيدًا بذلك ففطن له فكرهها وطلقها بعد مراجعة النبي، صلى الله عليه وسلم، وقوله: **﴿أمسك عليك زوجك واتق الله﴾**. فهذا الأثر باطل مناقض لما ذكر الله ـ تعالى ـ من الحكمة في

---

(1) سورة الأحزاب، الآية «٣٧».

تزويجها إياه، وقد أعرض عنه ابن كثير ـ رحمه الله ـ فلم يذكره، وقال: أحببنا أن نضرب عنها أي عن الآثار الواردة عن بعض السلف صفحًا لعدم صحتها فلا نوردها، ويدل على بطلان هذا الأثر أنه لا يليق بحال الأنبياء فضلاً عن أفضلهم وأتقاهم لله ـ عز وجل ـ وما أشبه هذه القصة بتلفيق قصة داود عليه الصلاة والسلام، وتحيله على التزوج بزوجة من ليس له إلا زوجة واحدة، على ما ذكر في بعض كتب التفسير عند قوله ـ تعالى ـ: ﴿وهل أتاك نبأ الخصم﴾[1]. إلى آخر القصة فإن من علم قدر الأنبياء وبعدهم عن الظلم والعدوان والمكر والخديعة علم أن هذه القصة مكذوبة على نبي الله داود عليه الصلاة والسلام.

والحاصل أنه وإن جاز للنبي، صلى الله عليه وسلم، أن يتزوج لمجرد قضاء الوطر من النكاح وجمال المرأة وأن ذلك لا يقدح في مقامه، فإننا لا نعلم أن النبي، صلى الله عليه وسلم، تزوج زواجًا استقرت به الزوجة وبقيت معه من أجل هذا الغرض. والله أعلم.

١٣٢ سئل فضيلة الشيخ: لماذا وجه الله الخطاب إلى الرسول، صلى الله عليه وسلم، في قوله: ﴿ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك﴾[2] مع أن النبي، صلى الله عليه وسلم، معصوم من الشرك؟

فأجاب بقوله: الخطاب هنا للرسول، صلى الله عليه وسلم، في ظاهر سياق الآية.

---

(١) سورة ص، الآية «٢١».

(٢) سورة يونس، الآية «١٠٦».

وقال بعض العلماء: لا يصح أن يكون للرسول، صلى الله عليه وسلم؛ لأن الرسول، صلى الله عليه وسلم، يستحيل أن يقع منه ذلك والآية على تقدير «قل» وهذا ضعيف لإخراج الآية عن سياقها.

والصواب: أنه إما خاص بالرسول، صلى الله عليه وسلم، والحكم له ولغيره، وإما عام لكل من يصح خطابه ويدخل فيه الرسول، صلى الله عليه وسلم، وكونه يوجه إليه مثل هذا الخطاب لا يقتضي أن يكون ذلك ممكنًا منه قال ـ تعالى ـ: ﴿**ولقد أوحي إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين**﴾[1] فالخطاب له ولجميع الرسل ولا يمكن أن يقع، فلا يمكن أن يقع منه، صلى الله عليه وسلم، باعتبار حاله شرك أبدًا، والحكمة من النهي أن يكون غيره متأسيًا به فإذا كان النهي موجهًا إلى من لا يمكن أن يقع منه باعتبار حاله فهو إلى من يمكن منه من باب أولى.

١٣٣ سئل فضيلة الشيخ: ما معنى قول النبي، صلى الله عليه وسلم، «رؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءًا من النبوة»؟ ومن الذي تصدق رؤياه؟

فأجاب بقوله: معنى قوله، صلى الله عليه وسلم: «**رؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءًا من النبوة**» أن رؤيا المؤمن تقع صادقة لأنها أمثال يضربها الملك للرائي، وقد تكون خبرًا عن شيء واقع، أو شيء سيقع فيقع مطابقًا للرؤيا فتكون هذه الرؤيا كوحي النبوة في صدق مدلولها وإن كانت تختلف عنها ولهذا كانت جزءًا من ستة وأربعين جزءًا من النبوة

---

(١) سورة الزمر، الآية «٦٥».

وتخصيص الجـزء بستـة وأربعـين جزءًا من الأمور التوقيفية التي لا تعلم حكمتها كأعداد الركعات والصلوات.

وأما الذي تصدق رؤياه فهو الرجل المؤمن الصدوق إذا كانت رؤياه صالحة، فإذا كان الإنسان صدوق الحديث في يقظته وعنده إيمان وتقوى فإن الغـالب أن الرؤيا تكون صادقة، ولهذا جاء هذا الحديث مقيدًا في بعض الروايات بالرؤيا الصالحة من الرجل الصالح، وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن النبي، صلى الله عليه وسلم قال: «**أصدقهم رؤيا أصدقهم حديثًا**».

ولكن ليعلم أن ما يراه الإنسان في منامه ثلاثة أقسام:

القسم الأول: رؤيا حق صالحة وهي التي أخبر عنها النبي، صلى الله عليه وسلم، أنها جزء من ستة وأربعين جزءًا من النبوة، وغالبًا ما تقع، ولكن أحيانًا يكون وقوعها على صفة ما رآه الإنسان في منامه تمامًا، وأحيانًا يكون وقوعها على صفة ضرب الأمثال في المنام، يضرب له المثل ثم يكون الواقع على نحو هذا المثل وليس مطابقًا له تمامًا، مثل ما رأى النبي، عليه الصلاة والسلام، قبيل غزوة أحد أن في سيفه ثلمة، ورأى بقرًا تنحر، فكان الثلمة التي في سيفه استشهاد عمه حمزة ـ رضي الله عنه ـ لأن قبيلة الإنسـان بمنزلة سيفه في دفاعهم عنه ومعاضدته ومناصرته، والبقر التي تنحر كان استشهاد من استشهد من الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ لأن في البقر خيرًا كثيرًا، وكذلك الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ كانوا أهل علم ونفع للخلق وأعمال صالحة.

القسم الثـاني: الحلم وهو ما يراه الإنسان في منامه مما يقع له في مجريات حياته، فإن كثيرًا من الناس يرى في المنام ما تحدثه نفسه في اليقظة

وما جرى عليه في اليقظة وهذا لا حكم له.

القسم الثالث: إفزاع من الشيطان، فإن الشيطان يصور للإنسان في منامه ما يفزعه من شيء في نفسه، أو ماله، أو في أهله، أو في مجتمعه، لأن الشيطان يحب إحزان المؤمنين كما قال الله ـ تعالى ـ: ﴿**إنما النجوى من الشيطان ليحزن الذين آمنوا وليس بضارِّهم شيئًا إلا بإذن الله**﴾[1] فكل شيء ينكد على الإنسان في حياته ويعكر صفوه عليه فإن الشيطان حريص عليه سواء ذلك في اليقظة أو في المنام، لأن الشيطان عدو كما قال الله ـ تعالى ـ: ﴿**إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوًّا**﴾[2] وهذا النوع الأخير أرشدنا رسول الله، صلى الله عليه وسلم، إلى التحرز منه فأمر من رأى في منامه ما يكره أن يستعيذ بالله من الشيطان، ومن شر ما رأى، وأن يتفل عن يساره ثلاث مرات، وأن ينقلب على جنبه الآخر، وأن لا يحدث أحدًا بما رأى فإذا فعل هذه الأمور فإن ما رآه مما يكره في منامه لا يضره شيئًا. وهذا يقع كثيرًا من الناس ويكثر السؤال عنه لكن الدواء له ما بينه النبي، صلى الله عليه وسلم، كما في حديث جابر عند مسلم «**إذا رأى أحدكم الرؤيا يكرهها فليبصق عن يساره ثلاثًا، وليستعذ بالله من الشيطان ثلاثًا، وليتحول عن جنبه الذي كان عليه**». وكما في حديث أبي سعيد الخدري عند البخاري «**إذا رأى أحدكم ما يكره فإنما هي من الشيطان فليستعذ من شرها ولا يذكرها لأحد فإنها لا تضره**». وكما في حديث أبي قتادة عند مسلم قال: «**كنت أرى الرؤيا فتمرضني حتى سمعت رسول الله، صلى الله عليه وسلم، يقول الرؤيا الصالحة من الله فإذا رأى أحدكم ما يحب فلا يحدث**

---

(١) سورة المجادلة، الآية «١٠».

(٢) سورة فاطر، الآية «٦».

بها إلا من يحب، وإن رأى ما يكره فليتفل عن يساره ثلاثًا، وليتعوذ بالله من شر الشيطان وشرها، ولا يحدث بها أحدًا فإنها لن تضره». وفي حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن النبي، صلى الله عليه وسلم، قال: «**فإن رأى أحدكم ما يكره فليقم فليصل ولا يحدث بها الناس**». أخرجه مسلم.

فأمر النبي، صلى الله عليه وسلم، من رأى ما يكره بأمور:

١ ـ أن يبصق عن يساره ثلاثًا.

٢ ـ أن يستعيذ بالله من شر الشيطان ثلاثًا.

٣ ـ أن يستعيذ بالله من شر ما رأى.

٤ ـ أن يتحول عن جنبه الذي كان عليه إلى الجنب الآخر.

٥ ـ أن لا يحدث بها أحدًا.

٦ ـ أن يقوم فيصلي.

١٣٤ سئل فضيلة الشيخ: كيف نجمع بين قوله ـ تعالى ـ: ﴿تلك الرُّسُلُ فَضَّلنا بَعْضهم على بعْض﴾[1]. وقوله: ﴿لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُم﴾[2]؟

فأجاب ـ حفظه الله ـ بقوله: قوله ـ تعالى ـ: **﴿تلْك الرُّسُلُ فَضَّلْنا بَعْضَهُم على بَعْضٍ﴾** كقوله ـ تعالى ـ: **﴿ولقد فضَّلنا بعْض النبيين على بعْضٍ﴾**[3]. فالأنبياء والرسل لا شكَّ أن بعضهم أفضل من بعض فالرسل أفضل من الأنبياء، وأُولوا العزم من الرُّسل أفضل ممَّن سواهم، وأُولو

(١) سورة البقرة، الآية «١٣٦».

(٢) سورة البقرة، الآية «٢٥٣».

(٣) سورة الإسراء، الآية «٥٥».

العزم من الرسل هم الخمسة الذين ذكرهم الله ـ تعالى ـ في آيتين من القرآن إحداهما في سورة الأحزاب: ﴿**وإذْ أَخذنا من النبيين ميثاقهم ومنْك ومن نُوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم**﴾[1]. محمد، عليه الصلاة والسلام، ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم.

والآية الثانية في سورة الشورى: ﴿**شرع لَكُم من الدين ما وَصَّى به نُوحًا والذي أوحينا إليْك وما وصَّيْنا به إبراهيم وموسى وعيسى**﴾[2]. فهؤلاء خمسة وهم أفضل ممن سواهم.

وأما قوله ـ تعالى ـ عن المؤمنين: ﴿**كُلٌّ آمن بالله وملائكته وكتبه ورُسُله لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ**﴾[3]. فالمعنى لا نفرق بينهم في الإيمان بل نؤمن أن كلهم رسُل من عند الله حقًّا وأنهم ماكذبوا فهم صادقون مصدّقون وهذا معني قوله: ﴿**لا نُفرِّقُ بَيْنَ أحدٍ مِنْ رُسُلِهِ**﴾[4]. أي في الإيمان بل نؤمن أن كلَّهم، عليهم الصلاة والسلام، رسل من عند الله حقًّا.

لكن في الإيمان المتضمن للاتباع هذا يكون لمن بعد الرسول، صلى الله عليه وسلم، خاص بالرسول، عليه الصلاة والسلام، لأنه، صلى الله عليه وسلم، هو المتبع؛ لأن شريعته نسخت ماسواها من الشرائع وبهذا نعلم أن الإيمان يكون للجميع كلهم نؤمن بهم وأنهم رُسُل الله حقًا وأن شريعته التي جاء بها حق، وأمَّا بعد أن بعث الرسول، عليه الصلاة

---

(١) سورة الأحزاب، الآية «٧».

(٢) سورة الشورى، الآية «١٣».

(٣) سورة البقرة، الآية «٢٨٥».

(٤) سورة البقرة، الآية «٢٨٥».

والسلام، فإن جميع الأديان السابقة نُسِخت بشريعته، صلى الله عليه وسلم، وصار الواجب على جميع الناس أن ينصروا محمدًا، صلى الله عليه وسلم، وحده ولقد نسخ الله ـ تعالى ـ بحكمته جميع الأديان سوى دين الرسول، صلى الله عليه وسلم، ولهذا قال الله ـ تعالى ـ: ﴿**قُل ياأيها الناسُ إني رسول الله إليكم جميعًا الذي له ملكُ السمواتِ والأرض لا إله إلا هو يُحيي ويُميتُ فآمِنُوا بالله ورسوله النبيِّ الأميِّ الذي يُؤمِنُ بالله وكلماته واتَّبِعُوه لعَلَّكُم تهتَدُون**﴾[1] فكانت الأديان سوى دين الرسول، عليه الصلاة والسلام، كلها منسوخة لكن الإيمان بالرسل وأنهم حق هذا أمرٌ لا بُدَّ منْهُ.

١٣٥ سئل فضيلة الشيخ ـ حفظه الله ـ: عن معجزات الرسول، صلى الله عليه وسلم، ؟.

فأجاب ـ حفظه الله ـ بقوله: معجزات النبي، صلى الله عليه وسلم، وهي الآيات الدالة على رسالته، صلى الله عليه وسلم، وأنه رسول الله حقًّا كثيرة جدًّا وأعظم آيات جاء بها هذا القرآن الكريم كما قال الله ـ تعالى ـ: ﴿**وقالوا لولا أنزل عليه آيات من ربه قل إنما الآيات عند الله وإنما أنا نذير مبين أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم إن في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون**﴾[2].

فالقرآن العظيم أعظم آية جاء بها رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وأنفع لمن تدبرها واقتدى بها لأنها آية باقية إلى يوم القيامة.

---

(١) سورة الأعراف، الآية «١٥٨».

(٢) سورة العنكبوت، الآية «٥٠».

أما الآيات الأخرى الحسية التي مضت وانقضت أو لا تزال تحدث فهي كثيرة وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ جملة صالحة منها في آخر كتابه «**الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح**»، هذا الكتاب الذي ينبغي لكل طالب علم أن يقرأه لأنه بين فيه شطح النصارى الذين بدلوا دين المسيح، عليه الصلاة والسلام، وخطأهم وضلالهم وأنهم ليسوا على شيء مما كانوا عليه فيما حرفوه وبدلوه وغيروه. والكتاب مطبوع وبإمكان كل إنسان الحصول عليه، وفيه فوائد عظيمة منها ما أشرت إليه، بيان الشيء الكثير من آيات النبي، صلى الله عليه وسلم، وكذلك ابن كثير ـ رحمه الله ـ في «**البداية والنهاية**» ذكر كثيراً من آيات النبي، صلى الله عليه وسلم، فمن أحب فليرجع إليه.

[١٣٦] سُئل فضيلة الشيخ ـ حفظه الله تعالى ـ: عمن يعتقد أن النبي، صلى الله عليه وسلم، نورٌ من نور الله وليس ببشر وأنه يعلم الغيب ثم هو يستغيث به، صلى الله عليه وسلم، معتقدًا أنه يملك النفع والضر، فهل تجوز الصلاة خلف هذا الرجل أو من كان على شاكلته أفيدونا جزاكم الله خيراً؟.

فأجاب بقوله: من اعتقد أن النبي، صلى الله عليه وسلم، نور من الله وليس ببشر وأنه يعلم الغيب فهو كافر بالله ورسوله وهو من أعداء الله ورسوله وليس من أولياء الله ورسوله لأن قوله هذا تكذيب لله ورسوله ومن كذب الله ورسوله فهو كافر والدليل على أن قوله هذا تكذيب لله ورسوله

قوله تعالى: ﴿قل إنما أنا بشر مثلكم﴾[1] وقوله تعالى: ﴿قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيبَ إلا الله﴾[2] وقوله تعالى: ﴿قل لا أقول لكم عندي خزائنُ الله ولا أعلمُ الغيبَ ولا أقولُ لكم إني ملك إن اتبعُ إلا مايوحى إليَّ﴾[3] وقوله تعالى: ﴿قل لا أملكُ لنفسي نفعًا ولا ضرًّا إلا ماشاء الله ولو كنت أعلمُ الغيبَ لاستكثرتُ من الخير وما مسني السوءُ إن أنا إلا بشير ونذير لقوم يوقنون﴾[4] وقوله، صلى الله عليه وسلم: «إنما أنا بشر مثلكم أنسى كما تنسون فإذا نسيت فذكروني».

ومن استغاث برسول الله، صلى الله عليه وسلم، معتقداً أنه يملك النفع والضر فهو كافر مكذب لله تعالى مشرك به لقوله تعالى: ﴿وقال ربكم ادعوني استجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين﴾[5] وقوله تعالى: ﴿قل إني لا أملك لكم ضرا ولا رشدا قل إني لن يجيرني من الله أحد ولن أجد من دونه ملتحدا﴾[6] وقوله، صلى الله عليه وسلم، لأقاربه لا أغني عنكم من الله شيئا كما قال ذلك لفاطمة وصفية عمة رسول الله، صلى الله عليه وسلم.

ولا تجوز الصلاة خلف هذا الرجل ومن كان على شاكلته ولا تصح الصلاة خلفه ولا يحل أن يجعل إماما للمسلمين.

---

(١) سورة الكهف، الآية «١١٠».
(٢) سورة النمل، الآية «٦٥».
(٣) سورة الأنعام، الآية «٥٠».
(٤) سورة الأعراف، الآية «١٨٨».
(٥) سورة غافر، الآية «٦٠».
(٦) سورة الجن، الآية «٢١، ٢٢».

تم بحمد الله - تعالى -
المجلد الأول
ويليه بمشيئة الله - عز وجل -
المجلد الثاني


الفهرس



تم فهرس المجلد الأول والحمد لله رب العالمين